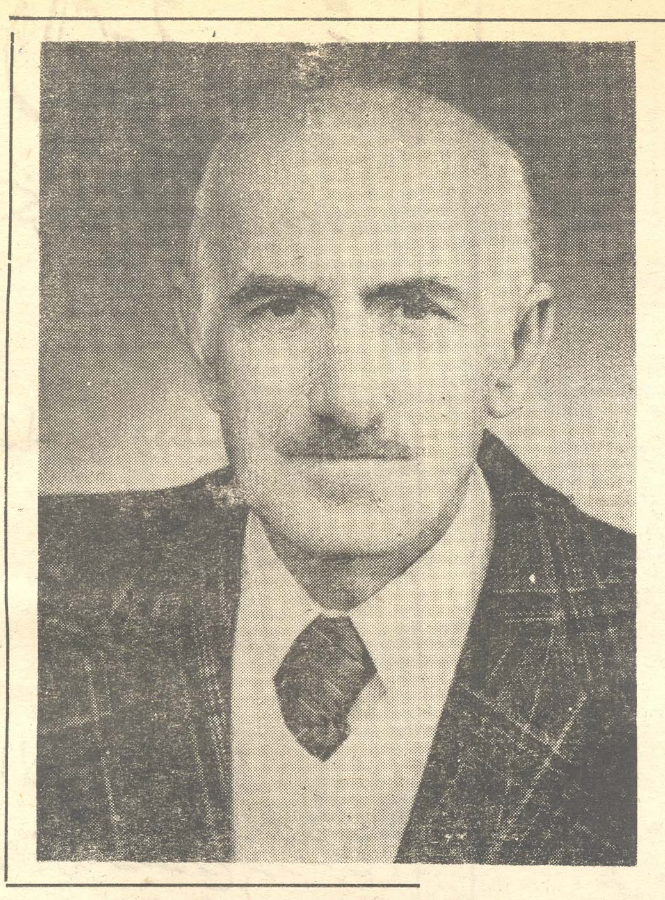


حلب في التاريخ

بقلم : فريد جحا

« الرحلة مع حلب في التاريخ طويلة طويلة امتدت اكثر من اربعة آلاف سنة .. شابت نواصي الليالي وهي لم تشب » .

مقدمة :

١ ـ في عهد مفرق في القدم ، اختارت جماعة سامية موقعا لسكناها . اختارته قريبا من نهر تستقي منه ، ومن أرض خصبة تزرعها ، ومن مرتفعات طباشيرية تحفر فيها كهوفا ، تأوي اليها ليلا ، فتقيها شر الحيوانات المفترسة، وبطش الطبيعة الجبارة .

في الجنوب الغربي من مدينة حلب الحالية ، تقع تلك الكهوف التي سكنها أول تجمع انساني ، واجدا فيها بيوتا آمنة وملاجىء حصينة .. لا تزال تلك المغائر قائمة حتى الآن في حي يسمى باسمها (حي المغائر) ، وشاهدة باعتراف الذين دخلوها على أن فيها دلائل حضارة انسان قديم .

على ان تلك الجماعة لم تلبث أن تركت تلك المغائر بعد أن ازدادت عددا ، وانتقلت تسكن الى الشمال من تلك المنطقة مقتربة اكثر فأكثر من النهر ، ومتخذة بيوتا فوق سطح الارض ، في المكان الذي يسمى الآن (تلة السودا) ، والتي ظهرت فيها نتيجة حفريات اولية ، آثار تدل على صحة ما ذكرنا .

٢ ـ ومرت سنوات ، لعلها مئات انتقلت بعدها الجماعة السامية تلك الى مكان مرتفع آخر يقع شمالا ، وفي مكان قريب جدا من نهر قويق ، حيث يقوم حي (العقبة) حاليا ، والذي هو مرتفع اصطناعي نشأ عن تهدم التجمع السكني مرة بعد مرة ، ثم عن بناء تجمعات أخرى مرة بعد مرة ، وهكذا كان المكان يرتفع كلما تهدم مرة ، وبني مرة، مشكلا تجمعا هو بين المدينة والقرية ، تجمعا غدا ذات يوم عاصمة مملكة ، ثم غدا مدينة حلب التي نعرفها والتي نؤرخ لها .

٣ ـ تقع حلب في شمالي الوطن العربي، في منتصف الطريق بين المتوسط والفرات على خط العرض ١٢ر٣٦° شمالي خط الاستواء ، وخط الطول ١٢ر٣٧° شرقا(١) . ولقد تطورت المدينة على الضفة

(*) الفصل الثالث من كتاب يعده كاتب المقال عن (الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر) .

اليسرى لنهر قويق ، في حوض يرسم النهر فيه متعرجات ، قبل أن يحفر واديا يقوده الى مستنقعات المتخ(٢) . وتتيح الهضاب المحيطة بالموقع اقامة تحصينات تساعد على الدفاع(٣) ، وبخاصة هضبة القلعة ، التي تعد واحدة من اقوى المواقع الدفاعية، وأسلها في الاعداد للدفاع في سورية ، وهي ايضا مرقب من الطراز الاول يمتد النظر منه الى بحيرة الجبول على بعد ٣٠ كيلو مترا من هناك(٤) .

٤ ـ كذلك ساعدت عوامل ثلاثة على ازدهار حلب وتطورها حتى أصبحت تجمعا سكانيا مدنيا ، أولها : التنوع الكبير في المناطق المحيطة بها مما يسمح باقامة تيارات تبادل للبضائع . وثانيا : وقوعها في ملتقى طرق عالمية تربطها شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا بالعالم (٥) . وثالثا : ما اسماه سوفاجيه « زكاء سكان حلب وارادتهم وجهدهم المثابر . لقد خلقوها وعرفوا ينتفعون بالظروف التاريخية لتأكيد عظمتها وازدهارها(٦) » .

٥ ـ ولقد عرفت المدينة باسمها (حلب) ، او باسم قريب منه ، أو محرف عنه منذ دخلت التاريخ، ومنذ ذكرت في الآثار السومرية والامورية والحثية والآشورية والمصرية(٧) . وقيل في تفسير الكلمة أنها تعني في اللغة العمورية الحديد والصلب والنحاس(٨) ، ويعتقد الاستاذ جورج دوسان ان كلمة (حل) تعني باللغة السومرية (الحفر) والباء حرف زائد يضاف عادة الى اسماء العلم(٩) .

أما العلامة المرحوم الاستاذ خير الدين الاسدي، فقد عاش من الكلمة في كتاب خاص يقع في ١٧٥ صفحة(١٠) ، تحدث فيه عن اسماء حلب المختلفة ، ثم عن حلب في الآثار المصرية والحثية والبابلية والآشورية والاكادية والآرامية ، وفي سائر الآثار ، ثم روى المذاهب المختلفة في تفسير كلمة حلب ومن بناها . ثم عرض نظريته في مدلول كلمتي (حل، ولب) في اللغات السامية المختلفة ، وخلص الى القول « ان حلب دعيت في أقدم ما بلغنا من الآثار باسمها هذا مضعفا تارة ، وغير مضعف اخرى، وان هذا التضعيف ما لبث أن توارى دفعة واحدة ، بعد أن ساد اللفظ الثلاثي سيادة مطلقة انسحبت على كل العصور ، كما انسحبت على كل الامم » (١١) . ويغلب أن يكون اللفظ لغاية الحرب .

واذا أردنا أن يداني اللفظ ما بين عمومية السامية وخصوصية العربية من فروق قلنا . ان حلب مكان الالب(١٢) ، أي التجمع(١٣) .

١ ـ تاريخ حلب القديم :

تدخل حلب التاريخ منذ ذكرها ريموش (٢٥٣٠ ـ ٢٥١٥ ق.م) ابن سارغون الاكادي مؤسس أول امبراطورية سامية في الشرق « لقد استولى ريموش على حلب وأسر ملكها(١٤) » . ويتتالى بعد ذلك تاريخ المدينة الذي ليس هو ـ في الواقع ـ الا تاريخ الفتوحات والغزوات التي تعرضت لها خلال ثلاثين قرنا(١٥) . فقد توالى على حكمها الاكاديون والعموريون والحثيون والمصريون والآشوريون والبابليون والفرس ، ثم اليونانيون والرومان . ولعل سبب ذلك يكمن في موقعها الهام المتوسط بين البحر والفرات من جهة ، ولانها في مدخل الهضبة السورية من جهة ثانية .

ولقد عولج تاريخها القديم هذا ، قبل الفتح الاسلامي بالتفصيل في كتابين للمرحوم صبحي الصواف بالعربية والفرنسية ، وعولج تاريخها منذ القرن العشرين قبل الميلاد من قبل (سوفاجيه) في كتابه القيم (حلب) والذي سجل « أنها كانت آنئذ عاصمة دولة ذات أهمية مؤكدة(١٦) » . وخلص الى « اننا هنا أمام واحدة من أقدم مدن العالم لا تزال مسكونة ومزدهرة » ثم درس تاريخها وآثارها، وتطورها المديني في ثلاثة فصول هي الثالث (١٧) ، وهو بعنوان (الاصول ، من القرن العشرين الى سنة ٣٣٣ ق.م) ، والرابع(١٨) وهو بعنوان (المدينة الهيلينية ـ الرومانية من سنة ٣٣٣ الى سنة ٢٦٨ ب.م) ، والخامس(١٩) وهو بعنوان (المدينة البيزنطية ٢٦٨ ـ ٦٣٦ ب.م) . لذلك لن نتحدث بالتفصيل عن هذا الكتاب بل نستخلص من هذين الكتابين المعلومات التالية :

١ ـ قطن سكان المدينة الساميون حي المغاير أولا ، ثم انتقلوا الى (تلة السودا) ثم الى نقطة قريبة من النهر هي (حي العقبة) حيث ازدهرت المدينة ، وغدت عاصمة مملكة يمحاض بين سنتي (٢٠٠٠ و ١٨٠٦ ق.م) ، والتي ورد ذكرها في رقم مدينة ماري التي عرفتنا باسم ملكين من ملوكها(٢٠)

لقد كانت عاصمة مملكة قوية ذات سلطة مؤكدة حين فتحها الملك الحثى (مورسيل الاول) وهدمها ، وأسر أهلها ، وارسلهم غنائم الى عاصمته (حاتوشا) فعل ذلك انتقاما لابيه الذي هاجمها من قبل ففشل وجرح أو قتل تحت أسوارها(٢١) .

ثم عرفت حلب بعد هذا سلسلة من الغـــزاة الفاتحين (مصريين وآشوريـــين وبابليين وفرس) وعرفت ازدهارا واضمحلالا ، وذلك بين سنتـــي وأسهلها في الاعداد للدفاع في ســورية ، وهـــي ايضا الاسكندر على الفرس في معركة (سوس) ، وضمت سورية ومعها حلب الى امبراطوريته الواسعة .

٢ ـ عندما مات الاسكندر اقتسم قـــــواده امبراطوريته ، وكانت حلب في جملة القسم الذي كان من نصيب (سلوقس نيكاتور) الذي كان له فيهـــا اثر كبير . ذلك انه بنى بين سنتي (٣٠١ و ٢٨١ ق.م) الى الشرق مـن حلب القـديمة ، القائمة فوق مرتفع العقبة ، مستعمرة على الطريقة اليونانيـة في بناء المدن ، معطيــا اياها اسما جـــديدا (بورواز باليونانية و بورو بالفرنسية)(*) ، كـان ذلك الاسم هو التسمية الرسمية ، أما سكان حلب الاصليون ، الساميو العرق ، فقد أبقوا على تسميتها القديمة (حلب) ، هذه التسمية التي تغلبت عـلى الاسم اليوناني قبيل الفتح العربي بقرن من الزمان.

ولقد احتل الرومان في السنة الخامسة والستين قبل الميلاد سورية ومصر ، وأزالوا دولتي السلوقيين والبطالمة ، وضموا هذين القطرين الى امبراطوريتهم الواسعة الاطراف ، مهيئين لحلب ، في ظل ما سمـي (بالسلم الروماني) توسعا كبيرا على أسلوب المـدن الرومانية .

أما حلب ، في العهد البيزنطي ، فمعرفتنا بهـا خلاله (محاطة بظلمة مؤسفة(٢٢)) ، ولكـن مـن المؤكد أنها شهدت فيه انتشارا كبيرا للمسيحية في المدينة ، يشهد على ذلك وجود عدد كبير من الكنائس تأتي على رأسها الكاتدرائية الكبرى التي بنتهـا القديسة هيلانه أو الامبراطور جستنيان(٢٣) ، والتي بقي آثار كثيرة منها حتى اليوم ، على الرغم مـن تحويلها مسجدا أثناء حصار الفرنجة الصليبيين لحلب(٢٤) . كما شهدت المدينة احتلالا فارسيـا دمرها واحرقها سنة (٥٣٩ ب.م) ، وشهدت قدوم قبائل عربيـة أقامت لسكناها ربضـا سمي (بالحاضر) (٢٥) .

تاريخ حلب العربية :

ليس هناك حادث تاريخي ترك في حلب من الاثر ما ترك الفتح العربي الذي تم سنة (١٦ هـ ـ ٦٣٦ م) لما وصلت طلائع الجيش العربي قرب حلب ســارع أهلها « يطلبون الصلح والامان على أنفسهم وأولادهم ودينهم وكنائسهم وحصونهم ، فأعطوا ذلـك ، وكتب لهم أبو عبيدة أمانا بذلك »(٢٦) . ثم دخـل العرب المسلمون حلب من باب انطاكية ، ووقفوا داخل الباب ووضعوا رماحهم وأتراسهم في مكان قربه ، ثم صلوا لله شكرا ، ثم أقاموا في ذلك المكان مسجدا عـرف لفترة باسم (جامع الاتراس) (٢٨) .

وهكذا فتحت حلب سلما ، وكان عرب الحاضر أسرع الناس في الانحيـاز الـى جانب الفاتحين « مدفوعين بعاطفة غريزية من التضامن العرقي(٢٩) » ولقد أجمعت المصادر على ذلك بينما انفرد الواقدي بذكر اعتصام قائد حلب الروماني في القلعة رافضـا الاستسلام ، الا بعد حصار انتهى بقصة (دامس) الاسطورية (٣٠) .

ثم أخذت المدينة تستعرب شيئا فشيئا ، ولم يكد القرن الرابع الهجري يبدأ حتى كانت المدينة قد أصبحت عربية اللغة والسكان ، وحتى كانت اكثرية أهليها تدين بدين الاسلام ، الدين الذي حمله العرب على أكتافهم ، ونشروه في اقطار العالم المعروفـة آنـذاك ..

وتاريخ حلب منذ الفتح حتى اليوم طويل ، يتناول اربعة عشر قرنا لذلك يقسم عادة الـى عدة عهود ، تسهيلا للبحث . وقد أحسن سوفاجيه في تقسيمه تاريخ المدينة العربي الى العهود التالية :

١ ـ عهد الامبراطورية العربية ـ الخلافـــة (١٦ ـ ٢٢٢ هـ / ٦٣٦ ـ ٨٣٦ م)

٢ ـ عهد ما بعد الخلافة : (٢٢٣ ـ ٥٣٢ هـ / ٨٣٧ ـ ١١٢٨ م)

(*) وهو اسم لمدينة في بلاد اليونان يقـــع في مقدونيـــا .

٣ ـ عهد الدولة النورية : (٥٢٣ ـ ٥٧٩ هـ / ١١٢٨ ـ ١٢٦٠ م)

٤ ـ عهد الدولة الايوبية : (٥٧٩ ـ ٦٥٩ هـ / ١١٨٣ ـ ١٢٦٠ م) .

٥ ـ عهد الدولة المملوكية : (٦٥٩ ـ ٩٢٢ هـ / ١٢٦٠ ـ ١٥١٦ م)

٦ ـ عهد الدولة العثمانية : (٩٢٢ ـ ١٣٣٧ هـ / ١٥١٦ ـ ٩١١٨ م)

يضاف اليها العهد العربي بين سنتي (١٩١٨ و ١٩٢٠ م) وعهد الانتداب بين سنتي (١٩٢٠و١٩٤٦) ثم عهد الاستقلال منذ عام ١٩٤٦ حتى اليوم .

ونوجز فيما يلي تاريخ حلب في هذه العهود :

ضعف شأن حلب خلال العهد العربي الاول الذي يشمل العهود (الراشدي والاموي والعباسي الذهبي) . كانت تتبع اداريا (جند قنسرين) ، ولم ينبه ذكرها الا عندما غدت مقر سيف الدولة الحمداني الذي أعاد اليها امجادها ، وجعلها عاصمة دولة مزدهرة بالفن والعلماء والشعراء . الا ان وقوفه العنيد في وجه الروم وغزواته المتكررة لبلادهم ، دفعتهم الى محاصرة المدينة سنة ٣٥٣ هـ ، واحتلالها وتدميرها واحراقها ، وتركها مقفرة خاوية ، بعد أن راح أهلوها جميعا بين قتيل واسير .

وعندما عاد سيف الدولة الى المدينة ، وكان غائبا عنها ، ووجدها على هذا الشكل ، جدد أسوارها وبضعة من مبانيها ، واستقدم اليها أهالي قنسرين ، واسكنهم اياها ، ثم توفي تاركا المدينة من بعده لمدة قرنين ، في عهد من الضياع والفوضى ، عهد لم ينته الا عندما قبل عماد الدين زنكي امارتها ، فأصلح هو وابنه نور الدين من أحوالها وأزالا عنها الضيم ، ودفعا عنها الفرنجة الصليبيين الذين حاصروها المرة تلو المرة .

أما العهد الايوبي ، فهو عهد المدينة الزاهر في العصر الوسيط ، لقد جعل من حلب عاصمة سياسية ، تعادل اكبر المراكز التي كانت معروفة في البلاد الاسلامية (٣١) . وكان ذلك بفضل حاكمها الاول الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين « رجل الدولة ، وصاحب المزايا الرفيعة الذي كان اول من اتخذ لنفسه لقب (السلطان) بين افراد اسرته الايوبية(٣٢) » . والذي استطاع بحكمته أن يقي المدينة شرور الفرنجة من ناحية ، واطماع عمه وامراء الاسرة الايوبية من ناحية ثانية .

يضاف الى ذلك عقده معاهدات تجارية مع فرنجة انطاكية ، ومع تجار البندقية ، ومع الامراء المسلمين القريبين والبعيدين .. ولما توفي تاركا الملك لابنه من بعده ، كانت مملكة حلب قد أصبحت قوة سياسية واقتصادية وعسكرية كبرى .. قوة استطاعت ان تعيش على الرغم من أن ابنه وحفيده لم يكونا مثله في مستوى المسؤولية المطلوب . ولقد انتهى ذلك العهد الزاهر بكارثة دخول المغول، بقيادة هولاكو حلب عام ٦٥٧ هـ ـ ١٢٦٠ م ، لقد هدموها وأحرقوها وعاثوا فسادا فيها ، وتركوا من بقي من أهليها يعيش حالة من الذعر استمرت نصف قرن .

فاذا ما انتهى ذلك ، واستبعد الخطر المغولي نهائيا ، غدت حلب (نيابة مملوكية) ، حدودها حدود المملكة الايوبية ، وحاكمها نائب عن السلطان المملوكي المقيم في القاهرة .

وعلى الرغم مما ترك جهل المماليك وتطاحنهم وابتزازهم من فوضى وتفكك في المدينة ، فقد حمل العهد المملوكي الى حلب ازدهارا يشهد عليه كثرة الخانات التجارية التي اقيمت في ذلك العهد ، والتي لا تزال باقية (كخان القصابية ، وخان ابرك ، وخان الصابون ، وخان خاير بك) .

ولقد كانت حلب اول مدن الامبراطورية المملوكية التي سقطت بين ايدي العثمانيين ، ففي شماليها كانت معركة (مرج دابق) التي انكسر فيها الجيش المملوكي انكسارا فتح أمام السلطان العثماني سليم الثاني ابواب البلاد العربية كلها ، فضمها الى امبراطوريته . وهكذا غدت حلب مركز (ولاية عثمانية) بحدود الايالة المملوكية بين سنتي (١٥١٦ـ ١٩١٨ م) مع انقطاع دام حوالي عشر سنوات (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) ، وهي السنوات التي عاشتها في ظل الحكم المصري ، بعد فتح ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا خديوي مصر وبلاد الشام .

كان يحكم ولاية حلب في العهد العثماني (باشا عثماني) تعينه الآستانة بفرمان لمدة سنة ، وكان

يساعده قاض ، ومدير مالية يرسلان معه . أمـــا الجيش فكان له قائده الخاص .. ولقد أفادت حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفـي السنوات العشرين الاولى من القرن العشرين من أمرين : أولهما اتصالها المبكر بالثقافة الاوربيـــة ، وثانيهما الاصلاحات العديدة التي قامت بها الدولة العثمانية تحت ضغط الدول الاوربية من جهة، ورغبة في شفاء (الرجل المريض) من مرضه من جهة ثانية . مما سمح لها ان تقوم بدور هام في النهضة العربيـــة الحديثة ، ففيها أنشئت اول مطبعة ، وفيها طبع أول كتاب باللغة العربية في البلاد العربية ، ومـن أبنائها من أنشأ أول جريدة غير رسمية ، واول مـن انتج قصة فنية ، في تاريخ الادب العربي الحديث ، واول من ألف كتابا في النقد متأثرا بالمفاهيم الغربية . واخيرا هي التي أنجبت عبـد الرحمن الكواكبي صاحب الصرخة ضد الاستبداد ، والداعي الاول الى اعادة الحكم للعرب ، ففيه خلاص المسلمين من تخلفهم وتقدمهم في مدارج الحضارة ، ممـا هو موضـح في دراسة مطولة اعددتها عن (الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر) .

وينتهي الحكم العثماني في عام ١٩١٨ ، وتشـهـد حلب فترة استقلال امتدت سنتين فرحت فيهما بالعلم العربي يرفرف في سمائها لاول مرة منذ قرون ، ويقف ملك سورية العربي معلنا أمورا هامة منها (اننـــا عرب قبل عيسى وموسى ومحمد) ، « وان الديـن لله والوطن للجميع » . ثم تغدو الافراح رجع نواح ، بعد أن فرض الانتداب على سورية وغدت حلب مركز ولاية ، فعاصمة دولة فمركز محافظة ، خلال ربـع القرن الذي قضاه الفرنسيون في سورية ، وهي المدة التي كافح فيها الشعب العربي السوري ضـــد استعمارهم ، وكانت حلب في مقدمة المدن التـــي كافحت وقدمت الشهداء .

خاتمـــة :

ولقد كان من نعم الله علي اسهامي المتواضع في النضال ضد المستعمر عندما كنت طالبا (في تجهيـز حلب الاولى) ، وكنت أسعد السعداء حين شـهـدت انزال العلمين الفرنسي والبريطاني عن آخر ثكنة لهما في حلب ، ثم رفع الراية العربية السورية فـــوق ساريتها ــ ثم اطلاق اسم (ثكنة طارق بن زياد) عليها تلك الراية التي مشيت الى جانبها حارسا ، في مقدمة الموكب الطويل من (فتيان) المدارس الذين استعرضوا لاول مرة في ساحة سعد الله الجابري بحلب ، في الساعة التاسعة من صباح السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦ تلك الراية التي بقيت مرفرفة في سماء المدينة الخالدة التي ازدهرت في ظل الاستقلال ازدهارا اقتصاديـــا وعلميا وعمرانيا لا مثيل له .

ولقد سعدت حلب ، وسعدنا معها في ذلك العام العربي العظيم عام ١٩٥٨ ، حين أعلنت الوحدة بين سورية ومصر وغدت حلب مركز محافظة من محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، أول دولة عربية اتحادية في العصر الحديث ، تلك الدولة التي كنا نأمل أن تكون نواة الدولة العربية الواحدة الكبرى ، لولا يد الغدر الآثمة التي اغتالتها في تلك الليلة المظلمة المشؤومة ، ليلة الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٦١ ولم يطل ذلك العهد الذي سمي حقا عهد الانفصال ، فلقـد سقط غير مأسوف عليه صباح الثامن من آذار ١٩٦٣ واستردت بعده سورية العربية وجهها القومـــي الوحدوي بعد قيام ثورة الثامن من آذار التي قدمت لحلب الكثير .

وتتطلع حلب الى يومي فرح آخرين : يوم النصر على العدو الباغي واستعادة أراضيها السليبة وتحرير فلسطين ، ويوم تجتمع فيه كلمة العرب لتكون حلب مركز محافظة الشمال في دولة عربية كبرى ، تمتد من طوروس الى المحيط الهندي وأواسط افريقية ، ومن الخليج العربي الى المحيط الاطلسي .

كم كانت رحلتنا مع تاريخ حلب طويلة طويلة !! لقد امتدت اكثر من اربعة آلاف عام ، شهدت فيهـا حلب الايام المشرقة ، والايام الحالكة ، ولقد مرت بها فترات ازدهار وفترات انكماش ، ايام نصر وعز ، وايام اندحار أمام المعتدين من الفاتحين . ولقـد دمرت مرات ... دمرها الحثيون ، والفرس والروم والمغول .. ولكنها كانت دائما تنهض من جـديد ، مستفيدة من موقعها العظيم ، ومن تجاربها الواسعة ثم من ارادة ابنائها : وجهدهم المثابر « أولئك الابناء الذين خلقوا حلب ، وعرفوا كيف ينتفعون دائمـــا

بالظروف التاريخية لتأكيد عظمتها وازدهارها(٣٣) »

أجل كانت حلب تنهض دائما لتبدأ طريق الجد والعمل ، واذا بها تتطور وتتقدم لتبقى دائما المدينة التي نعرف ونرى في هذه الايام ، ونحبها حبـــا لا مزيد عليه .

فريد جحا

تلميذ المعهد العالي للمعلمين بدمشق سابقا

مجاز في الآداب والتربية والتعليم

المفتش الاختصاصي للغة العربية وآدابها بوزارة التربية

عضو اتحاد الكتاب العرب

في سورية

هوامش وتعليقات

١ ــ أخطأ سوفاجيه وحدد عرضها بـ ٣٦٫٦٨ ٥ شمالا وطولها بـ ١٥٫٥٤٫٠ شرقا . ينظر كتاب سوفاجيه ص ١١ ، كذلك أخطأ الدكتور عبد الرحمن حميده في كتابه (مدينة حلب) حين حدد طولها بـ ٣٠٫٥٣٠ وقد أفادني الزميل الاستاذ ابراهيم غوري بذلك نقلا عن الخارطة الطوبوغرافية الدقيقة .

٢ ــ عبد الرحمن حميدة مدينة حلب بالفرنسية ض ٣ وكان قويق يروي المدينة وبساتينها المنتشرة على ضفته حتى زمن قريب حين حولت تركيا مجراه في الفصول الصيفية .

٣ ــ ارتفاع جبل العظام ٤٣٠ الجبل الاحمر ٤٢٥ ــ جبل الغزالات ٤٠٠ ــ الجبيلة في حلب نفسها ٤٠٥ م ، بينما ترتفع القلعة ٤٤٠ م ينظر صبحي الصواف ، تاريخ حلب قبل الاسلام ص ٣٨

٤ ــ حلب لسوفاجيه بالفرنسية ص ١٣

٥ ــ سوفاجيه المصدر السابق ص ١٤

٦ ــ سوفاجيه المصدر السابق ص ٥١

٧ ــ صبحي الصواف حلب قبل الاسلام ص ٢٠

٨ ــ صبحي الصواف حلب قبل الاسلام ص ٢٠

٩ ــ صبحي الصواف حلب قبل الاسلام ص ١١

١٠ ــ خير الدين الاسدي ، حلب ، المدلول اللغوي للكلمة ، مطبعة الضاد حلب ١٩٥١

١١ ــ خير الدين الاسدي المصدر السابق ص ١٧٤ ــ ١٧٥

١٢ ــ خير الدين الاسدي المصدر السابق ص ١٣٩

١٤ ــ الصواف حلب قبل الاسلام ص ١٦ وحلب في تاريخها القديم

١٥ ــ سوفاجيه حلب ، و ع . حميدة ص ٣ ــ ٤

١٦ ــ سوفاجيه حلب ص ٢٠

١٧ ــ سوفاجيه حلب ص ٢٢

١٨ ــ سوفاجيه حلب ص ٣٣

١٩ ــ سوفاجيه حلب ص ٥٤

٢٠ ــ الصواف ، حلب بالفرنسية ص ٢٧ ، نقلا عن أبحاث نشرها في مجلة ــ سورية ــ في سنتي ١٩٣٨ و ١٩٥٦

٢١ ــ الصواف المصدر السابق ص ١/٢٨ ــ ٢/٢٨

٢٢ ــ سوفاجيه ، حلب بالفرنسية ص ٥٤

٢٣ ــ سوفاجيه ، حلب بالفرنسية ص ٥٠

٢٤ ــ سوفاجيه ، حلب بالفرنسية ص ٦٠

٢٥ ــ سوفاجيه ، حلب بالفرنسية ص ٦٤

٢٦ ــ الطباخ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ص ٩٠ نقلا عن ابن الاثير .

٢٧ ــ الطباخ المصدر السابق ج ١ ص ٩١ نقلا عن ابن العديم

٢٨ ــ عرف أولا بالاتراس لانه بني في الموضع الذي وضع فيه العرب المسلمون أتراسهم ثم صلوا فيه لاول مرة ثم سمي بالعمري فالغضائري فالشعيبية ، ويعرف عند العامة بمسجد التوتة .

٢٩ ــ سوفاجيه ، حلب ص ٧١

٣٠ ــ الواقدي فتوح الشام ج ١ ص ٢٤٩ وما بعده

٣١ ــ سوفاجيه المصدر السابق ص ١٣٣ بالفرنسية

٣٢ ــ سوفاجيه الصدر السابق ص ١٣٢ بالفرنسية

٣٣ ــ سوفاجيه المصدر السابق ص ٢١ بالفرنسية



حلب

للشاعر : عبدالله يوركي حلاق
(صاحب مجلة الضاد)

جثم الجلال على رباها — والتبر لألأ في ثراها
والحسن صافح أهلها — وبثوبه الزاهي كساها
تستنشق الارج الذكي — اذا نشقت شذا هواها
قد شعشعت فيها الفنون — وموكب العلم اصطفاها
واختارها الادب الرفيع — فزادها شرفا وجاها
فيها الكرامة رغم لؤم — الدهر لم تفصم عراها
والفستق الغيران يحكي — في جوانبها الشفاها
يختال فوق غصونه — كعرائس لبست حلاها
لما أطل البدر شقت — كل افستقة رداها
ورنت الى بدر الدجى — فأعارها البدر انتباها
حلب مقر النابغين — يشع في الدنيا سناها
رقت شمائل أهلها — فسرت نسيما في رباها
هذي يمين العز ما — زالت تشير الى فتاها
ما غبت عنها ساعة — الا حننت الى لقاها
هي موئل العرب الاباة — يرف في العليا لواها
أبناؤها ملؤوا البلاد — كأنجم ملأت سماها
أبناؤها في كل قطر — يحرصون على علاها
فكأنهم لا يرتضون — من الحياة سوى رضاها
شاخ الزمان وقلعة — الشهباء ظلت في صباها
ربضت على التل الاشم — فروعت أقوى عداها
كم فاتح قد عاد عنها — خائبا لما بلاها
وتراجعت عنها النسور . — كأنها تخشى أذاها
والدهر نازلها فما — ذلت ولا وهنت قواها
ان الملوك الصيد تحت — بروجها خفضوا الجباها
سئل الخلود : بمن تباهي ؟ — قال : بالشهبا ، وتاها

عبد الله يوركي حلاق

(١) اذيعت في خلال الحرب العالمية الثانية من محطة اذاعة لندن ، ثم اذيعت من كثير من المحطات الاذاعية العربية . وفي عام ١٩٧٩ أذيعت من محطة صوت العرب في كراكس — فنزويلا .



فرح

للشاعر: عمر أبو قوس

ينتابني فرح طاغ فيغمرني حينا فحينا ولا أدري له سببا

أكاد من خفة فيه ومن مرح أطير في الجو حتى أبلغ الشهبا

كأنني صرت روحا دونما جسد طليقة تخرق الآفاق والحجبا

واشرق الحب في نفسي فلست أرى في الكون الا جمالا ساحرا عجبا



وزل عني شقاء كان يلزمني فلست أشعر لا هما ولا نصبا

ولا عداء ولا حقدا ولا حسدا ولا يهودا ولا تركا ولا عربا

الا صفاء وذوبا في الوجود كما يعود للكأس ما قد اطلعت حببا

فعانقتني روح الكون سافرة فرحت أرقص في أنوارها طربا

حلب – ص.ب ١٢٣٧ عمر ابو قوس

أبيات منسيّة

للشاعر: علي الزيبق

أقرأ في وجهك أسطورة		تمطرني أنا الجراحي صدى !

أشرب من آهك أغنيّة		تنضج دربا مبحرا في المدى

أغوص في عريك ، في قبلة		تحمل لي فجر بلادي غدا ..

لتضحكي ... فنحن من بلدة		تخترع الورد لحقل الفقير

لتضحكي ... ليلتنا رحلة		أبعد من عريتنا والسرير ..

لتكتبي بالجسد الغض ما		نسيته أمس ، فهل تفهمين ؟

دحرجتني الى بعيد على		حقين من نار ومن ياسمين

وقلت لي : العب بي أنا موجة		تحملك الآن وراء العيون ...

تطلين من زنبق ، من شبابيك		عينيك ، من نهدك الكاسر
كأن تشعلين حريقا ، كأن		تعرينني من شذا خاطري !

عرفتك .. من خزف أنت ، من		زخارف ، من مخمل عاهر

ملكت الفراغ ، فجئت الي		لتسترقي الشعر من شاعر !

علي الزيبق

أعلام راحلون *

المرحوم الدكتور محمد يحيى الهاشمي كما عرفته ..

* المطران : ناوفيطوس إدلبي

الكلمة التي ألقاها المطران ناوفيطوس ادلبي في حفلة تابين الفقيد الهاشمي التي اقامتها الجمعية السورية لتاريخ العلوم بالتعاون مع وزارة الثقافة في ٢٩ ايلول ١٩٧٩ في حلب

أيها الحضور الكرام ،

لقد اولتني لجنة تأبين المغفور له الدكتور محمد يحيى الهاشمي شرفا كبيرا اذ عهدت الي بأن اقول كلمة في حفلة التأبين هذا باسم « اصدقاء الفقيد » .

ويشرفني في الواقع ان اكون في عداد اصدقاء المرحوم الدكتور الهاشمي . لقد نشأت صداقتنا باديء بدء عن ظروف التعارف الاجتماعي العادي ، ثم تأصلت عن طريق البحث المشترك في تاريخ العلوم عند العرب ، حتى سمت في آخر الامر الى اجواء الايمان والتصوف .

عند قدومي الى حلب في مطلع عام ١٩٦٨ كان المرحوم الدكتور الهاشمي يتحف نشرتنا المتواضعة « نشرة ابرشية حلب للروم الكاثوليك » من حين الى آخر ، بمقالات علمية وفلسفية ودينية مبسطة ، فأعجبت بالرجل ، وهو العالم الكبير الذي ملأت شهرته المحافل الدولية ، يساهم في تحرير مجلة محلية متواضعة ، ويكرس لهذا العمل جزءا ثمينا من وقته . فما كان منه الا أن اعجب لاعجابي ، واستغرب استغرابي ، ثم راح يتابع مجهوده ، بل يزيده كمية ونوعا ، فيتحفنا بمقالات متتالية تفوق كل واحدة رفيقاتها عمقا وغزارة مادة .

وسرعان ما تبين لي ان الدكتور الهاشمي ، اذ كان يقدم لنا هذه الخدمة الثقافية الجلى ، انما كان يستوحي محبته واخلاصه « المدرسة الاسقفية » التي علم فيها سنين طويلة ، في عهد المثلث الرحمة المطران السيندروس فتال ، والتي كانت تجمع نخبة طيبة من الاساتذة العلماء المربين ، من مثله ومن مثل سماحة مفتي حلب الاستاذ محمد الحكيم ، والاستاذ فريد دجحا وغيرهم .

وهكذا نشأت الصداقة بيننا : من جهته اخلاصا للمعهد الذي درس فيه ، ومن جهتنا عرفانا بالجميل وتقديرا للخدمات . ثم تأصلت هذه الصداقة ، كما سبق وأوردت عن طريق البحث العلمي المشترك في تاريخ العلوم عند العرب .

كان للدكتور الهاشمي ، كما عرفه الجميع وكما خبرته شخصيا ، في كل نشاطه الكتابي ثلاثة جوانب أولها علمي تجريبي ، وثانيها فكري فلسفي ، وثالثها تاريخي . لقد كانت شهادة الدكتوراه التي نالها من جامعة بون بألمانيا سنة ١٩٣٥ شهادة مزدوجة في العلوم والفلسفة ، وعلى الرغم من أننا نستطيع أن نصنف بعض مؤلفاته في الجانب الاول ، وبعضها الآخر في الجانب الثاني ، وبعضها الاخر في الجانب الثالث ، الا

أننا نلمس هذه الجوانب الثلاثة معاً في أي مؤلف من مؤلفاته على السواء .

فاذا أخذنا على سبيل المثال كتابه عن « ماكس بلانك » وهو اصلا كتاب في الفيزياء الحديثة ، نراه يدرس نظرية الكم التي أوجدها بلانك ، وفي الوقت عينه يتابع تطورها التاريخي ، بل لا يتورع عن تعميق دراسته حتى أصول الفلسفة والدين ، اذ يخصص فصولا من كتابه للبحث عن « الدين والعلوم والطبيعة » فيحلل نظرية بلانك الذي يرى أن الدين والعلم لايتنافيان كما يتوهم البعض أو يخشون ، وانما هما متكاملان متلازمان .

ولو أخذنا كتابه عن « لغز أبي العلاء » وهو في أساسه كتاب تاريخي فكري ، لوجدنا أنه لايتخلى عن جانبه العلمي ، فيبحث مثلا عن « المعارف الطبيعية عند أبي العلاء » كما يحلل فلسفة أبي العلاء في الحياة واللون وماوراء الطبيعة .

لقد كان الدكتور الهاشمي أحد أساتذة الجامعة السورية ، وجامعة برلين ، وأستاذا زائرا في الجامعة الهندسية في شتوتغارت ، وعضوا بارزا في مؤتمر مهندسي العرب الثالث ، ومؤتمر الاتحاد العلمي الحادي والثلاثين في مدينة ليبج « بلجيكا » ، وعضو أكاديمية باريس لتاريخ العلوم .

وهذا هو المجال الذي برز فيه أكثر من سائر المجالات . ولعل سبب تفوقه في هذا المجال ، أي مجال تاريخ العلوم ، ولا سيما عند العرب ، هو انه يجمع بين التاريخ والعلم والفلسفة .

ومن أشهر كتبه في هذا المجال : « الامام الصادق ملهم الكيمياء » ، وفيه نقض آراء العالم الالماني كراوس ونفى أن يكون للامام جعفر الصادق تأثير علمي مباشر على الكيميائي العربي جابر بن حيان ، وبين أن تأثيره عليه كان في المجال الفكري الفلسفي ، لا في المجال العلمي الكيميائي .

ثم يتابع الدكتور الهاشمي أبحاثه في تاريخ العلوم عند العرب ، فينشر دراسته حول « العلوم الطبيعية العربية وموقفها من المصادر اليونانية » ثم « التبادل الايوني في الكيمياء العربية » ثم « البولوجيا عند الجاحظ » ثم « مصادر علم الاحجار للبيروني » ثم « العلوم الطبيعية عند اخوان الصفا » ثم « بدء الكيمياء العربية » ثم « مطارح الشعاع » للكندي ، وسواها من الدراسات العديدة .

كما أن الجمعية السورية لتاريخ العلوم ، التابعة لجامعة حلب ، قررت مؤخرا نشر أحد كتبه الهامة في تاريخ العلوم ، وعنوانه : « تراثنا في النبات والزراعة » .
في هذا المجال أي على صعيد تاريخ العلوم عند عند العرب تلاقينا ، وتوثقت أواصر الصداقة بيننا فليس في الحياة مايجمع الناس مثل المشاركة في العمل ولاشيء يربط بينهم أكثر من الجهد المشترك في مجالات العلوم .

وكما أن أبحاث الدكتور الهاشمي أسهمت الى حد بعيد في تأسيس جمعية تاريخ العلوم ، وفي انشاء معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب ، كذلك أدت أبحاثي وأحاديثي مع الدكتور الهاشمي ومع غيره من العلماء العرب والمستشرقين الى فكرة اصدار مجموعة علمية من النصوص والابحاث ، تتناول انتاج بعض المؤلفين العرب في الفترة الواقعة بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر الميلادي : وباشرنا باصدارها في لبنان تسهيلا للعمل ، وخططنا لها أن تبلغ المائة مجلد ان شاء الله .

ونحن نترقب الآن التئام مؤتمر دولي في غونتنغن سنة ١٩٨١ ندعو اليه جميع من يعنون بشؤون التراث العربي المسيحي في حقل الفلسفة والطب والرياضيات والعلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والشعر والتاريخ والقانون وعلم الكلام وما شاكل .

فهناك مثلا كبار الاطباء أمثال ابي الفرج عبد الله ابن الطيب ، وأبي الفرج اليبرودي ، وعاطف بن المكين ابن المؤس ، وابي الفتح عبد الله بن الفضل الانطاكي .
وهناك كبار الاطباء من أمثال أبي علي نظيف بن يمن ، وابي الحسن المختار بن بطلان ، وسلالة آل بختيشوع في بغداد ، ولاسيما حنين بن اسحق ، الذي كان يرى فيه الهاشمي مثالا أعلى للطبيب العربي ، غير قاصد بذلك تفرده أو تفوقه من حيث الابتكار والابداع « وانما كمسيحي في فهمه لجوهر دينه ، وكطبيب في وجدانه المسلكي النبيل الذي يمكننا ـ والكلام للدكتور الهاشمي ـ أن نتخذه مثلا أعلى على مر الدهور وكمترجم في أمانته العلمية الخالصة » .

وهناك خصوصا رواد الحوار الاسلامي المسيحي ،

من أمثال ناوذروس أبي قره أسقف حران ، وبولس الراهب ، وايليا النصيبي ، وساويروس بن المقفع ، ممن ضربوا مثلا أعلى للصفاء الديني وللشهادة الايمانية والحوار البناء ، والمؤسس على تفهم موقف الآخر واحترامه وتقديره مع كثير من الحرية في عرض جوانب الحقيقة الدينية .

ومن المعلوم أن الدكتور الهاشمي ناضل دوما بقلمه للذود عن ذاك التراث العربي ، الاسلامي منه والمسيحي ، دون تمييز ، وللدعوة الى التمسك بالصفاء الروحي الذي كان يعده أساس الحضارة العربية الحقيقية .

ففي كتابه « المثل الاعلى للحضارة العربية » يدعو الدكتور الهاشمي الى التسامح والتفاهم ونبذ كل لون من ألوان التعصب الفكري والمذهبي والىمزج الشجاعة بالحكمة . ويرى أنه اذا كان المثل الاعلى للفلسفة الغربية ممثلا بالاخص في نظرية الفيلسوف الفرنسي ديكارت وهو الانطلاق من الشك للوصول الى اليقين ، يتمثل المثل الاعلى للفلسفة العربية في التوقف ، فلا يبدأ الذهن بالشك ولاباليقين بل يقف محايدا حتى يقوم البرهان .

ذلك أن في الطبيعة عجائب ، وللقوى الفاعلة والمنفعلة في العالم اجتماعات على غرائب ، كما قال الشاعر العربي :

قل لمن يدعي في العلم فلسفة
عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

وقد كتب الدكتور الهاشمي في آخر حياته « ان الانسان بحاجة الى الشمول في المعرفة . وهذالايمكن استمداده الا من الايمان، أي من شعور ديني عميق ، لايقضي عليه حدثان الزمان ، ولازوابع الدهر وأعاصير الايام . وبذلك ينهار ذلك الجدار الذي بناه البشر شكليا لتفريق العلم عن الدين ، لانهما في الواقع يلتقيان في البحث عن لغز الكون وسر الوجود » ويلتقيان أيضا بالشعور به في أعمق أعماق النفس .

نحن نتوغل في العلم ونبحث في جزئياته ببصيرة حادة ونقد واع مع تكريس جميع الوسائل للاستقصاء العلمي ، لكننا عندما نصل الى خفايا الامور، فاننانقف على الرغم منا مندهشين ورعين مقرين بعجزنا خاضعين خاشعين » .

قضى الدكتور الهاشمي حياته في البحث عن الحقيقة غير عابىء بترهات الحياة . وكان يرى أن الغاية من البحث هي الاقتراب من سر الاله العظيم . فأفنى حياته في التنقيب عن الماضي والحاضر ودرس العلوم عند من سبقنا من الاقدمين ، ولم يتوقف عندها ، بل كان يستشهد دوما بقول الجاحظ :« ينبغي ان يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قلنا فينا . على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا » .

وكان رحمه الله ميالا الى التصوف ، كتب فيه دراسات عديدة ، منها البحث القيم بالانكليزية في الكتاب الجامع الذي اعده العلامة ادريس شاه .

وكان انسانا متواضعا ، نقي السريرة ، متحمسا لامته دؤوبا على البحث والاطلاع والعمل ، بالرغم من كل العوائق التي عانى منها في حياته .

وقد تأخر مجتمعنا كثيرا في تقدير هذا الرجل العظيم وتكريمه ، ففي السابع من حزيران من هذا العام فقط أقامت له الجمعية السورية لتاريخ العلوم، التابعة لجامعة حلب حفلة تكريم ، وخلعت عليه لقب رئيس شرف لها ، ثم رفعت اقتراحا الى سيادة رئيس الجمهورية بتقليده وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى .

الا أن المنية عاجلته ، فاختطفته في التاسع عشر من شهر آب المنصرم ، قبل أن يبلغه الوسام المقترح .

لست أقول ان هذا مصير جميع العلماء ، ولكنني أقول انني لاأستغرب مثل هذا المصير .

أيها الصديق العزيز والراحل الكريم ، يأخذ منا الموت هذه الهياكل من لحم ودم ، اما النفوس الشهمة كنفسك ، والقلوب النبيلة والعقول الفذة ، فتبقى حية خالدة في جنات الخلود ، حيث لاتعب ولاحزن ولاتنهد بل حياة لانهاية لهما .

واني أتقدم بآيات التعازي من لفيف أسرة الهاشمي الاكارم ، ومن أسرة أصدقائك ومحبيك ، وهم كثر داعيا المولى أن يلهمنا جميعا الصبر الجميل ، ويسكنك أيها الفقيد الغالي ، جنات السماء ، حيث البشر الدائم والنعيم المقيم .

ناوفيطوس أدلبي
رئيس أساقفة حلب للروم الكاثوليك
حلب في ٢٩ / ٩ / ١٩٧٩

حوار مع الأديب القصصي مظفر سلطان

أجرى الحوار: قدري مايو - محمود فاخوري - نادر السباعي

يعد مظفر سلطان في الرعيل الاول من كتاب القصة الرومانسية في سورية . وهو في هذه الايام معتكف في بيته بحلب ، بعد أن شارف على السبعين من عمره .

ومساء الخميس ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٨٠ ، التقينا بالاستاذ مظفر في منزله بحي السبيل ، وكانت جلسة ممتعة امتدت ساعتين ونصف الساعه ، انطلق فيها الاديب الكبير يحدثنا عن حياته وتجاربه ، وآرائه في ميدان الفن القصصي :

● اسمي علي مظفر سلطان ، من مواليد ١٩١٤ على الصحيح ، نشأت في حي خان الحرير بحلب ، وتابعت دراستي في هذه المدينة ، وكان من أترابي : عمر أبو ريشة ، وقدري قلعجي وأحمد أوبري ، وشبارل خوري ، وكانت لنا جلسات أدبية ، وندوات نعقدها في أي مكان يضمنا .

وبعد دراستي الثانوية ذهبت الى مصر سنة ١٩٣٧ للدراسة في كلية الآداب ، وكانت دون ذلك عقبات يعود الفضل في تذليلها الى المرحومين طه حسين ومصطفى عبد الرزاق . ونلت الاجازة في الآداب سنة ١٩٤١ لادرس بعدها في ثانويات حلب حتى ١٩٤٧ ثم أوفدت لتحضير الماجستير ، وأنجزتها خلال سنتين ، وكان موضوعها (العماد الاصبهاني ـ حياته وادبه) كما انجزت معها تحقيق كتاب (ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه) للاصمعي .



الاستاذ مظفر سلطان

وكان في نيتي متابعة الدراسة لنيل الدكتوراه في موضوع « اثر البيئة الشامية في الشعر العربي » ولكن وزارة المعارف آنذاك أصرت على عودتي الى الوطن فعدت .

أما عن المؤثرات التي تركت بصماتها على شخصيتي فبعضها يرجع الى أساتذتي الذين درست على يديهم

مثل : بدر الدن النعساني « في حلب » وطه حسين وأحمد أمين ، وعبد الوهاب عزام ، وأمين الخولي ، وأحمد الشايب « في مصر » .

وبعضها الآخر يرجع الى مطالعاتي في ادبنا العربي القديم والحديث . فأنا ماأزال معجبا بآثار الجاحظ وابي حيان التوحيدي ، وبالشعر القديم عامة والجاهلي خاصة ، ولا سيما شعر الصعاليك والهذليين والعذريين لانه من الشعر الذاتي الحر . كما ان القرآن فضلا كبيرا علي. أما في ميدان الآداب العالمية فانا أجيد اللغة الفرنسية ، وقد قرأت فيها آثار لامارتين ، وهيجو وجيرالدي ، كما قرأت ترجمات عن الادب الروسي الذي أعد نفسي متتلمذا له . وكذلك أثر في ماقرأته مترجما لبعض أعلام القصة الغربية مثل : ديكنز وسومرست موم ، وستيفان زفايج ، وبيرك بلاك ، وارنست همنغواي ، وفي مقدمة هذه القصص المترجمة أيضا : موبي ديك ، والكاردينال .

كل ذلك أمدني برصيد أدبي متنوع ، علاوة على استعدادي المبكر لخوض ميدان الادب ولا سيما فن القصة القصيرة . واذكر انني عندما كنت طالبا في الرابعة عشرة من عمري دخلت مشفى (أنطونيان) بحلب لاجراء عملية جراحية ، فوجدت الى جانب سريري قصتين قرأتهما بشغف ولذة ، وعنوان احداهما : (رجل الرعب الخفي) ، وكان لهما أثر مباشرا في هيامي بالقصة ، وتوجهي اليها منصرفا عما سواها ، فلم انظم قط بيتا واحدا من الشعر ، ولا حاولت ذلك ، على الرغم من اعجابي بالشعر الجيد . وكل ما حاولته من فنون الكتابة الاخرى هو بعض مقالات صحفية كنت اكتبها في زاوية يومية بعنوان (من البرج الترابي) .

وقد شرعت في كتابة القصة مبكرا وأنا طالب ثانوي ، وفتحت لي مجلة (الحديث) الحلبية صدرها في الثلاثينات ، وكان أستاذي بدر الدين النعساني يقرأ ما أكتب ، ويشجعني على النشر . كما نشرت بعض قصصي في مجلة (الطليعة) السورية ، وكذلك في مجلة (المكشوف) وفي مجلة (الاديب) في بيروت .

وشيئا فشيئا وجدتني أنصرف عن قراءة قصص التسلية وروايات الجيب ، مثل طرزان ، وروكمبول ، الى الكتب الادبية لاعلام العصر من امثال : المنفلوطي وطه حسين ، ومحمود تيمور ، والبشري ، والزيات ، والمازني الذي تتملكني دعابته وروحه الخفيفة ، واسلوبه العربي المتين .

وتابعت ، بعد ذلك ، المسير في ميدان القصة على الرغم من ان والدي — رحمه الله — لم يكن ينظر الى ذلك بعين الرضا ، نظرا لطبيعة مهنته وثقافته ، فهو مزارع من جهة وفقيه محدث ، من جهة أخرى ، شهدت له بالفضل حلقات الجامع الاموي بحلب .

ويمكن أن تدعوني في فن القصة (كاتبا على طريقته) . فأنا مثل بطل قصتي : (طبيب على طريقته) لم آخذ من أحد فيما كتبت ، ولا تأثرت بأحد ، ولا ايد ان يملي أحد علي ، والا تركت الكتابة .

والقصة عندي تولد فكرة طريفة تحتاج الى المعالجة والاحياء ، أوجد لها الاجواء والمواقف والشخصيات وفي الآونة الاخيرة أصبحت ألجأ الى كتابة المواقف البارزة في القصة كل على حدة ، ثم أصوغ القصة كاملة واعطيها الشكل الاخير الذي ارضى عنه انا ، ويهمني جدا ان يرضى عنه القارىء ايضا ، ذلك لان القارىء له كرامة ، وهو يحتاج إلى ما يطرفه ويمتعه ويفيده ، وهذا لا يكون الا اذا أحسست بصدق وكتبت بايمان . فالصدق في الادب كالكهرباء للبيت والسيارة ، وهو روح العمل الفني ، بالاضافة الى الاسلوب الجيد ، والاخراج الفني البارع . وهذا لا يتحقق الا بكثرة القراءة والمعاناة والتجربة ، وان يمارس الكاتب على نفسه نقدا ذاتيا ، فأنا انقد ما أكتب من القصص ، واحتكم الى واقع الحياة ، ذلك الواقع الطريف الفني ، الممكن الحدوث .

ان احساسي بالفن هو أنه متعة للكاتب والقارىء وانه طرافة وايمان وصدق . فالكاتب ينفس عن نفسه بأن يكتب ، والقارىء يشاركه في ذلك ، شريطة أن يكون الانفعال صادق والتعبير ملائما ، لان القطعة الادبية كالحلية ، والكاتب مثل الصائغ ، أمامه اللآلىء ، فيأخذ منها ما يلائم الحلية التي يصنعها في ذهنه وتكون مثله الاعلى ، سرها الانسجام والتناغم والتلاؤم ، حتى يكون الشكل كاملا ، لان الفن دقيق جدا ، والقصة جسم متكامل ، والكاتب خالق صغير فما أجدره ان يحترم هذا الوصف .

والقصة التي أرضى عنها ، يهمني ان ارضى عنها فنيا قبل كل شيء ، واذا وجد فيها بعد ذلك جانب وطني او قومي او اجتماعي فهو بلا تعمل في ولا تعمد ، فالفن أولا ، واذا شاء الفن أن يحمل في تضاعيفه رسالة قومية او وطنية ، فليكن ذلك عن طبع وبعد عن التكلف ، ومراعاة لان يكون كل شيء

في موضعه . فاليك مثلا ، أبياتا من شعر الصعاليك ما أزال أحفظها لتأبط شرا ، حين اخذ عليه بنو لحيان الطريق وهو يشتار العسل في احدى القنن ، وقص خبره هذا في قوله :

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده
أضاع وقاسى أمره ، وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصد مبصر

أقول للحيان وقد صفرت لهم
وطابي ، ويومي ضيق الجحر معور

هما خطتا : اما اسار ومنة
واما دم ، والقتل بالحر أجدر

واخرى أصادي النفس عنها وانها
لمورد حزم ، ان فعلت ، ومصدر

فرشت لها صدري فزل عن الصفا
به جؤجؤ عبل ، ومتن مخصر

فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا
به كدحة ، والموت خزيان ينظر

فهذه الابيات لشاعر حر لم يعرف الالتزام ، بل صدر عن طبع وعفوية .

وعلى ذكر الالتزام فأنا لا أؤمن بالالتزام اطلاقا ، لانه يقتل الادب . خذ شعر الصعاليك مثلا ، انه أجمل واقوى من أشعار الجاهليين ومن بعدهم في شتى العصور ، لانهم ذاتيون بخلاف الشعراء المرتبطين بالقبيلة أو نحوها .

الا أن ذلك لا يعني انعتاق الفنان من ايمانه بما يكتب : وعندئذ يتساوق الفن والالتزام . وطلاوة الفن وحلاوته كالسكر الذي يغطي حبة الكينا لتصبح مستساغة لمن يتناولها من أجل الفائدة . انظر المهر .. انظر الفراشة .. انظر الجدول .. كل منها حر طليق ، فاذا سألت عن رسالته في الحياة فهي رسالة الجمال ، أو ليس نشدان الجمال واجتلاؤه رسالة مثلى ؟

● **وسألنا الاستاذ (مظفر) عن رأيه في بعض اعلام الادب والقصة من المعاصرين :**

فقال عن نجيب محفوظ : لقد قرأت له كل ما كتب ، انه كاتب يملك الطبع القصصي الراقي ، وتبرز الموهبة الروائية عنده اكثر من بروزها في القصة القصيرة . وهو لم يترك طبقة في المجتمع الا خالطها وتأثر بها ، وصورها كما هي . كما أنه يتحلى بذوق ادبي رفيع ، ومقدرة على رسم الشخصيات فكأنها أحياء تروح أمامك وتجيء . وتعد (ثلاثيته) في نظري أفضل ما كتب .

وأما الحكيم فأعده فنانا في كل ما يتناوله . وأقدر ما فيه حواره وانتقاؤه للموضوعات ومعالجته لها . وميخائيل نعيمة مثقف ، دارس ، مثل عصره في وقته. وعن كتابنا السوريين : هناك فاضل السباعي الذي يشبه محمود تيمور ، فللقصة معالمها عنده ، وهو لا يوجه اهتمامه الى الطرافة والجدة والغرابة ، بل يرسم القصة كما يفصل الخياط البذلة ، وهذا ما يجعله اقرب الى ان يكون مدرسيا . وهذا خلاف طريقتي ، وهي عندي : الجدة ، والامتاع ، والطرافة ، والغرابة . وربما كان حكمي هذا لا يصدق على قصصه المتأخرة التي لم أقرأها .

وأما جورج سالم ، فانه نفسه موضوع طريف يصلح للكتابة ، وكثيرا ما كان يقول لي : اني أخاف من الموت . وعندما كنت أقول له : انني لا أفهمك أبدا ، فأنت تسيرني في طرق معتمة ، فأشعل لي فيها ولو عقود ثقاب .. كان يجيبني : هذا الجو يستحوذ علي ، وفكرة الموت لا تفارقني .

● **وسألنا الاديب القصصي عن مؤلفاته وآثاره**

فأجاب :

مؤلفاتي المطبوعة هي :

١ – العماد الاصفهاني – حياته وادبه . وهي رسالة الماجستير ، طبعت سنة ١٩٥٠ .

٢ ـ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، للاصمعي (تحقيق) . طبع سنة ١٩٥٠

٣ ـ ضمير الذئب . مجموعة قصصية ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب في سورية ، طبعت سنة ١٩٧٦

وأما مؤلفاتي المخطوطة ، فان عندي مجموعة قصصية أعدها أجمل ما كتبته في حياتي ، وعنوانها (رجع الصدى) . وهي تحتاج مع ذلك ، الى اعادة نظر .

وأقوم الآن بكتابة قصة عنوانها (شهوة الضياع) ولكن مخاضها يبدو عسيرا ، وهي تنتظر ساعة الولادة .

وفي ذهني ثلاث قصص أنوي كتابتها ، وهي : (السيد المدير) و (عندما تحب المرأة) و (سراج بلا زيت) .

وكنت عازما على تأليف كتاب يضم (اجمل ما قرأت) ولكني ، مع الاسف ـ لا احتفظ بما أقرأ واجمع ، ويمكن أن يعد ذلك من فوضى الادباء .

● ولما سألنا الاستاذ (مظفر) عن سبب صمته الطويل في السنوات الاخيرة أجابنا قائلا :

ان ذلك يعود الى تقدمي في السن ، والى تكاليف الحياة واعبائها ، وما أعانيه من نقص في النشاط الجسماني والفكري ، بعد ان أفرغت دناني . ولعل ما يعيش في نفسي وذهني مما لم أكتبه حتى الآن ، هو أجمل مما كتبت ، لكن حالتي النفسية والمعاشية لا تمنحني القدرة على الاخراج .

وسألناه عن النصيحة التي يجب أن يتوجه بها الى أدباء الشباب :

ولا سيما كتاب القصة منهم فقال :

ان زحمة الحياة جعلت هؤلاء الشباب يستعجلون الشهر قبل النضج الحقيقي ، وانا انصحهم بالقراء ، وتزويد انفسهم بثقافة واسعة ، ومطالعة لآثار المشهورين ، فان الشجرة التي لا ترسل جذورها عميقة في الارض ، يعجزها أن ترسل فروعها وافنانها باسقة في أعالي السماء .. ولا بأس عليهم ايضا ان يطالعوا كل شيء ، حتى السخيف من النتاج ، لكي تظهر لهم الاشياء الحسنة .

ومن شاء أن يبدأ كتابة القصة فعليه ان يقرأ أولا القصة المترجمة بعنوان (امرأة في مشهد البحر) للكاتبة كاترين أو براين ، وقد نشرت في مجلة (الآداب الاجنبية) وهي أجمل ما قرأته في حياتي

وختمنا جلستنا المتعة بسؤال اخير وجهناه الى اديبنا الكبير عن رأيه في الادب العربي المعاصر ، وهل أدى هذا الادب دوره في جميع الفنون ، فقال :

لا أظن ذلك . والسبب هو أننا أمة استهدفها الاستعمار ، ووضعها في حمى أفسدت كل القيم ، وحملات الفرنجة مستمرة حتى الآن ، لكن بأساليب وطرق اخرى غير مباشرة ، وللاستعمار باع طويل في تخلفنا الفكري وعدم المسير بأدبنا الى وجهته المطمئنة الواثقة .

حلب ٢٥ـ١٢ـ١٩٨٠

الولادة

أنور عدي

يولد يا حبيبتي الانسان مرتين
في موعد الولادة
وعندما يحب
والمرء يا حبيبتي يموت مرتين
حين يضيع القلب
وحين يقضي النحب
سلكت ألف مسلك
وسرت ألف درب
وصلت أقصى الشرق
جاوزت أقصى الغرب
وصار طوع أنملي
ما شئت واشتهيت
لكنني ... برغم ذا
ورغم ما يسعد كل الناس
ما سعدت
وفجأة عرفت
أني طوال رحلتي
أمشي بدون قلب
فالمرء يا حبيبتي
يموت مرتين
حين يضيع القلب
وحين يقضي النحب

★ ★ ★

أحرقتها حقائبي
أغرقتها مراكبي
هربت من مواكبي
وعدت نحو ذاتي
مسامرا مشكاتي
وقد صنعت مركبا
أطوف في عوالم
لا طين في أمواجها
خضمها دواتي
وأينعت جناتي
لكنها كانت بكل حسنها
كعالم الاموات
فتشت عن حبيبة
أهدي لها باقاتي
لكنني وجدتها
وراء أفق الغيب
وراء أفق ذاتي
منيرة كالشهب
خليفة للرب
عادت بها حياتي
وعاد لحن القلب
فالمرء يا حبيبتي يموت مرتين
حين يضيع القلب
وحين يقضي النحب
ويولد الانسان في الحياة مرتين
في موعد الولادة
وعندما يحب

حلب ٢ـ ١٩٨
ص.ب : ٥٦١٧
انور عدي

اللقــــاء

شعر: د. محمد انور الزعيم

والتقينا ... والتقــــت كـــف بكف .. وتبادلنا السلاما
ويـد تخضن أخـرى لا تطيقـــان انفصامـــا
وانتشى الطـرف .. وقر القلب .. والتبريـح ناما
وتهـادت فرحة اللقيـا على الثغرين . بشرا وابتساما
وأغـاريـد ســرور تغمر الروح هيامـــا
لحظـة طـاحت بمـــا قاسيتـــه عاما فعامـا
لكأنـي ما عرفت الهـــم والبعد ولا ذقت ســقاما
لكأني لم أعـان الشــوق والوجد وأستجـد المناما
لكأنـي قـــد ولـــدت اليـوم أو عدت غلامـــا
وجلستـا ... بـــين عـــذالٍ وصحـب ونداممـــى
وتلاقـت أعـين أربع عتبـــا وملامـــا
يتسارقــن لحاظـــا ذبن شــوقا وأواما
وصمتنا ... بيـــد أن الصمـــت قـــد فـــاق الكلاما
نشتهـــــي لـــو جمـــد الوقت وداما ..
ثم قمنـــا . . وتثاقلنا لدى الباب ...
.. وشد الكف بالكف ..
.. يودان التحاما
وافترقنا ... وأنـــا أسبـــح في نشـوة روحي مستهاما
ترقص الفرحـــة في جنبـي بـردا وسلامـا
ذاهـــلا عـن كل ما حـولي لمـن عب مدامـا
وكأنـــي في جنـــان الخلد بشـرا أتسامى
ورويـــدا .. عـادت الدنيـا كمـا كانت ظلامـــا
رجـــع الحرمـان يصلي الروح وجـدا وغراما
ليت شعري .. وأنا اليوم مع الشوق أقاسيـه ضراما
أترى كان تلاقينا مناما ؟

الدكتور محمد انور الزعيم



مع عمر يحيى *

بقلم : محمود فاخوري



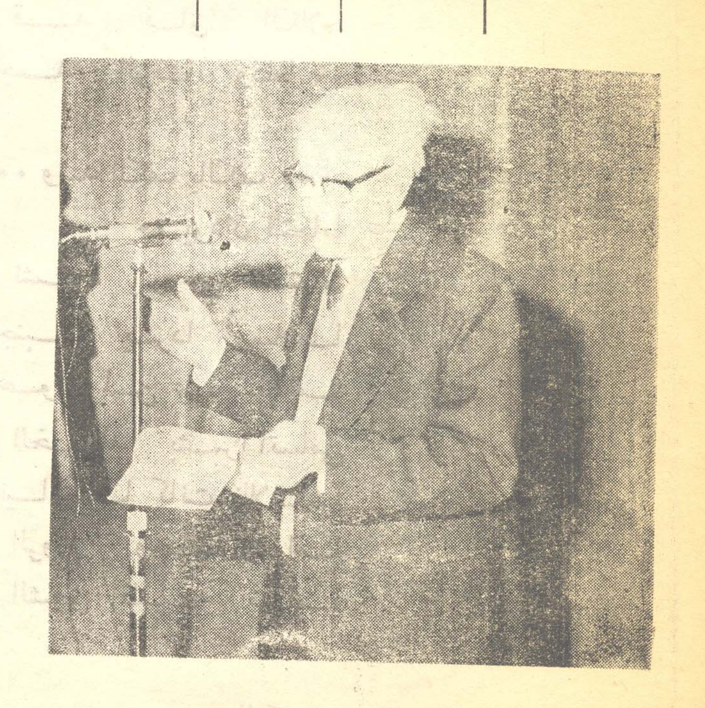
* محمود فاخوري *

المدرس في كلية الآداب بجامعة حلب

في ليلة الرابع عشر من شباط سنة تسع وسبعين وسبعمائة وألف ، صعدت الى بارئها روح الاديب الشاعر والراوية العالم ذي الخلال الغر ، والسجايا الحميدة .. الاستاذ عمر يحيى ، الذي عاش خصيب العمر ، موفور الحجا صادق العشرة ، وأدى رسالته الوطنية والقومية والادبية على خير ما يكون الاداء ، وعلى مدى خمسة عقود من السنين او تزيد ، تخرج أثناءها على يديه فئات من الشباب ، نهلوا من علمه الغزير ، وادبه الفياض ، وخلقه المصفى في مدينتي أبي الفداء وسيف الدولة معا . وربما كانت اقامته في حلب أطول حقبة ، واكثر عطاء ، ولا سيما في حقل التربية والتعليم .

كانت هاتان المدينتان صنوين بل توءمين في نفسه ، عليه الرحمة ، خلقتا هواه كما خلق هوى لهما .. فقد أصفاهما الود ، وامضى حياته المديدة يتنقل بينهما شتاء العام وصيفه وربيعه وخريفه ، يبني الانفس ، وينشىء العقول ، فكان موزع القلب بينهما حتى في الفترة التي اصطلحت عليه فيها الاسقام والآلام ، واكتمل ذلك بوفاته في حماة بعد مغادرته حلب بيومين اثنين .

وقد هيأ الله له في الشهباء خاصة نخبة كريمة حدبت عليه من طلابه البررة ، أو اصدقائه الخلص ، والاوفياء من عارفي فضله ، ...



* عمر يحيى *

فكان ذلك بردا عليه وسلاما ، اذ طاب به نفسا ، وثلج صدرا ، حتى لهج به شاكرا ممتنا .

وكان لمدينة ابي الفداء فضل المبادرة الى تكريمه في احتفال حاشد مهيب ، اقيم مساء يوم الخميس الثامن من كانون الاول عام سبعة وسبعين وتسعمائة وألف ، في صالة نقابة المعلمين بحماة ، وألقي فيه عدد من الكلمات والقصائد التي تشيد بجهود عمريحيى الكبيرة في ميادين التربية والتعليم والادب ، وتنوه بما يتحلى به من كريم المزايا وحميد الشيم .. واشترك في ذلك عدد من الادباء والشعراء في القطر العربي السوري ، وهم الاساتذة :

نذير الحسامي ، وعدنان مردم ، وسليمان العيسى (من دمشق) وهاشم الصيادي ، وعمر الدقاق ومحمود فاخوري (من حلب) وسعيد قندقجي ، وعدنان قيطاز ، ووليد قنباز ، وسهيل عثمان (من حماة)

وكان عريف الحفلة عبد الرزاق الاصفر ، مدير المركز الثقافي يومئذ(1) . ثم ألقى عمر يحيى قصيدته في الختام ، ووقف ليقول ، وقد شارف الثمانين من عمره :

أتراها ترضي الوفا ألحانه
بعد أن صارع الزمان كيانه
صاغها قلبه المتيم بالفن
وسدى نسيجها وجدانه
ان يعم المشيب مني فروعي
فادكار الشباب هذا أوانه
نفرس الذكريات في العمر كيما
يتلمى بغرسه جنانه
حين يشكو الحماة غيري فقلبي
بحماتي يسمو به خفقانه
يا حماتي ، في البعد طيف خيالي
كنت ، ما البحتري ؟ ما شقرانه ؟
بلدي رفرف الجمال عليه
فزهت روضه وطاب معانه
يا حماتي طوفت آفاق عمري
ولعاصيك من فؤادي حنانه

وهي طويلة ، وعدة ابياتها اربعة وستون ، ختمها بقوله :

هذه ايها الاحباء ذكرى
رددتها مع الاسى أجفانه
ذاق حلو الحياة والمر حتى
من تجاربها ذوى بنيانه
غير ما قلبه المردد شكرا
لو يضاهي جميلكم شكرانه

وكان لحلب ـ التوءم الآخر في حياة شاعرنا ـ دورها في أن توفيه بعض ما له عليها يوم تأبينه ، فقد رأت عمادة كلية الآداب ـ برا بذكراه وتقديرا لمآثره ـ أن تكون حفلة التأبين في مدرج الكلية ، لان الراحل ـ طيب الله ثراه ـ كان من الاساتذة المحاضرين في هذه الكلية منذ تأسيسها ، فترة امتدت ست سنوات (١٩٦٦ـ ١٩٧٢) ، وكان التأبين مساء الخميس ١٢ـ٤ـ١٩٧٩ اشترك فيه الاساتذة : سعد زغلول الكواكبي ، وانور الزعيم ، ومحمد خطيب عيان (من حلب) ونذير الحسامي (من دمشق) وعبد السلام العجيلي (من الرقة) وعبد الرزاق الاصفر ، ومنذر لطفي ، ووليد قنباز (من حماة) . وكان كاتب هذه السطور عريف الحفلة .

وهكذا مضى الاديب الشاعر ، وطوى الموت ما بيننا وبينه ، فاستخلف علينا البث والاسى ، وبكت القوافي شجوها بعده ، وأصبح مغنى الادب بلقعا ، وان كان معمورا بالاصدقاء والاحباب ، فقلت لفقده العبرات نذريها ، وقد خلف وراءه من خلصانه من يحفظون له أطيب الذكريات ، وامتع الخواطر . فها هو ذا رفيق شبابه المستشرق الفرنسي (جان غوليه) استاذ الشرف في جامعة الصوربون بباريس ، يقول بعد ان علم بوفاته(2) :

« ان ذلك يعني بالنسبة الي خسارة كبيرة ، وغيابا ابديا لا يمكن ان ينسى ، لاسباب كثيرة ، أهمها : لطفه ورقة حاشيته ، وقيمته الانسانية ، وعبقريته الشعرية .. انسان رائع تشدني اليه ذكريات غاليات » .

وأوحى الحزن الى هذا المستشرق الوفي ان ينظم في رثاء صديقه قصيدة بالفرنسية نقتطف منها قوله :

« انا في حداد ، ومع هذا فلا ازال اذكر ذلك اليوم البعيد كنا في الخامسة والعشرين من العمر ، وكانت الحياة جميلة جميلة على ضفاف ذلكم الصافي المسمى بحق : العاصي حيث التقى كل منا بأخيه للمرة الاولى » .

« ويتغير الزمان .. نعم ، ولكن القصائد المنتصرة حتى على الموت ستستمر دائما في العزف على اوتار الابدية ، حيث نحتفظ بروحك في قلوبنا ، ايها العزيز عمر يحيى »

ويخاطبه الدكتور عمر الدقاق يوم وقف على ضريحه مؤبنا :

« لقد بنيت فأعليت ، وغرست فأثمرت ، واعطيت وما أخذت، ان رجلا مثلك هيهات ان ينسى ، لانك في كل قلب .. والى امد مديد سوف يبقى ذكرك حديث المحافل والمجالس والمنابر » .

وقد أجاد الدكتور عبد السلام العجيلي – وهو واحد ممن تخرجوا على يديه – في وصف ملامحه المعنوية والجسدية ، يوم وقف في حفل التأبين يقول :

« دماثة طبع لا تنقص من هيبته في النفس ، وتواضع يزيده نبلا انه يرتكز على مكنوز من العلم ثمين ، ومزيج عجيب من التلاؤم بين مرح النفس ووقار السلوك ، ملامح معنوية من شخصيته ، متناغمة مع الملامح الجسدية من شخصه : رأس مرفوع على قامة مشيقة ، وقد مستقيم نحيل يحمل ذلك الوجه الذي قلت ان تقاطيعه كأنما قدت بأزميل .. تتردد كلماته الاولى كأنما يتأتىء بها ، لتنطلق بعدئذ في مجرى هادىء التدفق ، ولكنه مجرى ثر عميق المنبع ، غني المحمول » .

وفي ذلك اليوم ايضا ، قال الشاعر الدكتور انور الزعيم ، وهو ممن نهلوا العلم على يدي الفقيد :

أنا عبد للذي علمني
وتتلمذت على كتابه
يا شموخي واعتزازي كلما
قلت اني كنت من طلابه
لم يمالىء غاصبا مستعمرا
يوم كان الجل من أذنابه
لم يداهن أو يهادن طاغيا
أو يعفر شعره في بابه

كما أنشد الاستاذ محمد خطيب عيان قصيدته التي بدأها بقوله :

يا اخوتي كان فيما بيننا عمر
يحيا بواقعنا ، ينسى ويدكر
يثور ، يرضى ، يغالي في تأمله
ويستريح ، وقد ينتابه الضجر
معلم ، ومرب في طبيعته
يؤلف الفكر ، يستجنيه ، يعتصر
يرضي الخليل وسيبويه ، منفتح
وطبيب القلب ، سماع ومبتكر
لكنه شاعر حلت بدارته
عرائس الشعر ، والاضواء والصور

وأشاد به الشاعر محمد منذر لطفي فقال :

يا شاعرا زحم الشموس بجانحيه .. وما يزال
لك في النضال مواقف غراء .. خلدها النضال
أمسيت في الليل السنا، وغدوت في الساح النصال
أرخصت في سبل المعالي كل مرتخص وغال
وأذبت في صمت شموع العمر ، واخترت الظلال

لقد كان أبو طريف ، عليه شآبيب الرحمة ، أمة وحده ، وهذا ما صدقه الخبر والعيان ، فلا نغالي اذا قلنا انه خلف فراغا لا يملأ ، وصدعا لا يرأب ، في ميادين العلم والادب ، وفي رياض الشعر ايضا .. هذا الشعر الذي يصور لنا حياته الذاتية من جهة ، ويعكس جوانب كثيرة من عصره ومجتمعه من جهة أخرى . وكم كانت فرحته عظيمة حينما اعلن الاستاذ مدحة عكاش – في أريحية نبيلة – استعداده للقيام بطبع ديوانه شاعرنا ، يوم حفلة التكريم . ولقد كانت فرحة الشاعر اعظم يوم تولت ذلك وزارة الثقافة في القطر العربي السوري ..

وللحقيقة والتاريخ اذكر في هذه المناسبة انني صحبت أباطريف مدة طويلة تنيف على ربع قرن ، أفدت فيها من ادبه واخلاقه وعلمه ، وعرفت كثيرا من جوانب حياته الفنية ، وكان لي شرف القيام بجمع اشعاره وترتيبها ، بعد ان نسخت ديوانه كله بخط يدي منذ بضعة عشر عاما ، وكنت استحثه على أن يمدني بكل ما لديه ، فكان يعطيني – على استحياء – اضمامة بعد اضمامة حتى انتهيت منها جميعا .. في مجلد ضخم ، واسعدني الحظ بعد ذلك فقرأت عليه ديوانه مرتين قبيل وفاته ، وقمت بضبطه ، والتعليق على ألفاظه ببعض الشروح ، وعرضت ذلك عليه فرضي عن صنيعي ، وقدم نسخة عنه الى وزارة الثقافة .. واليوم يظهر الجزء الاول من هذ الديوان بعنوان (ديوان عمر يحيى) وهو العنوان الذي آثره لهذه المجموعة من اشعاره ، بعد أن كان ينوي تسميتها (سراب عمري) . ويشرف على طباعته مشكورا الدكتور عدنان درويش .

ويضم الديوان الجديد مختارات الديوان القديم الذي صدر سنة ١٩٣٦ بعنوان (البراعم) ونفدت نسخه ، مع القصائد التي نظمها الشاعر بعد ذلك التاريخ(٣) ، ولكنه لا يضم كل شعره ، بل هناك قصائد كثيرة لم يثبتها فيه ، واوصاني – رحمه الله – بأن تطبع في المستقبل ، ويكون عنوانها : (الفائت من شعر عمر يحيى) .

وأذكر انه كان يحدثني – ونحن نقرأ الديوان – عن مناسبات قصائده ، وبعض ذكرياته وخواطره التي يختزنها في حافظته ، عن الماضي البعيد والقريب ، ولا غضاضة في أن ينقد بعض الابيات من شعره نقدا قاسيا ، كما يزهو ببعضها احيانا

أخرى . وان أنس لا انس – وانا اعرض هذه الذكريات – تلك الجلسة التي ضمتنا في ليلة شتوية باردة في منزله بحلب ، وألح هو على أن يقرأ القصيدة الاولى ، على الرغم مما كان يعانيه يومئذ من آلام ، فلم اجد بدا من الاذعان .. وكانت القصيدة بعنوان (يا نفسي) . وادركت السر .. لكأنه ينعي فيها نفسه . ولقد قرأها علي والغصة لا تفارق حنجرته ، والدمع يكاد يطفر من عينيه ، واشهد انني لم اتأثر بقصيدة مثلها في ديوانه كما تأثرت بها ، فقد حلق فيها الى سماء الابداع ، ووصل حبله بحبل أبي العلاء المعري ، في نظراته العلوية ، وتأملاته السامية ، وتحليلاته الفلسفية وكان قد نظمها عام ١٩٧٠ ولضيق المقام اكتفي منها بالابيات الآتية ، والقصيدة كلها من الاعلاق النفيسة(٥):

جهلتك نفسي ، غير علمي بأنها
ستبعدك الايام ، رغم الرضى ، عني
وأما زمان كان فيه اجتماعنا
فذلك مما لم يحط علمه ذهني
وكيف بقائي ان اطلت يد النوى
عليك ؟ وما حزني ؟ سيقتلني حزني
وما حال جسمي بعد نأيك يا ترى
يحور رمادا للرياح وللمزن
افيدي بيانا ، اين قصدك والسرى
وما منتهى تلك الطريق التي تضني
أراني حيرانا ، واخلق بحيرتي
أفتش عن خاف ، أنا هو في الظن
ويا نفس عشنا الدهر تربين ، شدة
تمر ، وطورا في الرخاء بلا ضغن
يعز علينا البعد ، أنت عليمة
بما يشتكيه القلب من لوعة الحزن
فرحماك ان حال التباعد فليكن
على غير علم من فتاك ولا اذن
دعيني انى شئت في بؤس غربتي
وظلمة يأسي غير سائلة عني
فان حان يوم الوصل تلقين مغرما
ببسمة حب منك تقضي على الوهن

هكذا كان شاعرنا يحس بالموت دائما ،ولكن هذا الاحساس غلب عليه بعد أن سبقه الى المنون خلصانه الاصفياء : ابراهيم العظم ، وبدر الدين الحامد ، وقدري العمر ، وعثمان الحوراني وصبري الاشتر ... وكثيرا ما كان يذكرني بقصة حافظ ابراهيم مع زملائه الذين سبقوه الى المنية ، ثم لحقا هو بهم . ذلك انه لما توفي الشيخ محمد عبده ، رثاه على قبره ستة ، كان آخرهم حافظ . واتفق ان ماتوا على ترتيب وقوفهم في الرثاء ، فلاحظ حافظ ذلك بعد وفاة حفني ناصف قبله ، فنظم قصيدة القاها في حفلة ذكرى محمد عبده ، واولها :

آذنت شمس حياتي بمغيبي
ودنا المنهل يا نفس ، فطيبي
قد مضى حفني ، وهذا يومنا
يتدانى ، فاستثيبي وانيبي
راعني فقد شبابي ، وأنا
لا أراع اليوم من فقد مشيبي

ولم يكن هذا الشعور يفارق عمر يحيى في اقواله وفي اشعاره ولا سيما حين يرثي او يتأمل . فعندما رثى صديقه الاثير قدري العمر سنة ١٩٦٢ ، قال(٦) :

أودع كل يوم من رفاقي
فتى ما ان تجود به القرون
اخلاء الصفا عني تواروا
تباعا ، فالفؤاد أسى ضمين
اذا طالعت ذكراهم ابى لي
لذيذ النوم عادية زبون

وعندما أحيل على التقاعد ، نظم قصيدة بعنوان (متقاعد) قال فيها عن نفسه :

ثم انثنى يبكي على فائت
يروي الليالي طيب انغامه
أصحابه ، لم يبق من صحبه
غير الرؤى ، يا طيب ايامه
ذرتهم في كل أفق وما
أبقت يمين الدهر في جامه
أضحى غريبا ، وامحى كل ما
جناه من اطياف اوهامه

ويبدو ان هذا الشعور كان يلازمه منذ شبابه ، كلما ضاق ذرعا بالحياة ، أو برم بها نفسا ، فقد ارسل سنة ١٩٣٠ – وهو في البحرين – صورته الى صديقه الشاعر المرحوم بدر الدين الحامد ، وقد لبس العباءة ، وعلى رأسه « الحطة » والعقال . وكتب خلف الصورة الابيات التالية التي تعبر عن الوفاء من جهة ، والخوف من النوى من جهة اخرى ، ولم يثبتها في ديوانه الجديد :

قلبي اذا عرضت ذكراكم دنف
يشكو النوى ويقاسي ذلة العاني
يا « بدر » هذي النوى لم تبق لي رمقا
فاذكر اساي لاخواني واوطاني
واحفظ خيالي اني لا أرى أملا
لي في الرجوع ، فقد لا تشهد الثاني

وهذه الابيات تظهر كذلك ، حبه لوطنه ، وكأن غربته زادت في لواعجه وحنينه ، وهو لا يزال في ريعان عمره ، وكان هذا دأبه في اسفاره ورحلاته ، حتى انه سافر مرة في بعثة ثقافية الى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٦ وكان يومئذ مديرا للمعارف (التربية) بحماه ، ومر في طريقه بسويسرا والنمسا ، وزار روماوالفاتيكان ، ثم عاد بعد شهر وهو يتمثل بقول ابي العلاء المعري ، في آخر محاضرة له القاها عن رحلته تلك ، مستبدلا الغرب بالكرخ :

وماء بلادي كان أعذب مشربا
ولو ان ماء « الغرب » صهباء جريال

* * *

تلك بعض الذكريات التي تربطني بالشاعر المرحوم عمر يحيى، وما هي الا غيض من فيض ، ووشل من بحر ، وارجو ان يتاح لي في المستقبل نشر اضمامة اخرى من هذه الذكريات ، ففيها ما يمتع ويفيد . كما ارجو ان انتهي في قابل الأيام من جمع آثاره النثرية ، فان له بحوثا رائدة نشرت في مجلات الوطن العربي وصحفه : كالحديث ، والكشاف ، والميزان ، والزهراء ، والمرأة وغيرها ، تناول فيها تراجم عدد من الاعلام : كأبي فراس الحمداني وزرياب المغني ، وابن المعتز ، وخالد الكاتب ، والببغاء ، وابي اسحق الصابي ، وابي علي القالي ... الخ

وله بعض المؤلفات التي لا تزال مخطوطة ، مثل : الاحنف بن قيس ، وكتاب اللحى ، ومحاضراته التي ألقاها في كلية الآداب في مادتي النحو والعروض ، ومجموعة من القصائد المترجمة عن الفرنسية والتركية . ونثره بليغ ، متين السبك ، حلو الديباجة، في بيان ساحر ، وانشاء آسر . وكنت قد بدأت عملية الجمع هذه قبيل وفاته ، ولكنه فارقنا ونحن نعلي الأساس فتوقف العمل .

رحم الله عمر يحيى رحمة واسعة ، واكرم مثواه ، وسلام عليه في الخالدين ، مثوبة لما قدمت يداه لوطنه وطلابه الكثر ، من مآثر ومكارم سوف تبقى منارا للاجيال ، ونبراسا لكل مستضيء .

١٦-١٢-١٩٨٠ محمود فاخوري ـ حلب

الهوامش :

١ ـ اصدر الاستاذ مدحة عكاش عددا خاصا من مجلة الثقافة (ك ٢ : ١٩٧٨) يضم الكلمات والقصائد التي القيت في ذلك المهرجان .

٢ ـ من رسالة كتبها الى صديقه الاديب الاستاذ فريد جحا ، وكانا قد زارا الشاعر في منزله بحلب في خريف ١٩٧٨

٣ ـ ارسلها غوليه الى الاستاذ فريد جحا الذي ترجمها الى العربية ، وكان غوليه قد عمل في التدريس والتفتيش بحماه وحلب وانطاكية منذ نصف قرن ، حيث تواشجت أواصر الصداقة بينه وبين ابي طريف .

٤ ـ كتبت بحثا مسهبا عن شعره بعنوان (عمر يحيى الشاعر) ونشر في عدد كانون الثاني ٩١٧٨ من مجلة الثقافة .

٥ ـ انظر القصيدة كاملة في ديوانه ١٦٢/١ الذي اصدرته وزارة الثقافة ١٩٨٠ .

٦ ـ ديوان عمر يحيى ١/ ٦٠ ، ٦١



شمس الربيع وحدها الدافئة

بقلم : بدر الدين حاضري

وصل الى العاصمة صباحا ، وفي نيته انجاز اعماله ، والعودة في المساء الى مدينته النائية حيث زوجته وولده الصغير . وقف في موقف عام ينتظر سيارة اجرة ، وطال الانتظار ، فسيارات الاجرة لاتكاد تقف حتى يخطفها غيره من المنتظرين . انه لم يتعود ان ينتزع حقاه في الحياة انتزاعا ، وكان دوما ينتظر دوره ، ولذا كان دوما ترتيبه الاخير ، وربما لم يكن له ترتيب ابدا ، لكنه الآن مضطر للتحرك في حزم واصرار فقد مضى كل من كان ينتظر معه الى غايته ، ولم يبق غيره ، وغير تلك الفتاة الرشيقة بحقيبتها المدرسية .

لو انه رآها قبل عشرين عاما لعرض عليها أن تشاركه ركوب سيارة أجرة ، ولاوصلها الى حيث تريد ، ثم يمضي لانجاز اعماله ، ومن يدري فربما كان ألغى كل عمل له ، واصبحت هي عمله الاول والاخير . انه الآن يطرق أبواب الخمسين طرقا عنيفا وهي ما تزال زهرة تتألق في هذا اليوم الربيعي المنتزع من قلب الشتاء . كانت أجمل شيء وقعت عليها عيناه منذ أن طلق ايام الصبابة والصبا ، وكانت مثله حائرة في انتظارها ، لا تكاد تتقدم من سيارة حتى تسبق اليها ، نظرت اليه ناعمة مستنجدة ، احس بسعادة لم يحس بمثلها منذ زمن بعيد . كانت عيناها قد ألفتا منظره وهو يقفز عبثا نحو كل سيارة قادمة ، تقدمت نحوه وقالت :

– انا ذاهبة الى الشاطىء ، وأنت ؟

– أنا ؟ الى أي مكان ، الى كل شواطىء الدنيا ، الى كل بحار العالم .

دفعته عيناها نحو أول سيارة قادمة ، ليقتحمها في حزم وخفة جذبها من يدها فانقادت اليه طيعة لينة ، وغابا معا داخل السيارة ، دون ان يعبأ بأحد . ظلت يدها نائمة في يده وقال للسائق : ٩٥ شارع الجلاء

نظر في بحار عينيها فلم يجد أي صخب اواحتجاج بل رآها تقترب منه ، وتسكب على كتفه شلالا من حرير دافىء . وقعت عينه على حقيبتها المدرسية ، واستقرت عليها قليلا ، وحين رفع نظره الى عينيها ، ابتسمت في براءة وقالت :

– انه أبي ، لقد جعل من البيت سجنا لا يطاق .

– اذن أنت ذاهبة الى المدرسة ؟

– وسأعود الى السجن في الثانية عشرة تماما .

سحب يده من يدها ، وأحس في داخله بشيء يتمزق ، وأحست هي أنها آلمته فبادرت الى القول :

– ما اجمل اشراقة الشمس في يوم من ايام الشتاء انها تكسبك دفئا لذيذا لا تستمتع به حتى في أيام الربيع .

(آخ انها طعنة اخرى)

ونظر الى فوديه في مرآة السيارة ، وحين ضمتهما الغرفة الصغيرة جلس الى جانبها ، واستعاد زرقة البحر في عينيها « ألاما أجمل عينيها » وتركها تتحدث ونسي نفسه ، وقضاياه التي قدم من اجلها ، لم يقاطعها أبدا ، كانت يده ترشف الحياة من يدها ، وفجأة نظرت الى ساعتها ونهضت ، ثم حملت حقيبتها المدرسية ومضت نحو الباب .

– غدا في التاسعة والنصف .

ثم مضت وتركت وراءها ، ظلالها وعبيرها ، والصور التي رسمتها على جدران الغرفة . وظل هو قابعا في مكانه ، يستعيد تلك الظلال والصور ، ويود لو أمسك بذاك العبير ، ليحتفظ به يوما أو بعض يوم ، ومن يدري فربما لا تعود .

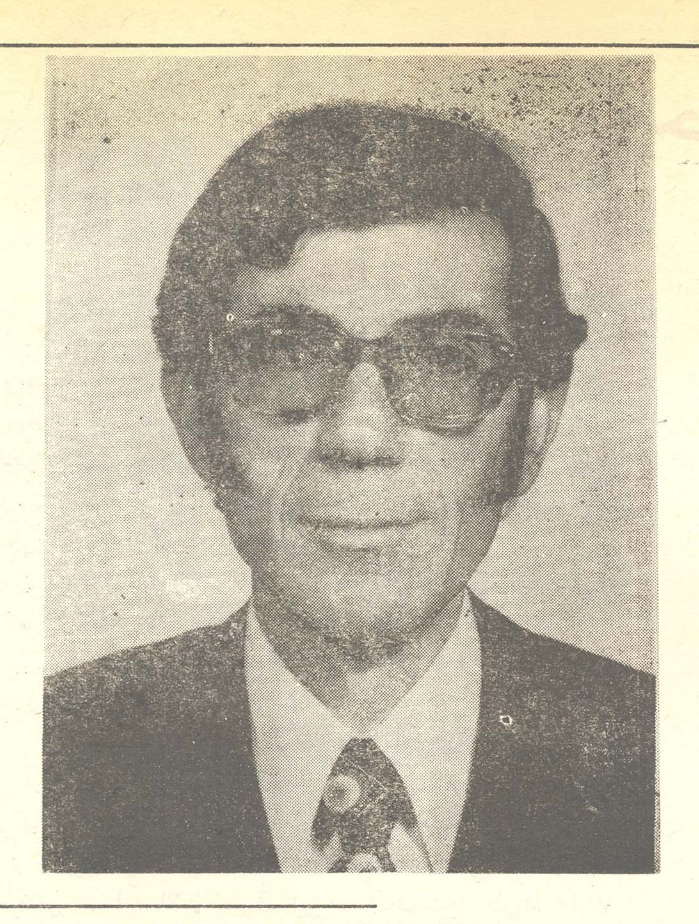
لا يعرف كيف أمضى بقية يومه وليلته ، ولكنه بدأ ينتظر التاسعة والنصف منذ أن اغلقت الباب وراءها ، وتعلقت عيناه بعقارب الساعة يستحثها ، ويلعب بها فيقدمها ويؤخرها .

فتح عينيه في الصباح ، وأحس بثقل في رأسه ، لكنه سرعان ما استعاد نشاطه ، حين تذكر موعد العطر والظلال . جلس حيث كانا يجلسان بالامس ، وأخذ يعد نفسه لسعادة مقبلة ، وتناول صحفا قديمة ، قضى بين اعلاناتها وعناوينها ، اللحظات الحرجة التي سبقت موعد قدومها .

انتظر وطال الانتظار ، واتهم الساعة بالخرف ، ثم نظر الى الشارع فرآه مبللا ، ورفع عينيه الى السماء فرآها مكفهرة ، ونظر الى الساعة فكانت الثانية عشرة .

هطلت الامطار بغزارة ، ومضى نحو المدفأة يوقدها ، وعاد الى مكانه يدخن ويتذكر وقال في سره : شمس الربيع وحدها هي الدافئة .

بدر الدين حاضري



نظار نظاريان

بنيامين نوريكيان

قاص وناقد

* بقلم : نظار نظاريان

قاص وناقد ، ولد في قرية حسينيك من قرى مدينة خربوط (في تركيا) عام ١٨٩٧ تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ، ثم هاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ ، واشتغل هناك عاملا في النهار وطالبا في الليل لمدة عامين . انتسب الى جامعة كولومبيا فرع الآداب وتخرج منها سنة ١٩٣١ ، مارس الكتابة منذ أن كان في مسقط رأسه . وفي سنة ١٩٣٦ أصدر مجلة ادبية بعنوان : نور كير (الكتابة الجديدة) . فالتف حوله عدد كبير من الادباء الارمن في المهجر .

نوريكيان كاتب قصص قصيرة معروف ، وناقد ادبي ، محور قصصه يدور حول الحياة في القرية ، وحياة المهجرين من ابناء قومه في العالم الجديد . جسد في قصصه حياة بسطاء الناس في قريته ، في مسقط رأسه ، وفي وطنه ، بقي عالقا بذكريات ذلك الوطن والشوق يحز في نفسه الى ترابه ، صور في قصصه حالة اولئك المغتربين الذين أصبحوا عمالا في المعامل وكادحين تسحقهم الآلة في عالم الصناعة الذي لا يرحم . نلاحظ في ادبه صدق التعبير ودقة التصوير ، وفنية تحليل خلجات النفس وامنياتها بكافة وجوه الواقعية ، فهو يعرف كيف يعبر عن معاناة ابطاله بأدق التعامل الانساني في مختلف الظروف ، كاشفا نتيجة الاستغلال في عصر الصناعة التي تسحق الانسان البسيط سحقا دون هوادة ولا رحمة .

صدرت له مجموعة قصصية بعنوان (نفوس مغتربة) ، وصدرت مجموعته الثانية ايضا بعنوان (شوق الى الوطن) ، وفيها قصص ومقالات نقدية ، وله ايضا ترجمات عن الادب الامريكي مثل مارك توين وغيره .

مكنسة مستهلكة

كأنها طريق الماء في القرية ، السفر من الوطن الى امريكا ، ومن امريكا الى الوطن للمرة الثالثة خلال عشرين سنة ، سافر الى امريكا ثم عاد بطريق البحر والبر ، وكادت الثلاثة أن تصبح عما قريب ، اربعة عندما انفجرت الحرب فجأة .

وطأت قدما الاخ آكوب ارض امريكا مواريا في أعماق قلبه شوق الوطن . تعلق بتلك الارض بأظافره كالبحار المشرف على الغرق الذي يتعلق بخشبة تلتمع وسط المياه المزبدة بكل جوارحه بيديه برجليه .

– (حالتنا تعبانة ، اخيرا صرنا بضاعة امريكية) . هكذا كان يفكر الاخ آكوب .

بضاعة امريكية ، تعني حفنة من العلك من اجل فم العم سام الفعال حيث كافة القوميات الملقاة هناك – من ابناء العالم القديم من المغتربين يصبحون مزقا مزقا .

ـ (اخيرا صرنا بضاعة امريكية) ، كان يتمتم بينه وبين نفسه الاخ آكوب كل صباح عندما كان يدخل المعمل من بابه الجانبي ، وتحت ابطه صرة غدائه .

كل صباح ، أي في الساعة السابعة والنصف ، كان الحارس الليلي يغادر المعمل وهو يسعل ،بكرشه المنتفخ وعينيه المتورمتين. الصافرة تصرخ كأنها تتقطع قطعا قطعا ، المحرك يبدأ بالعمل . باط ، باط ، باط ، دواليب كثيرة تدور ، وقشاطات تعمل متعانقة .

الاخ آكوب وقد ارتدى لباس العمال الازرق ، يحمل على رأسه قبعة سوداء قذرة ، وبين يديه المكنسة الثقيلة مع عربته اليدوية المدورة الصغيرة . الآن يعمل .

ـ صباح الخير بارون آكوب . يحييه دومينيك الايطالي بلغة ارمنية بكل جرأة وصراحة ، وكان قد تعلمها جملة فجملة من أجل خاطر الاخ آكوب .

ـ بون جيورنو . يجيبه المكنس ، وهو يمر وعلى شفتيه ابتسامة .

فطور مجاني ، لكنه مر ، يقدم اليه بطريقة حلوة جميلة . لكن الاخ آكوب ، في حقيقة الامر ، لا يستطيع بلعه ، وان بلعه لا يستطيع هضمه دون ان يطلق اغلال لسانه ليفرغ ما في داخله من عاصفة غضب .

الواقف هناك قرب السنديانة الحديدية ، هو الحداد بشاربيه المقوسين ، ووجهه المشحور هو رجل صقلي بعينين لامعتين ،يطرق قطعة حديد حامية بمطرقة في يده ، والعرق يسيل كالنبع من على صدغيه .

المنفاخ ينفخ من بطن الاتون .

للحظة ما يتجول الاخ آكوب حول الاتون مع مكنسته وعربته ، يكنس ويمسح جبينه بحفنة من الخيوط يخرجها من جيبه ،ويقدم حفنة اخرى الى الحداد ، ويبتعد وهو يتمتم بينه وبين نفسه . ـ (حتى الحديد يذوب امام تلك النار ، حتى الحديد ، سبحان الله لهذا الرجل) .

رائحة الزيت المحترق الحادة الرطبة هي زفير هذه الآلات تملأ طابقي المعمل وتذهب متسللة من باب الموظفين النظيفة المهواة نحو الداخل ، كلما فتح ذلك الباب بحذر وصمت .

في كل مرة ، عندما يفتح ذلك الباب ، فالخارج منه هو الناظر العام . انه ألماني برقبة الثور ، وبكرش ممتلىء ، معروف عند الجميع حتى ظله ، بوجهه البارد الغليظ كالآلات .

هو الناظر العام . انظروا . الاخ آكوب يضرب المكنسة على الارض بقوة اكثر ،ويسوق العربة من بين الآلات بأسرع من ذي قبل المنفاخ يلهث بسرعة اكثر . المطارق والمبارد تتسارع . الافواه مقفلة والعيون مفتحة . العرق يسيل بسرعة اكثر وأحر من الجباه والصدور والظهور ، انه الناظر العام .

ـ تفضل ايها الناظر العام ، واذا سمحت تذوق انت أيضا مرارة رائحة هذه الزيوت المحترقة التي تطاردني اينما ذهبت وحيثما حللت ، انها تملأ انفي وفمي . ـ يشكو الاخ آكوب بينه وبين نفسه. ـ طبعا باللغة الارمنية ـ ويهز رأسه هزة خفيفة .

كأن القشاطات الدائرة تصيح بنغم واحد .

ـ لك الحق ، لك الحق .

وسندانة الحداد هناك تجيب .

ـ لك الحق ، ايها الرفيق الحيوان ، لكن لا تشك ، فأنت أيضا مثلي يجب ان تصمد طالما لم ينفصم ظهرك الى قسمين ، يجب أن تعمل .

الاخ آكوب رجل قروي ، قروي ارمني ، فهو في الحقيقة لا يخاف من العمل ، والدليل على ذلك تلك المكانس التي استهلكها وبقاياها ، والشاهدة بصورة خاصة ، هي تلك النظافة السائدة ابدا في المعمل ، في كافة الممرات ، في جميع الزوايا . لكن لماذا البكاء ، ففي نهاية كل اسبوع عندما يمزق غلاف اجره الاسبوعي يتجسد القرف على وجهه ، فأجره الاسبوعي تسعة دولارات واحد عشر سنتا .

السنوات تمر تجر نفسها جرا الواحدة بعد الاخرى . يكنس . ويكنس حتى تتآكل ارضية المعمل الخشبية وتعتق . اظافر خفية تنتف شيئا فشيئا خصلات الشعر المتمردة من ناصيته ، ثم تحصد شعر رأسه الغزير شعرة فشعرة ، وتصف على طول خط شاربيه وحاجبيه شعرات بيضاء . عيناه اللتان كانتا في وقت ما ـ ينبوعي نور ـ تأخذان الآن شحوب سراج نفد زيته . سمعه يثقل .ينحني كتفاه ، ويغدو ظهره قوسا .

وتثقل المكنسة ثقل الرصاص بين انامله المرتجفة . العربة

الصغيرة المدورة تسيربحركة السلحفاة بين الممرات في المعمل . رفاق عمله القدامى والجدد ، الكل دون تمييز ، انهم وجوه اهلية لديه ، يكلمونه بكل حلاوة ولطف .

هاجم الزمن وجه الناظر العام ايضا ، حفر هناك ، بمطرقة فعالة وحفارة ، شبكة من الخطوط رفيعة عميقة طولا وعرضا .

ان طابقي المعمل الواسعتين قد نميا وازدهرا بطابق ثالث ورابع وخامس ، جلس الواحد على متن الآخر .

الشيء الوحيد الذي بقي معاندا كل تغيير هو ، ذلك الغلاف الهزيل الاصفر الذي يحمل أجر الاخ آكوب الاسبوعي ، حيث تخرج من جوفه المشقوق ، في كل مرة تسعة دولارات واحد عشر سنتا دون زيادة ولا نقصان .

ذات صباح ـ ليته لم يطلع ـ في غرفة الموظفين حيث كانوا قد استدعوه ، حطت يد ثقيلة على كتف الاخ آكوب الثقيل ، وصوت معروف عنده ، ملأ اذنيه بنغم قطعي رسمي . ـ ابتداء من الغد .. آسف ان أقول .. لم نعد بحاجة الى عملك عندنا . مع السلامة .

ارتفعت القبضة الثقيلة عن كتف المكنس العجوز ، ولكن الكلمات الرسمية القاطعة فقد غاصت غارقة حتى قعر نفسه المضطربة .

ـ ولكن يا سيدي الناظر العام .. اشكرك ـ تمتم بصوت اليم مخنوق وهو يكاد يمزق القبعة القذرة بانامله ، وقد أحنى رقبته ، ودخل قسم العمال بخطوات بطيئة . تناول من جديد المكنسة والعربة ، وللمرة الاخيرة . ولكن عقدة قديمة شدت في رأسه بقوة و ... فجأة انطلقت ، كأن شيئا مجهولا تهدم فوق بطشه البعض . شعر بألم هائل ، ومرارة ، ويأس الشيخوخة المشردة التي كانت تلف وجوده كله ، تخنقه كزوج من الافاعي .

أحس بهول وألم الشيخوخة المشردة ومرارتها .

يشهرون السكين أمام الثور العجوز ويذبحونه ثم يرمون بلحمه وكبده امام الكلاب والفقراء .

ـ الحصان العجوز اما يقتلونه بالرصاص او يتركونه في المروج حتى يلاقي حتفه .

العامل الذي تتقدم به السن ، المكنسة المستهلكة المثقلة بالقذارة ، يلقونها جانبا باهمال ، ويشترون بدلا عنها واحدة جديدة . الى كان قد سمع هذه الكلمات النارية ، وممن . لا تسألوا .

واصبح هو ايضا مكنسة مستهلكة متآكلة تحت ثقل السنين .

اصبح هو ايضا ، اخونا آكوب ، مكنسة تآكلت عبر السنين وعتقت . انه مكنسة مستهلكة في نظر العالم ، أو اكثر من ذلك . انه قطعة من نطار (فزاعة) أليمة بشكل انسان ، الآن ليس هو الا قطعة من خرقة بالية .

ويرمي الاخ آكوب بنفسه من باب المعمل خارجا ، كأنه حمل لا قيمة له .

في قعر جيبه يستقر فقط غلاف مدعوك ـ آخر اجره الاسبوعي ـ تسعة دولارات واحد عشر سنتا .

العالم شاهد على ما أقول ، ان الاخ آكوب قد باع بذلك المقدار فقط ايام عمره وشموسه ، يشهد العالم .

نظار نظاريان ـ حلب

برج ايفل

للشاعر: نهاد رضا

أ ـ برج ايفل .. يا له من عمل رائع !
ب ـ آوه .. انه مجرد حديد خردة .
أ ـ لكن .. منه يرى المرء ضواحي باريس .
ب ـ منه . لا يرى المرء فرنسا الحلوة .
أ ـ لا ينقصنا الا ان يرى العالم .
ب ـ لم لا ؟!

● ● ●

أ ـ في أعلاه مطعم يتناول فيه المرء أحسن طعام .
ب ـ لا بد أن لديك الكثير من الدراهم يا عزيزي .
أ ـ لا أمتلك القدر الكافي .
ب ـ الآخرون اذن .. يأكلون بدلا عنك .
أ ـ لهذا السبب أحس بجوع شديد .
ب ـ لست الجائع الوحيد على الارض .

● ● ●

أ ـ في أعلاه . يرقص الناس .. أليس كذلك ؟
ب ـ أنا لا أعرف الرقص .
أ ـ لعمري .. ان البرج يتمايل .
ب ـ لا بد انه ثمل .
أ ـ انه حديد خردة . لا يحتسي .
ب ـ كم ابتلع من تكاليفه ؟

● ● ●

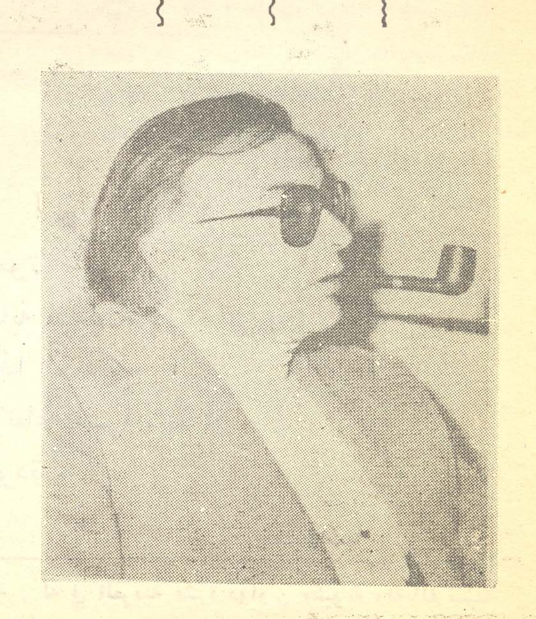
أ ـ يستخدمونه في البث لاسماع صوتنا .
ب ـ حقا .. انه اذن بمثابة مئذنة .
أ ـ أواه .. كلا .. ليس الى هذا الحد .
ب ـ مع ذلك .. فهو يبلغ في ارتفاعه عشرا منها .
أ ـ لا تنس .. انه مجرد حديد خردة .
ب ـ اذن .. ما نفع هذا المعدن ؟

نهاد رضا

الشاعر نهاد رضا ينظم الشعر باللغتين العربية والفرنسية . له في العربية عشرة دواوين مطبوعة وله بالفرنسية ثلاثة دواوين . وقصيدة « برج ايفل » احدى قصائده باللغة الفرنسية .

حوار مع الأديب : وليد اخلاصي

وتجربته القصصية



● لا تخلو كلية علمية من مخبر مهما كانت بساطة هذا المخبر ومخبر كلية الآداب يختلف عن بقية المخابر فهو اكثرها حياتاوحيوية يضج بالافكار والمناقشات والزيارات .

تلتقي فيه الخبرات الادبية من كافة الاجناس . ويتلقاها الطلاب بشراهة تضعهم وجها بوجه مع الادباء ولولا هذه اللقاءات الادبية لكانت كلية الآداب حجرا جامدا يتعلم طلابها قواعد النحو والاملاء . ولكن هذه الزيارات جعلتها تضج بالحركة والولادة والانفعال المستمرة .

وآخر زيارة قام بها اديب حلب الاستاذ « وليد اخلاصي » وذلك في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثلاثاء الواقع في اليوم الثاني من شهر كانون الاول حيث اجاب عن الاسئلة التي وجهت اليه من قبل الطلاب الحاضرين .

ولتكون الفائدة وافية لم يكن الاستاذ وليد يرد على السؤال بجواب مختصر كما يفعل أي اديب عند اجراء مقابلة صحفية معه بل كان يتكلم عن ظروف وحالات يمر بها الى ان يصل الى فكرة شاملة يقدمها للسؤال .

● في بداية الحديث قال الاستاذ وليد : اسألوني عما كتبته لا عما أقوله في حياتي اليومية او في الصحف وذلك لتكون الاسئلة ضمن اطار معين فتكون المحاورة ايجابية .

وعلى هذا سأورد ما طرح على الاستاذ من اسئلة ومن ثم اتلي السؤال اجابته .

● استاذ وليد نحن رأيناك قاصا ومسرحيا وروائيا واحيانا نراك شاعرا وسمة هذا العصر التخصص فأين هو موقعك من التخصص ؟

ـ صحيح ان هذا العصر هو عصر التخصص وانا مؤمن بهذه المقولة الحديثة غير ان هذا لا ينطبق على كل فن او علم في الحياة كما لا ينطبق على الاجناس الادبية لاني عندما اكتب لا أخص كتابتي في جنس معين وخاصة اذا علمنا ان المسرحية من بقية الاجناس فالجنس هو الذي يملي نفسه علي وليس انا الذي أملي نفسي عليه

وهناك أمر آخر يمكن ان اقوله وهو أن الاجناس الادبية مهما اختلفت في مقوماتها تعود لتنطرح تحت جنس واحد وما الاختلاف بينها في الحقيقة الا اختلاف في الزمن . فالزمن في المسرحية زمن حقيقي اي أن احداث المسرحية تدور مثلا في مساء يوم خريفي وكذلك الحوار وغيره اي ان الزمن هو زمن واقع محدد في فترة معينة لا يمكن الانتقال فيه من قرن الى قرن .

والزمن في العمل الروائي هو زمن غير حقيقي عكس الزمن المسرحي وذلك لان الكاتب الروائي يستطيع ان يتحدث عن شخصية في زمن معاصر ويعود في بناء الشخصية والحوار الى قرون خلت اي أن الزمن ليس يوما بل قد يكون قرونا تحتضن اجيالا متعددة مختلفة التركيب والظروف .

والزمن في القصة : هو حالة انفجارية لانها تمثل ومضة من حياة انسان ما توضح فكرة معينة ترسم هدفا بلقطة وهو يختلف عن الزمنين الماضيين .

ولذلك لا وجود حقيقي لهذا التمزق او التخصص في الاجناس الادبية وأنا شخصيا املك القدرة على التحكم في جنس ادبي . اضافة الى ان الخبرة الذاتية تملي على الانسان ان يتجه نحو جنس ادبي معين وهذا ينطبق على كتاب القصة العلمية لان من واجبهم التخصص فلا يمكن ان يكتبوا قصتهم الا من خلال الحقائق العلمية وانا خارج نطاق هذه الحقائق في كتاباتي .

● استاذ وليد قلت في بداية حديثك : ان الاديب يتكلم شيئا ويكتب شيئا آخر وانا اقول : ان موقف الاديب يجب ان يكون مبدئيا فماذا يعني ان يقرأ الاديب قصة ولا يشعر انها تنطبق على حياته ولا بأنها له ؟

ـ ان المواقف المبدئية لا جدال فيها فلكل منا مبدؤه الخاص ولكني سأدافع عن الفكرة . هذا الانفصام في الشخصية انا أقصد فيه اقرب مما ذهبت اليه انت بكثير انا لا أريد ان اقول : انه يمكن للانسان او للاديب مثلا ان ينتسب الى حزب ويتكلم فيه وهو من جهة اخرى يعمل في حزب معاد للحزب الاول اي انه ليس من يقول ما يختلف عما يكتب هو متلاعبا متناقضا ولكني اقول لك عندما يسأل كاتب مثلا عن رأيه في القضية الفلسطينية ، يجيب علينا ان نحشد الجيوش ونشتري الاسلحة ونتدرب على كافة الظروف والاحوال ... مثل هذه الاقوال قد لا نجد لها تنفيذا في العمل الادبي ليس لانه غير مؤمن بما يقول ولكن لان العمل الادبي الابداعي لا يمكن ان يكون ردود فعل انعكاسية لما يقوله الانسان في حياته اليومية اضافة الى انه لا يمكن اضافة شيء نتيجة تصميم مسبق ولكن لا بد ان تكون هناك خبرة وثقافة وملاحظة ذكية ومناخ بعد الموهبة .

● استاذ وليد اننا نرى في اعمالك المسرحية التركيب الذهني هو الذي يسير تصاعد المسرحية اضافة الى اننا في كل عمل نراك تطل في الاسلوبية بشكل جديد فهناك اختلاف في التقنية بين قصة واخرى وانت قلت مرة انك تحب التجريب فهل وليد يسعى الى التجريب من أجل التجديد ؟

ـ ليس هناك ثقافة وجذور عربية في المسرح ومسرحنا متأثر بالمسارح الاوروبية وخاصة بالمسرح الايطالي وما التجريب في المسرح الا لهذا السبب اي للبحث من ولادة وتغيير وتطوير لمسرح عربي يحمل سماتا عربية اصيلة فانا مثلا ثقافتي المسرحية ليست من تراث مسرحي عربي بل جاءت من ظروف اتاحت لي رؤية المسارح العالمية والاطلاع على الكتب المسرحية المختلفة . وعندما كتبت اول مسرحية كتبتها على اساس عنصر الزمان والمكان والشخصيات معبرا عن شيء اسمه الدراما .

فما التجريب بالمسرح الا محاولة للانسجام معه وهذا التجريب في المسرح العربي قابل للذهنية لان الذهنية تغلب على المسرح العربي اكثر من اي مسرح والذهنية قائمة وتتجلى في اعمالي اكثر من غيري وهذا قصور وهو نقيصة في البنية الدرامية في عقل الثقافة العربية عامة وما الذهنية الا جزء من امتداد لشيء اسمه الثقافة العربية .

● استاذ وليد هل حدث ان الشخصية المرسومة في ذهنك قبل الكتابة تغيرت اثناء كتابتك للعمل الفني ؟

ـ نادرا ما تظل على ما هي ومثال ذلك بطل قصة الاعشاب السوداء فقبل أن اكتبها حدث أن قابلت امرأة فلسطينية وقصت علي قصتها الغريبة قالت : « زوجي مهندس يعمل في الخارج وهناك تنظم في احدى المنظمات الفدائية للعمل الفلسطيني ومنذ فترة كلف مع عدد من رفاقه القيام بعملية فدائية داخل الارض المحتلة واستطاع العدو القبض عليهم وجاءتني الانباء باعدامهم وبعد فترة أخبرت بأن ستة منهم لم يعدموا بل سلموا الى جهات أخرى وهم الآن في السجون وانا أبحث عن زوجي بينهم » فتركتها وقلت لها البقية في حياتك وبعد أن كتبت الاعشاب السوداء رأيت المرأة فقالت : من أعطاك التفاصيل انا لم اخبرك بها؟

ولذلك أقول ان مثل هذه التفاصيل أتت نتيجة الخبرة العربية بالقضية الفلسطينية وهذه الخبرة تدخل في سياق العمل الفني . وما تغير الشخصيات أثناء الكتابة الا من هذا القبيل يأتي من الخبرة والثقافة .

● لماذا يكتب الاستاذ وليد ؟

ـ أنا لا أسأل نفسي هذا السؤال وكنت قد هيأت جوابا لمن يسألني عن هذا ولذلك أجيبك بأن بدايتي كانت محاولة للتغطية او للتعويض عن النقص كأي انسان يشعر بنقص ما كأن يرى جسمه صغيرا بالنسبة الى أجسام رفاقه مثلا او ان فيه عاهة لا توجد بين زملائه وهذا ما يحدث كثيرا في المدارس فيحاول صاحب النقص ان يعوض هذا النقص بأمر ما وكل له طريقته الخاصة في

هذا وانا كنت ألجا الى الكتابة حين اشعر بالنقص وخاصة في حياتي الدراسية .

اما الآن فانا أكتب لاعبر عما اريد ان أقوله لاني عاجز عن برمجة هذا القول أو ما يدور في ذهني بالفعل فالانسان عندما يعجز عن الفعل لا يعجز عن الكلام وليس ما أكتبه للكتابة فقط او كما يقولون : الفن لجمالية الفن .

● ماذا يقول الاستاذ وليد عن اول وآخر عمل له من الناحية النقدية ؟

ـ لا أريدا ن اقول كما يقول البعض كلهم ابنائي وبناتي أحبهم جميعا ولكل منهم ظروف .

لكني في الواقع احب بعض الكتب وبخاصة الكتاب الاول وانفر من بعضها الآخر .

أحب الكتاب الاول لسببين :

ـ لانني قبل ان اطبعه مزقت حوالي ٦٠٠ صفحة وكانت بداية نقلة لي لانني لم احزن لما مزقت فكل مبتدىء لا بد وان يمزق الكثير ثم يكتب في كل يوم ويحرق في كل يوم .

ـ لانه وضعني في نادي الكتاب وهذا ما كنت اصبو اليه دخلت في غمار الادب وجعلني الكتاب بين الناس يكرهونه اويحبونه يعجبون به او لا ولكني اذا راجعته ـ وهذا ما افعله قليلا جدا لانني اخاف من مراجعة كتبي ـ فانا اتجاوزه .

والكتاب الاخير مخيف بالنسبة لي لان الكاتب حين يصدر آخر كتاب له لا يكون قد اصدر كلمته الاخيرة المفيدة وهو لا يدري قد تكون غير جيدة ولهذا فانا اخاف ان اموت قبل أن اقول الكلمة اللازمة اي قبل ان اقدم كلمتي المعسولة بالفائدة والجودة .

● استاذ وليد متى يكون الاديب ايجابيا في رأيك ؟

ـ انا ضد هذا المصطلح وليس هناك أديب سلبي في اعتقادي بل كل الادباء ايجابيون لان الادب يكون ايجابيا او سلبيا بنظرة الآخرين اليه وفي المكان الذي يحل فيه فمثلا « روميو وجوليت » لا يسمح بها في السعودية فهي سلبية هناك بينما في انكلترا ايجابية تمثل وتعرض وتقرأ حتى اليوم واكثر العشاق يموتون على طريقة (روميو وجوليت) ولذلك ان المواقف الادبية نسبية والادب لا يخرج الا من الضد وهو عمل سلبي ضد ما هو قائم وايجابي لما يجب ان يقوم فالادب متناقض في حد ذاته .

● استاذ وليد ما رأيك في شعبية الادب ؟

ـ للسؤال شكلان الاول ينبع من الموضوع ومن وسائل النشر المختلفة فمثلا : نزار قباني لولا اهتمامه النسائي لما عرف في نفسية الشعب . ونجيب محفوظ لولا « جهاز التلفزيون » لما كان شعبيا .

اما الشكل الآخر للسؤال يقول : هل هناك ادب يمثل الشعب العربي ؟

نعم هناك ادب يمثل الشعب العربي ولكن هناك أدباء ليسوا شعبيين وكتاباتهم شعبية كطه حسين .

● استاذ وليد ما رأيك في تحزب الاديب ؟

ـ انا متحزب ولكن تحزبي له بنود كثيرة اي انني لا اتعصب لامر معين لا بد لي من مناقشة موضوعية للامور فهناك متحزبون الى درجة التعصب فيقولون مثلا : الادب يجب ان لا يكتب الا عن الاستعمار . وهذا لا يمكن والا اصبح هناك تكلف وصناعة لان العمل هو الذي يضع نفسه والافكار والخبرة والثقافة هي التي تعطيك نموذجا او موضوعا ولذلك يجب على الاديب ان يكتب ما يشعر به ما يراه ما يمكن ان يكون ما يعاني منه .

● استاذ وليد لماذا نشعر بأن المرأة كيان مغضوب عليه عندك ؟ لماذا الموت عندك امرأة ؟

ـ هذا سؤال دقيق لا اريد ان اتكلم فيه عن موقفي تجاه المرأة لانني احترمها اكثر من الرجل أحيانا فهي صديقة واخت وزوجة وام وعندما لا تكون هذه المرأة امامي بالشكل الذي احمله لها اقف منها موقفا سلبيا . وانا لا أصور المرأة سلبية تافهة ككل كما اني لا اصور الرجل تافها ككل فهناك امرأة تافهة وهناك رجل تافه وانا ضد المرأة التافهة . اما الموت عندي امرأة لان في اعتقادي لا يمكن الفصل بين المرأة والموت وهذا يعود الى فلسفتي الخاصة بالحياة والحب .

● لماذا نرى الغموض في بعض كتاباتك ؟

ـ ربما كان صعوبة ولكن ليس ابهاما او هلوسة فليس هناك شيء غير مفهوم فكل نصوص شكسبير في اعتقادي صعبة ولولا النقاد والمحللون لما استطعنا ان نفهم نصوصه بيسر .

وانقطع الحوار فجأة بعد مضي ساعتين من الاصفاء والفائدة لوعد كان قد قطع معه من قبل ادارة الكلية بأن لا يتجاوز الحوار اكثر من ساعتين لماذا لا ادري ربما لاسباب فنية .

وخرج من ذلك الاستاذ وليد وابتسامة العطاء تغمر وجهه تقول وباستمرار امتع لحظات الحياة هي اللحظات التي اعيشها مع قرائي .

اجرى الحوار ـ يوسف اسماعيل ـ كلية الآداب ـ حلب

الإنجاز الكبير

علي بدور

كان يفكر دائما في أن يجد فرصته التي ظل يحلم بها سنوات عديدة . ولكنه لا يبدو مستعجلا . الحظ كائن ذو مواصفات متعددة الجوانب . أحيانا يلبس لبوس الانسان الذي يفكر فيه . فاذا كان الانسان ذا حيوية ونشاط كان حظه مثله في الحيوية والنشاط

واحيانا يكون الانسان بطيء الخطى ، قليل الاهتمام بتحسين أوضاعه المادية والفكرية فيكون الحظ الخاص به كسولا متباطئا في خطاه نحو السعي والجد .

ولكن سعيد كان رغم ظاهر الحال الذي هو عليه من حيث فتور الهمة وفتور السعي الا أنه في داخله كانت تمور نار موقدة ابدا في طلب الفرصة السانحة وكان عمله اليومي كموظف بسيط في دوائر الدولة . لا يتيح لهذه النار التي تمور في اعماقه ، ان تتفلت من عقالها لتخرج على السطح كما تخرج مكامن البركان

الذي يظل غافيا فترةطويلة من السنين ثم يتدفق منه اللظى في لحظات قصار .

كان عمله اليومي لا يتجاوز الدوام . ينفقها في استقبال المراجعين لاعطائهم مصدقات ملكيتهم لدور السكن : يختم المصدقة ويضع لها التاريخ ثم يناولها لصاحبها ليوقعها من المدير . لم يعد مهما لديه نوع المعاملة لانها كلها ذات نوع واحد . لم يعد يهمه صاحب المعاملة . لان كل اصحاب المعاملات من البشر الذين يملكون على الغالب عينين واذنين ورؤسا تحوي أفكارا وخواطر شتى

وكان طريق العودة من العمل يشبه طريق الذهاب اليه .. نفس المحلات والشوارع ، مرة كان يذهب وهو يسلك الجانب الايمن من الطريق . وفي العودة كان يسلك الجانب الايسر منه ولم يكن في حياته مما يجلب له الدهشة أو الانبهار .. او المفاجأة اذ لم يكن يريد ان يدخل في مثل هذه المتاهات التي لا يعرف لها نهاية او مصير .. وكان يريد دائما ان يكون تصرفه بحساب ، وان يكون تفكيره داخل حدود مغلقة من الامان والطمأنينة لئلا تصيبه المفاجآت بما لا يحمد من العواقب والمصير .

وكان كلما مر به بائع اليانصيب يبتسم في سره اكثر مما يبتسم علانية .. اذ كيف ينفق الناس أموالهم في امور كهذه لا يمكن ان تعود عليهم بالفائدة وكيف يغامر المرء في شراء ورقة يانصيب من ملايين الاوراق لتربح واحدة منها الجائزة الاولى . وكان السؤال الذي يقف عنده زمنا طويلا هو من يضمن له ذلك الربح او ان تكون ورقته في عداد الاوراق التي يصيبها الحظ لا محالة ، اذا كانت الجائزة الاولى غير مضمونة بشكل حاسم ؟!

وكانت مثل هذه الاسئلة التي يطرحها على نفسه واحيانا يداعب الباعة الصغار والكبار موضع اعادة كلما اراد أن يفكر ولو مرة بشكل أقرب الى الجدية في شراء ورقة يانصيب تكون في المكان الاقرب من الجائزة الاولى ان لم تكن صاحبة هذه الجائزة بالذات .

الا انه كان يتراجع في كثير من الاحيان حين لايجد الضمانة الكافية لمثل هذه الافتراضات التي كان يضعها لنفسه ويحاول ان يقنع بها ، ولو من باب المزاح ، باعة اليانصيب فلا يجد واحدا منهم يقبل منه هذه الشروط التي يصعب تحقيقها .

ذات يوم وهو في طريق الذهاب الى العمل ، حيث كان يسلك الطريق المحاذية للشاطىء وكان وهو يحمل حقيبته الجلدية السوداء ، كان هواء رطب محمل بعبير البحر يبعث فيه نشوة لا توصف ، وبين كل خطوة واخرى كان يسرح ببصره الى بعيد فلا يجد لافق البحر حدا .. وكان موج البحر الرقيق وهو يضرب الشاطىء الصخري يبعث صوتا موسيقيا يحرك اوتار القلب ويبعث في النفس شعورا بالفرح والاغتباط .. وفيما كان يفكر في لحظة ما بما تحقق له من أسباب السعادة ليجدها جد قليلة لا تتفق واحلامه في المستقبل .. الذي لم يكن يستطيع ان يضمن موطىء قدم فيه .. وهو لا يزال وقد يظل الى آخر العمر .. يستلم المعاملات ، فيضع لها التاريخ والخاتم ، ثم يسلمها لصاحبها ليوقعها من المدير .. دون ان يدقق كفاية في مضمون هذه المعاملة – أو في صاحبها لكثرة ما مر عليه من مراجعين .

وفيما كان يعاود التفكير في هذا كله .. مر امامه بائع أوراق اليانصيب . وعجب لاول وهلة .. كيف لا يذكر انه رآه قبل هذه المرة على كثرة صلاته بباعة اليانصيب ، فاستوقفه وتحدث اليه :

– هل عندك الورقة التي ستربح الجائزة الاولى !؟

فأجابه بائع اليانصيب وهو يبتسم ابتسامة ماكرة:
– انها عندي . ولكنني لا استطيع ان أتحدث اليك في مثل هذا الشارع المزدحم .. اتبعني .

وأحس سعيد بالدهشة لهذا الاسلوب .. كان اكثر الباعة عندما يسألهم هذا السؤال يقولون له مشيرين الى احدى الاوراق .. انها هي .. ويحس بالضحك من اسلوبهم فينصرف دون اكتراث . ولكن طريقة هذا البائع ادهشته على قلة ما في حياته من اندهاش ، فساقه الفضول خلفه .. الى ان دخل في شارع فرعي ووقف عند بناية شبه مهجورة وتطلع بائع الاوراق يمنة ويسرة فاطمأن لخلو الشارع الفرعي من المارة .. فأخرج له ورقة وحيدة من جيبه دون أن يعرض عليه أيا من اوراق الرزمة التي كان يحملها بيده ويلوح بها .

ولكن سعيد رغم احساسه بالدهشة لهذا الاسلوب الذي فوجىء به .. استعاد بعضا من وعيه القديم وبادر بائع الاوراق قائلا :

– هل أستطيع ان أثق بما تعرضه علي .. ثم من يضمن لي ذلك ؟

فرد عليه البائع بنبرة لا تخلو من الصدق في ظاهرها:
– انها ستربح الجائزة الاولى لا محالة . واذا لم تربح .. فأنا اقبل ان تعيدها الي .

وارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه سعيد وهو يقول للبائع :
– سأشتريها .. فاذا ربحت اعطيك جزءا من المكافأة ، ولكن المهم ان تربح .

الا ان صاحب الاوراق ختم الحديث بعبارة ادخلت الطمأنينة الى قلب سعيد :
– خذها .. واسترح من الذهاب كل يوم الى عملك وانت تحمل هذه الحقيبة .. ان الجائزة سوف تملأ الحقيبة ذهبا .

ودون أن يدري سعيد وجد نفسه يدفع قيمة الورقة للبائع ثم استلمها من يده ووضعها في جيبه بعد ان تلفت يمنة ويسرة واطمأن الى عدم رؤية احد أنه قام باكبر انجاز في حياته .

* * *

كانت الطريق الى مقر عمله لا تزال طويلة .. وشاطىء البحر يحمل اليه الانسام الرطبة .. فتبعث في نفسه شعورا بالراحة والسعادة ، وكان وهو يتحسس موضع الورقة في جيبه يطرح على نفسه سؤالا واحدا لم يستطع ان يجد الاجابة عليه:

– كيف عرف بائع الاوراق .. ان الورقة التي كان يحملها في جيبه سوف تربح الجائزة الاولى ؟!

وتابع طريقه الى مقر عمله .. ليتابع عمله اليومي في استقبال المراجعين ، ووضع التاريخ على المعاملات وختمها دون ان يلتفت كثيرا الى مضمون هذه المعاملات أو الى وجوه اصحابها .. اذ انه بعد أن اشترى ورقة اليانصيب .. اعتقد ان ايامه في الدائرة لن تطول !!

حلب – علي بدور

هي الدّنيا

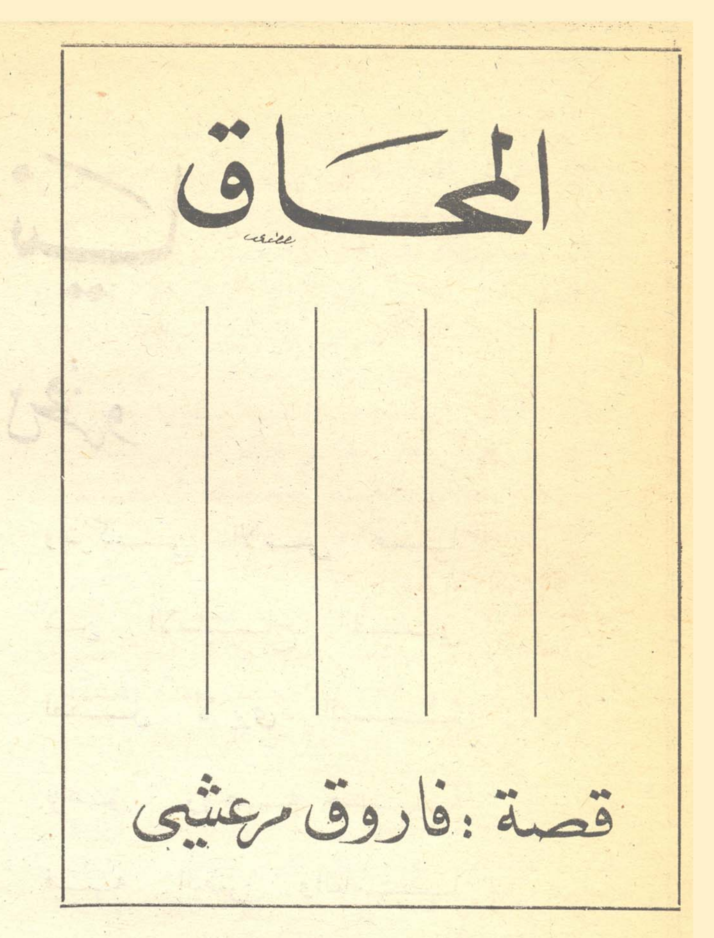
م: هلال فخرو

ألامس في الهوى الشمسا | ويتركني الاسى همسا
هي الدنيا وأحياها | من الاصباح للممسى
تسيل أظافري دمعا | لطفل لا يرى الشمسا
لوجه عابس القسمات | يزهق روحه جبسا
لغصن أجهد الصبيان | فيه النفس والفأسا
شغوف بالعيون الخضر | لامس رمشها « ورسا »
وأعشق نسمة وسنى | تهدهد غيمة نعسى
وأحزن ـ مثل باقي الناس ـ | حزنا يغضب اليأسا
فلم يجنح بسارية | اليَّ ولم يجد مرسى
أغازل مرة كأسي | وحينا أكسر الكأسا
فلا بقينا لعادات | يشل وجودها النفسا
هي الدنيا وأحياها | من الاصباح للممسى

حلب ـ م . هلال فخرو

---

١ ـ الورس : نبات اصفر يضاف الى بعض الاطعمة ليكسبها لونه ، فكأن العيون الخضر تلك معه قطعة ربيع في اطار ذهبي



تمدد البياض فوق الركبة ، حوم واستلقى ، رن جرس الهاتف ، نهضت ، انزاح البياض ، ففرقت في الاحزان .

ـ (آلو ...) ثرثرة .!

تلك الليلة ، صرت أقطع الشوارع والطرقات ، أداعب خراب ذاتي ، استحلفه ان يترجل ، فالجسد المعلق قد تعفن وتعطن ، لكن الخراب بات له تلك الحركة الخصوصية المربكة جـدا ،

ذهبت لتحضر الشاي ، بقيت وحدي في الحجرة الدافئة ، قرأت جريدة ، اعطيت دروسا اضافيـة لموتى الذاكرة ، اخذت اكتب وامحـو وادركت كـم كانوا جهلة حين دخلوا امتحان الموت بدون استعداد او كفاءة .

جاءت بأدوات الشاي ، مرت بقربي لامس طرف ثوبها جسدي .. (اي معنى لمستقبل الانسان مـن دون هذه اللمسة) ؟

في موقف عميق كهذا ، رحت اتسلق المرتفـع ، بعد منتصف الليل ، وكان الضباب قد انقشع، سمعت هسيس طيور الليل وهـي تتناجى وسمعت حفيف الاشجار وهي تلعن مواسم الجفاف ، وصرت أشتـم من التراب نكهة العشاق القدامى وصدى ترانيـم المتصوفين الذين هجروا المدينة الى المرتفعات المتصقة بالسماء ، وشرعت التقط من ثقوب ابواب الفضـاء اصوات الاعضاء الحيوية تنادي بـ : (استحالة الامتلاك في الحب .. ونظرية الصداقة) .

ثم عدت ، كأنني لم أغادر الحجرة .

(تشرد كثيرا .. هذه الايام) .

قالت :

ـ (منذ البدء) .

قلت .

ثم طنت بعوضة شرهة للدمـاء العاشقـة ، امتصت تأملاتي ، تملكني الغضب ، أية بعوضـة مأفونة تقصف ذاكرتي الآن بحمم القرف والاشمئزاز؟

اختفت البعوضة في هذه اللحظة .

رمقتني بعين فاحصة ، كانت تقلب أوراق كتاب راحت تقرأ :

ـ (.. ان متعة الصياد الكبرى ، هي الخبـز الناشف والاغنية الحافية عند القمر ، اما متعتي أنا فهي دهشتي المتجددة كلما اقترب مني البحر الكبير)

قالت :

ـ (.. افتدوا الزمن .. افتدوا الحلم) .

قلت :

ـ (لقد ارتوينا ، اكتشف كل واحد منا مجاهل جسد الآخر .. وجال في روحه .. دعنا الآن نحلم)!

قالت :

ـ (بل .. لنفكر) .

قلت :

وران صمت .

لا نعرف حقا بمن رحنا نفكر ، لكننا أحسسنا بان ثمة صلة ما كبيرة ام صغيرة قد انقطعت ، وبات أحدنا في عزلة صماء عن الآخر ، وبتصرف لا تخطيط لـه جاء عن طريق المصادفة المحضة ، وجدت بينـي وبينها مسافة ما ، بحيث لم يعد بامكان احـدنا أن يشتم رائحة الآخر .

وكانت مسامها نضرة الى درجة مخيفة .

ـ (.. هل تفكر) ؟

سألت .

ـ (.. نعم) .

أجبت .

ـ (.. اعزلني نهائيا عن دائرة تفكيرك .. هذا ما أرجوه اللحظة) !

قالت :

ـ (هذا الذي يحدث فعلا)

كذبت .

اشعلت لفافة بعود ثقاب ، فأتى الوهج بومضه الخاطف ومسح جسدها ، لكني اشتممت دخان لفافتها معتقة بانفاسها ، وقلت بخلدي : (ان المسافة بيننا ليست كافية) ، حملت الكرسي ووضعته لصق الجدار وتراخيت فوقه ، وسمعتها تهمس بلهجة عدوانية بعض الشيء :

ـ (مؤخرة الرجال مضحكة) .

صحت بها بغضب حقيقي :

ـ (دعك من هذه الترهات .. وتابعي التفكير)

قاطعتني ـ رغم ضراوة عبارتي ـ هامسة :

ـ (ماذا تعني لك كلمة .. مثلث) ؟

الخبيثة المارقة ، أدركت توا ماذا تريدني ان اقول ، لكنني تصنعت الجد واخترت الجواب الذي لم تكن تتوقعه او ترهص به :

ـ (الانسان .. الطبيعة .. ال)

فأرتج عليها .

رن جرس الهاتف :

ـ (.. آلو ..) ثرثرة .

وضعت السماعة في مكانها وصاحت :

ـ (صديقة سخيفة تسأل عن عدد ضحايا زلزال مدينة الاصنام) .

وكأنما داهمتها فكرة مباغتة ، فأضافت بسرعة :

ـ (تصور .. لو كنا نمارس الحب داخل حجرة ما في الاصنام يوم ضربتها الهزة .. بماذا كنا سنتصرف) ؟

أجبت :

ـ (تترفق بنا المأساة .. فنموت ميتة حضارية)

صاحت بفرح :

ـ (المثلث اذن) .

اسندت ظهري الى الحائط خلفي ، كنت كلما نأيت عنها .. جذبتني اليها عبارة مقتضبة ، وعادت من جديد الى صمتها ، وتصورت المسافة بيننا تتباعد الى درجة مذهلة .

وغصت في التفكير .

« افتدوا الزمن .. افتدوا الحلم » .

مادت الارض تحتنا ، اهتزت الاشياء اهتزازا مرعبا ، دفعني الحائط عنه ، فابتعد مسندالكرسي ، وعدت مرة اخرى فالتصقت بحجارة الحائط خلفي هي هزة أرضية اذن ، واسقطت نظرة مختلسة فوق وجهها الشفيف ، وراعني ذلك الهدوء العجيب الذي استوطن تقاطيعها اللامبالية ، ولاحظت انها كانت غارقة في التأمل فعلا ..

(هي جميلة الى درجة اخاف من النظر اليها دفعة واحدة) ، وهممت ان اقول شيئا ، لكن هدوء اعصابها ارغمني على الصمت ، وكانت الاشياء تهتز بعد ، وتطايرت الكتب من فوق رفوف المكتبة وتكومت بعضها فوق بعض كجثث تعيسة ، وبدأت المسافة بيننا تطول وتقصر .. تقصر وتطول ، بمزاجية حادة ، واخذت اصحح جلستي فوق الكرسي المائج تحتي ، ولمحتها تتثاءب علامة للاسترخاء والراحة ، شعرها الاسود اضحى بين مد وجزر كالامواج التي ينتابها نوع من الخوف والرهبة قبيل ارتطامها وتكسرها على الصخور ، وانتشر الغبار ، فتلوثت ارض الحجرة ، واحسست بجسدي يكاد ينفلق ويتطاير الى شظايا .

ـ (هزة ارضية .. هل تسمعينني) ؟

صحت .

ـ (.. فكر)

صاحت .

أنهضت جسدي على رؤوس اصابعي ، وهممت ان أخطو نحوها كي احتويها بين ذراعي ، لكنني فقدت توازني وسقطت ثانية فوق الكرسي ، واصاب مقبض الخشب عجيزتي فاخذت تؤلمني الما مبرحا .

كانت الحجرة قد اقفرت تماما من كل ما له صلة بالحياة ، وتسلقت الجدران طحالب الرعب ، ومن داخل الشروخ التي احدثتها الهزة خرجت كوكبة عناكب وراحت تتراكض مذعورة ، وسقط عنكبوت اسود ضخم فوق كتفي فاستسلمت له ، وكانت الهزة قد هيجت كلاب الشارع فصارت تنبح .

ـ (اذا تهاوت الجدران .. سنغدو في صحراء

حقيقية .. حينئذ سنمارس الحب تحت اشعـــة الشمس مباشرة ولن نتحرج ..

هو ذا ميزان الطبيعة العادل !

قالت .

ـ (ماذا حدث لك .. هل جننت) ؟

صحت بدهشة .

ـ (فكر .. فكر ..)

نبرت .

وتدافعت الثيران الهائجة من كل مكان ، دخلت الغرفة وخرجت منها ، داست فوق الكتب والاشياء المتناثرة وتركت بصماتها فوق الاوراق المذعورة ، لم نصب بأذى ، كانت الثيران شفوقة بنا الى حد مذهل ، ثمة هرة لائذة دخلت الحجرة وراحت تدندن في عرائها ، ثم اقتربت من رجلها وراحت تتمسح بها ، زجرتها فنفرت (عندما يكون الطقس حارا .. فجسد المرأة غدير) قالت الهرة .

ـ (افتح المذياع .. دعنا نسمع نشرة الاخبار) !

قالت .

ـ (مجنونة .. مجنونة انت .. نكاد ننسحق)

صحت .

ـ (تابع التفكير) .

قالت .

اي تفكير لا يتحجر امام هـــذا الجسد الواثق بمواجهة النـوائب الفظيعة ، وبــدأ كابوس الرعب يتسلق جسدي المقهور ويمعن في هدمه ، ها هي ذي الشرفة قد انهارت ، سمعت تساقط حجارتها فوق ارض الشارع .

ـ (آه .. ايتها النهاية الرثة) !

صحت .

ـ (جبان .. فكر .. فكر . لن يخرجنا احد من داخل المثلث) .

نبرت

وكان لتداعي الابنية القريبة والمجاورة صدى مزعج ومخيف معا ، وتراكضت العناكب ، وازداد نباح الكلاب ضراوة ، وتسلل الغبار بكثافة اكثر ، فشكل غلالة رقيقة بعض الشيء حجبتني عن رؤية جسدها ، تصوف المشهد كله ، وباتت الصورة قائمة على الارتجال والفوضى ، ولان جسدها النحيل كان لا يقوى على الثبات والاحتمال ، لذا خشيت ان تتصدع نهائيا وتتحول الـــى ذرات رماد وتختلط بالغبار ، استجمعت شجاعتـــي ووقفت ، انتزعت نفسي من براثن المقبض الخشبي ، وجاهدت ان اصل اليها لنموت معا تلك الميتة الهنية ، لكن احدهـــم انتصب بيننا ، ماذا جاء يفعل هذا الكائن الدخيل .

ـ (.. اخرج) !

صاح .

ـ (لن اخرج .. من انت) ؟

صحت .

ـ (اقول لك اخرج .. يجب ان تطيع فحسب) !

صاح .

ـ (من انت لتملي علي ارادتك) ؟

صحت .

ـ (هيا أخرج .. اغتنم الفرصة وغادر المكان حالا) .

صاح .

ونظرت اليها من خلال الغلالة الرقيقة ، فوجدتها جامدة لا ترين ، كانت تفكر فعلا ، ولكن .. ما جدوى التفكير الآن ، وحاولت الوصول اليها ، لكن قبضة صارمة امسكت بخناقي ودفعت بـــي الى الباب ، فارتطمت ، وصرت اتدحرج حتى اسفـل الدرج ، وهالني ان وجدت المدينة بأكملها قد استحالت الى ركام ، كأنني غدوت في صحراء حقيقية مديـــدة وشاسعة وخالية من اي اثر للحيـاة ، في هـذه اللحظة ، دنت منـــي الهرة اللائذة ، وراحت تدندن في العراء .

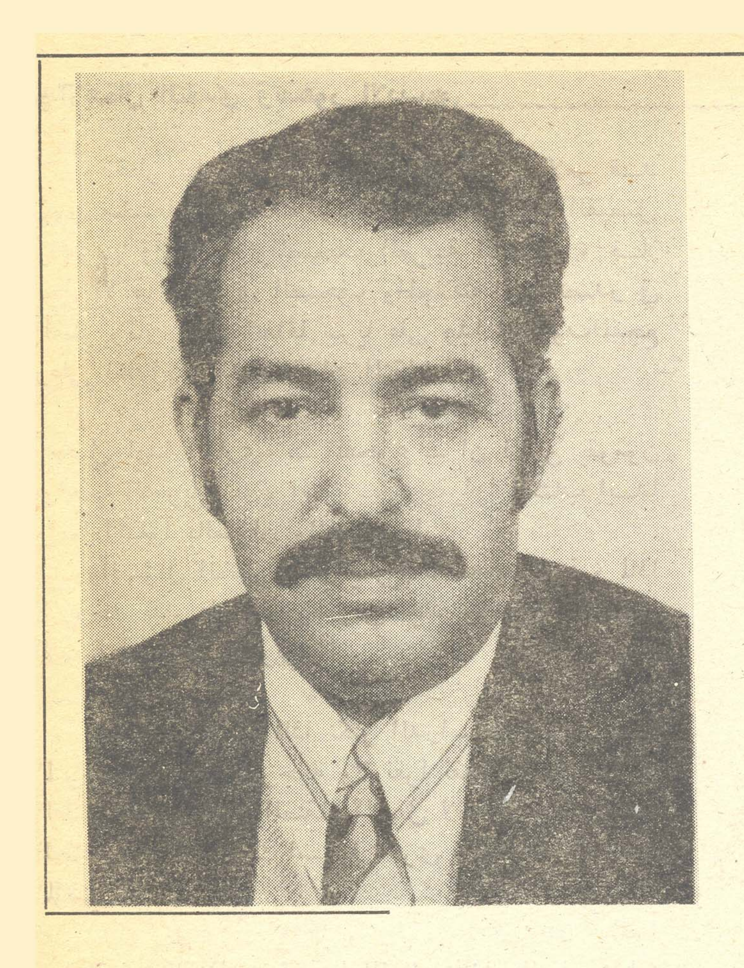
تذكرت المثلث ، وانا بين الحلم واليقظة ، بـين الموت والحياة ، رحت اتساءل عن ذلـك (الجنين) الذي بدأ يتكون الآن داخل رحم حبيبتي الهاجعـة المفكرة المستسلمة فوق داخل الحجرة التي استباحها ذلك الكائن الغريب .

صعدت الدرج ، واخذت التقط من الباب صوت الاعضاء الحيوية وهي تعمل ، ثم اغلقت نظرتي الحزينة وغصت في التفكير ، وسمعت صوته يهمس برفــق في اذنها :

« افتدوا الزمن .. افتدوا الحلم »

ماءت الهرة .. وهدأت الهزة .. وما زلنا نفكر .

فاروق مرعشي ـ حلب ١٩٨٠





الإهمال النقدي وتدهور الأدب

عبد القادر عنداني

واجهات المكتبات الكبرى والصغرى في مدننا وقرانا ، تمتلىء بالكتب الجديدة المتنوعة التي تبحث في التاريخ والفلسفة والفكر بعامة ، او التي تتعرض للاحداث السياسية بالتحليل الوافي الشامل ، او التي تستعرض المذاهب الايديولوجية في النظرية والتطبيق .

كما أن هناك اعمالا ابداعية كثيرة لكتاب عرب وأجانب من شعر وقصة ورواية ومسرح ، وبعض هذه الكتب مطبوع في سورية وبعضها الاخر مطبوع في اقطار عربية اخرى .

كما يشاهد القاريء كتب التراث المطبوعة بحلة انيقة قشيبة واخراج جيد وتحقيق رصين ، وبعضها — الاكثر — قد صور تصويرا خاليا من الذوق والجمال والتحقيق العلمي المتقن !!

ويحار المرء في هذه الكميات الضخمة من الكتب المعروضة ، ويقف مشدوها امام الاسوار الزجاجية التي تمنع يده من الوصول الى هذه المطبوعات المتعددة الاشكال والحجوم ، والمزركشة المنمنمة او الجامدة القاسية .

ماذا يشتري ليقرأ وماذا يدع ويترك ؟!! اي كتاب يستحق القراءة واي كتاب حرام أن تمتد اليه يده لغثاثته وركاكته !!

هل يغامر ويشتري والاسعار غالية ، ثم قد لا يجد فيما يشتريه ما ينقع غلته او يفيده ويمتعه !! ولمن يسأل كي لا يقع في الورطة ؟!

ويعود هذا القاريء — المحتار — الى الصحف اليومية وملاحقها الثقافية والادبية والى المجلات الاسبوعية والشهرية لعله واجد نقدا لهذه الكتب أو بعضها ، فلا يجد شيئا مما يبحث عنه ، وكأن المشرفين الثقافيين في هذه الصحف والمجلات غير معنيين بالقراءة ولا بالكتب ولا بالقراء !!

ويتابع هذا المواطن — الملتاع — البحث فيقرأ احيانا لكتاب في مجلة الموقف الادبي او مجلة المعرفة او مجلة الثقافة ، فلا يجد في هذا النقد الا اشارة وتعريفا لا يمت الى النقد بصلة ، وانما هو استعراض سريع لمؤلفات هذا الكاتب ثم عناوين مواضيع كتابه مأخوذة من الفهرس ، ثم الثناء العاطر على الكاتب المبدع ، وكفى الله النقاد شر القتال !!

ويخطر لهذا القارىء ــ المسكين ــ ان الامر قد يكون مختلفا في مجلات عربية اخرى ، فيقرأ الفيصل والعربي والدوحة والصحف العربية الاخرى ، فلا يجد الا ما وجد في الصحف والمجلات التي تصدر في القطر وكأن هناك اتفاقا سريا على هذا السكوت المفجع وعلى انعدام النقد وفقدان النقاد !

ويخيل لهذا القارىء ــ المفجوع ــ ان الذين يقومون بواجب التعريف ــ لا النقد ــ لم يقرأوا الكتاب ابدا! وانما اكتفوا بالعنوان والفهرس !

والسؤال الخطر الذي يطرح نفسه بضراوة ، لماذا لا يوجد نقد علمي وموضوعي جاد ورصين للآثار الادبية في الوطن العربي ؟!

لماذا لا ننقد ؟! لماذا تكثر الدراسات النقدية المترجمة أو غير المترجمة ولا نقرأ نقدا تطبيقيا الا في القليل النادر ندرة العنقاء ؟! هل لاننا لا نملك النقاد الجادين او ان هناك اسبابا أخرى وراء هذا الاهمال المؤذي ؟!

ان مسألة النقد في دول العالم تأخذ طابعا جديا ، فلكل صحيفة او مجلة ناقدها الادبي والفني والثقافي ، والنقد هناك عملية تقويم موضوعية بحيث يشعر القارىء بعد قراءته للنقد بقيمة الكتاب المنقود واهميته او تفاهته وسذاجته .

ولا يخشى الناقد هناك المؤلفين ، فاذا بالادباء الكبار يحسبون للنقد والنقاد ألف حساب ويعدون ويعدون كثيرا قبل أن يدفعوا مؤلفاتهم الى المطبعة ويصبح للنقد وظيفة المراقبة المجدية والفاعلة التي تمنع الغث من ان يطل برأسه ويزعج القراء !

وهناك ــ في بلاد العالم ــ : مجلات متخصصة في نقد الكتب يشرف عليها نقاد مشهود لهم بالرسوخ والالمعية ، بحيث أن القارىء يجد في هذه المجلات عشرات الكتب وقد نقدها نقاد كبار عرفت فيهم الثقافة الواسعة والموضوعية وكسبوا شهرة عريضة حصلوا من خلالها على ثقة القارىء ويغدو لرأيهم في الكتب المنقودة وزن كبير في رواجها او كسادها !!

لماذا لا ننقد !!

هل نخاف المؤلفين ام نخاف انفسنا أم اننا لانملك النقاد ؟!

طالما ان هناك ادبا وادباء فالمفترض ان يوجد النقد ! ولكن المسألة تقف عند نقطة جديرة بالاعتبار وتأخذ طابعا شخصيا ومزاجيا صرفا وبخاصة لدى المشرفين على الصحف والمجلات ودور النشر في الوطن العربي ، هؤلاء الذين لا يريدون ان يسمعوا الا الصوت الواحد ، الصوت الذي يرضيهم ويقرظ آراءهم وآراء الذين يحبونهم والتقريظ ــ في كل الاحوال ــ مديح ، والمديح ليس نقدا لانه يقوم على الكذب والمجاملة والسكوت على التافه !

واذا أفسحوا المجال لصوت لا يقترب من أصواتهم ، فلانهم يريدون هجاء خصومهم ، والهجاء في كل الاحوال ــ ذم ، والذم ليس نقدا لانه يقوم على الكذب والتجريح وسوق !

تلك هي المسألة !!

النقد علم صعب ، والناقد يقوم بعمل ابداعي ، لان النقد يعني الاضافة ــ سلبا او ايجابا ــ ويعني الفهم الكامل الواعي للاثر المنقود ، وتلمس المنهج والطريقة والمضمون والشكل والبحث عن الخطأ والصواب في هذا كله ، وهذا يعني ان الناقد التافه يشارك المؤلف في تأليفه ، بل ان كبار الكتاب المبدعين في العالم أضافوا او حذفوا كثيرا من آرائهم في الطبعات التالية لكتبهم آخذين برأي النقاد .

والنقد ــ كعلم وفن ــ ليس غريبا علينا نحن العرب ، بل اننا لنجده منذ الجاهلية في اسواق الادب ، وتأصل النقد في العصر العباسي على يد الجاحظ والتوحيدي وابن جني والآمدي وغيرهم من كبار المثقفين العرب .

ان مقولة مزعجة يكررها الكتاب الكبار والصغار عندما يتحدثون عن النقد والنقاد ، ويتأوهون لانعدام النقد، ويتحسرون لفقدان النقاد ، ويقولون بشغف عشقي : انهم يحبون النقد بل ويطلبون نقد آثارهم ويشكون من فقدان النقاد او قلتهم !! يقولون ذلك بألسنتهم ــ واعين او غير واعين لوظيفة النقد ــ ولكنهم في قلوبهم يطلبون ــ لا النقد ــ وانما من يقرظ لهم كتبهم ويكيل لهم المديح ، حتى اذا خطر لناقد جاد أن يقوم بنقد علمي وموضوعي رصين ودقيق لكتبهم سلقوه بألسنة حداد ، وشنوا عليه غارة شعواء ، واتهموه اتهامات باطلة هو منها براء ، واقل ما

ينعتونه به ، هو الجهل ، وانه غير ملم بعلم النقد وغير مطلع على النظرية الفوقية او التحتية ، ولم يقرأ كتاب الفضاء ولم يهضم قاموس الهواء ، ولا يكتفون بهذه النعوت النابية انهم يتهمونه بالتغرض وانه مدفوع من قبل خصومهم واعدائهم ولهذا يروحون يستعدون عليه كل من يستطيع ان يسكته ولا يكتفون بهذا بل يحاربونه بلقمة عيشه .

حقا انه لامر مريع ، ان تكال كل هذه الاتهامات لمن أراد ان يضع الامور في نصابها ويجلو وجه الحقيقة ويكشف المستور ويفضح الخبيء وهذا هو السر وراء سكوت كثير من النقاد في هذا البلد واتجاههم نحو الدراسات النقدية الموسعة على شكل كتب في موضوع نقدي ادبي او تاريخي او فلسفي .

وهذا هو السر ايضا وراء تسلق الصبيان وتسلط الغلمان في دنيا الادب وشراستهم ورعونتهم بعد ان تسلل هؤلاء الى عالم الادب خلسة وفي الظلام الدامس!

يطبع الصبي منهم مجموعة شعرية او قصصية – قزمة – بأسلوب من الاساليب ، ولان له كتابا مطبوعا – انظر يا رعاك الله – في السوق وواجهات المكتبات الخلفية ! يسمح لذاته الكريمة ان تنتفخ حتى تصير كالمنطاد ، ويروح يتكلم كأنه عملاق من عمالقة الادب والفكر ولا يعود يعجبه العجب ولا الصوم في رجب !!

ومما يزيد الطين بله ، افساح المجال أمام هؤلاء المراهقين ليكتبوا في الصحف والمجلات ويعلقوا اسماءهم بأحرف سوداء بارزة ، فاذا بهم أرباب أقلام وعباقرة علم وادب !!

شاهدت واحدا من هذه المخلوقات المشوهة داخل مقهى ، راقبته وهو يدخل بوقار تشيخوف ، ويجلس على الكرسي شاردا شرود همنغواي ثم يزرع سيكارة بين شفتيه ، ويقلب رجله اليسرى على اليمنى ويبدأ يتحدث بأناه وهدوء ويمصمص الحروف والكلمات قبل أن تخرج من فمه ، ويبدأ الترنيم :لقد قلت في مقالتي المنشورة في مجلة « ... » وبحثت في دراستي التي نشرتها في « ... » ما مفاده : ان افلاطون كان مجنونا والجاحظ غبيا والمتنبي لايساوي دانقا ودويستفويسكي لم يكن اكثر من مقامر ومدمن وان هؤلاء يجب أن يزولوا من الوجود كأسماء وكعباقرة لانهم تافهون !!

وتعجب ، ويشتد بك العجب ، وتصعق امام هذه البذاءات المخزية ، وتسكت وتصاب باللكنة وتحل عليك الحبسة ، فلا ينفتح فمك ولا يتحرك لسانك ، وينشف ريقك وتزوغ عيناك ويضطرب عقلك وتلعن الادب والكتابة والفكر والدراية ، وتروح تفتش عن صنعة أخرى هروبا من هذا العصر المليء بالولدان سليطي اللسان !!

ان الكلام على النقد والادب ليس حملة ضد احد وانما هو التصوير الحقيقي للواقع الادبي ، فحيث لا يوجد نقد ، لا يوجد ادب ، هذه مسلمة لا يختلف فيها اثنان ، وان كنت لا احب البدائه والمسلمات كثيرا حتى بات يعجبني اتجاه العلماء اخيرا للبرهنة الجادة والتحليل السليم لنتائج جمع الواحد مع مثيله ليكون الناتج اثنين ؟!

ولقد لاحظنا كما لاحظ غيرنا كثرة المترجمات النقدية النظرية لمترجمين أو ثلاثة على شكل دراسات او كتب ، ومعالجات نقدية اولية لبعض المؤلفين لناقدين او ثلاثة ، ولا حاجة لذكر اسماء المترجمين والنقاد والآثار الادبية التي نقدت واسماء المجلات التي نشرت فيها هذه الدراسات وعناوين الكتب المترجمة والتي ضمت نظريات وابحاثا نقدية ، فقد نعود لهذا الموضوع ، لنذكر بالاسماء الصريحة الناقدين والمنقودين والغلمان المتسلقين والصبيان المتسللين !!

كما لاحظنا ولاحظ غيرنا ، فان بعض المبدعين – لعدم وجود النقاد – راحوا يكتبون في النقد عن غيرهم من الادباء-.

وعندما أقول المبدعين ، فاني اخص كتاب القصة والرواية والشعر والمسرح من المقروئين المقبولين ، ورغم أن الامر واضح ولا يحتاج الى تفسيرى ولايصلح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى الدليل ، ولكن لا بد مما ليس منه بد من باب التعليم – بكل فخر – لمن هو جاهل من الجهابذة المتنطعين !

وكانت النتيجة مذهلة لهؤلاء الادباء الذين كتبوا في النقد ، حيث مني هؤلاء المبدعين بهزيمة منكرة ، وفي ذهني اسم لواحد من ألمع قصاصينا في هذا القطر حاول ممارسة النقد في بعض الصحف اليومية ،فكانت الهجمة عليه شرسة ، بحيث اسكتته الى الابد،وجعلته

يصاب بخيبة أمل اقعدته عن كتابة القصة لفترة طويلة ، ولكنه شفي الآن – والحمد لله – وعاد الى نشاطه الابداعي .

وكان كل ذنب هذا الكاتب ، انه اراد ان يقوم من ادب القصة في سورية مستعرضا – لا ناقدا – وكان هذا جزاؤه !! فكيف لو مارس النقد حقيقة ! وهنا يخطر على البال فكرة ، هل يمكن لكاتب مبدع ان يمارس النقد ؟! اختلف السادة العلماء في الجواب ولسنا في هذا الصدد وله حديث آخر .

هناك أمر واقع وملح لا يجوز اهماله ابدا ، وهو ان بعضا من الذين يشتغلون في حقل النقدويزاولون الابداع – وهناك اسم واحد مكرس في هذا المجال – يحاول ان يز مر الانتاج الادبي تحت عناويــــــن ايديولوجية اجتماعية واقتصادية مستغلا الزمـان وهو في عمله هذا يؤرخ لا ينقد ، ويصدر الاحكام القيمية دون مبررات ، وهو يسلك مسلك القسر التفسيري ليلبي رغبة المنهج الذي يؤمن به ، ولاتكون هناك اية ثمرة مبتغاة من وراء هذا الجهدالارشيفي لا للتاريخ ولا للنقد !! لان هذه الآثار الادبية عند صدورها لم تسلط عليها اضواء النقد ،! وقد تكون ابان صدورها لا تعني ما أراد هذا الناقد ان تعنيه من ان تحتل اتجاها سياسيا او اجتماعيااو فكريا !

تبقى هذه الفكرة التي أحاول اضاءتها غامضة اذ لا بد من العودة اليها للوقوف عندها كثيرا وذكر الاسماء في هذا المجال ضرورة لا مناص منها .

ان صبيان الادب سوف يتفكهون بهذه الكلمات التي اكتبها وانا اقدم اليهم المادة ؟! سوف يتندرون وهم في مقاهيهم يتسكعون ويتناولون الصامتين الكبار بالشتائم المقذعة والسباب الفاحش وسيقولون فيما يقولون !

اني لم أضع الحواشي واكثر من الهوامش وأردد اسماء النقاد الاجانب مما اعتادوا ان يلوكوه في كل مناسبة دلالة على ثقافتهم ، وهم في حقيقة الامر لا يدرون من أمر هذه الاسماء شيئا الا انهم رأوا اساتذتهم المتشدقين يرددون هذه الاسماء ، وكان حقا عليهم ان يرددوا ليحسبوا عناصر فعالة في الجوقة الببغائية وليزمروا في زمرة المتفيهقين ، وكان المصاب الجلل ان تصبح شلل الصبيان تتحكم في الادب !

الحق أقول : ان آذان بعض هؤلاء المتسلقين قد عركت !! وقيل لهم اذهبوا فتعلموا الابجدية ثم تعالوا !! فارتدوا عن بعض غيهم الا القليل منهم وهؤلاء ايضا واردو اعركة الاذن حتما !!

لقد انحسرت موجة التهريج والفوغائية بعد أن استطالت مدة ، وعاد الاصيل من الادب ليأخذ موضعه في الحركة الفكرية عامة وان كنا في الطريق للتأصيل والتقعيد !

في هذا المجال يجب التأكيد على حقيقة ، هي اننا لا نطالب بنقد متخصص لادب ناشيء مثل ادبناوبخاصة في القصة والرواية والمسرح لان هذا الادب ما زال غصنا طريا ، لم يستو على عوده ولم يشتد وجوده – وهذا بالطبع اعتراف حقيقي متواضع – فليس عندنا الا اعداد قليلة جدا من المبدعين المتقدمين في مجال الشعر والقصة والرواية ، اما في المسرح فان العدد لا يتجاوز الاثنين فقط ولا أزيد !

اما على النطاق العربي فان الامر اكثر سوءا مما هو عندنا وبخاصة بعد الردة الثقافية الملعونة في مصر !

أمام هذا الانتاج النامي لا يمكن ان يزعم نفر من المترجمين لدراسات نقدية – وليسوا نقادا – انهم يمارسون نقدا – سكولائيا – مدرسيا تابعا لمنهج معين ومن اجل هذا فانهم يخضعون الاثر المنقود لما لا يخضع له ، ليطبقوا ما حفظوره من نظريات،ويفسرون الاثر المفقود لنظريات نقدية ، اما انهم فهموها ولكنهم يحاولون « الابهار » وهم يعلمون انها لا تفي بالغرض، واما انهم جهلوها فوقعوا في فخ التقليد القزمي وراحوا يحملون الاثر المنقود من المعاني والافكار والاتجاهات ما لا يخطر على فكر الكاتب ابدا ، بحيث صار القارىء يقرأ ادبا غير مفهوم ونقدا غير مفهوم – وعشنا جميعا – كقراء – في ظل هذه الغيبوبة المقيتة الى ان زالت الغمة وبدأنا نسترجع وعينا الادبي ولكن مع غياب النقد الحقيقي غيابا تاما كاملا .

وازعم انه بات من الواجب ايجاد – لا افتعال – المعارك النقدية لنجذب القراء اليها ،' وفي ذلك فائدة ما بعدها فائدة للجميع !

وازعم اننا في سورية لم نتابع معركة نقدية رصينة في صحفنا ومجالاتنا منذ ربع قرن واكثر ، ولا اريد ان اذكر ان اجيالا من القراء العرب عاشت وتابعت واهتمت بهذه المعارك النقدية الادبية التي كانت

تثار في صحف ومجلات مصر ولبنان وسورية .

ان نقادنا - ان وجدوا - عندما يتحاورون - لا قدر الله - تحسب ان مخلوقات انيقة من غير هذه الارض تتحدث ، فيصيبك الانبهار ، وتصاب بمرض الدهشة وبخاصة عندما تراهم يتناقشون ويبحثون « المسلمات » ، وكأنهم لم يجدوا مسألة ادبية تستحق الخلاف أبدا ، فهم متفقون دائما على كل شيء .

في المقاهي عندما تراهم يتحدثون ، يخيل اليك ان الخلاف غدا كالسيف القاطع ، وتحسب ان هؤلاء النفر لو تناقشوا لوقعت الواقعة واستفاد القراءة النفر لو تناقشو لوقعت الواقعة واستفاد القراء يجتمع نفس الاشخاص ، اذ تراهم غدو كالحمائم الوديعة الاليفة ويدور الكلام فيما بينهم وتستغرب ان كل ما كان يطرحه « فلان » قبل يومين في المقهى قد تبخر ، وان اكبر صقر قد دجن ، وان كل شيء على ما يرام !

أما عاد يجرؤ مخلوق من هؤلاء الادباء ان يقول لمن يخالفه في الرأي والفكرة والشكل الادبي : انا اخالفك الرأي ، ولا أؤمن برأيك وسوف اشرح وجهة لابين اغاليطك وبيني وبينك الصحف .

أنسي هؤلاء الادباء ، ان التقدم لا يكون الا اذا كانت هناك / نعم / ولا / ! وايجاب وسلب ، وان الايجاب الدائم سكون وان السلب الدائم عدم ، وأن في الحركة بركة ، وان في اختلاف وجهات النظر ايذانا بولادة افكار جديدة .

ما أكثر ما نقرأ في كتب الادب العربي حول الخلافات في شتى فنون القول ، حول الشعر والنثر وغير ذلك ، وما اكثر ما نقرأ نقدا جميلا في الادب العالمي وبين كبار ادباء العالم . ولا نقرأ شيئا من هذا القبيل في ادبنا المعاصر ابدا ؟!

غريب أمر الادب والادباء عندنا ، يريدون كل شيء ولا يفعلون شيئا يطلبون ان تطبع مؤلفاتهم ثم يشكون من الكساد ، وكيف يكون رواج ولا نقد !!

ان القاريء لا يحب الادب الهاديء ولا وجهات النظر المسالمة ، يريد القاريء ان يحرك رأسه احد ، يريد ان يدهشه احد ، ان يبهره احد ، ولكن ما من أحد !!

كل ما فعلناه اننا رحنا نتلاعب بالالفاظ ونجد المبررات والحيل للخروج من المأزق ، فهذه المجلة تفتح محاور ، واخرى تعقد ندوات ، ولكل محور مشرف ولكل ندوة مدير !! ثم لا يكون شيء أبدا من هذه المحاور والندوات الانيقة جدا والهادئة جدا ، وهذه مجلاتنا في اعدادها القديمة والحديثة ما زالت تكرس هذه الظاهرة المستوردة غير المفهومة ابدا !

ما عدنا نقرأ في صحفنا ومجلاتنا عناوين مثل : رد على كلمة ، وتعقيب على نقد .

اذكر انه في سنة ١٩٧٨ نشرت احدى صحفنا ردا على نقد ، وفقد العد من الاسواق حتى صار يباع بخمس ليرات ان وجد !

لماذا لا نحاول شد القاريء وجذبه واجباره على القراءة والمتابعة وتخليصه من الرتابة والسكونية والامور البديهية ؟!

اننا ان فعلنا ذلك عادت الفائدة المادية والمعنوية على الصحف والمجلات والكتاب والنقاد وعلى الثقافة والمثقفين في البلد .

ان من كانوا أميين تماما ، كانوا يشترون في الاربعينات من هذا القرن المجلات المصرية ليقرأها لهم من يتقن القراءة ليتابعوا المعارك النقدية التي كانت دائرة بين طه حسين والرافعي والعقاد والمازني وزكي مبارك وغيرهم من الشعراء والكتاب ، ونقرأ في منشوراتنا عامة فلا نجد الا الهدوء والبرودة والسكينة والوقار ، كل بدثاره موقور وبأبهته موفور ، وعلى الثقافة والادب يحوم شبح الموت !

الادب حياة ، والحياة لا تنمو ولا تتقدم الا بالحماسة والحوار الساخن والرأي الجريء المدعم بالعلم والثقافة الواسعة مع خلق جم وصدر واسع ورحب مع الجميع ، واخص بالذكر المشرفين على الصحف والمجلات هؤلاء الذين يخافون من اي عراك ادبي علمي وكأن هذا العراك يؤثر على مناصبهم او يقلق راحتهم .

اني اتكفل لاية صحيفة او مجلة ان أثارت معركة ادبية نقدية واستمرت فيها لمدة شهر ان يزداد عدد قرائها خمسة اضعاف ما هم عليه واكثر من هذا فان هذه الصحيفة او المجلة ستغدو مرجعا ادبيا للنقاد والمؤرخين بعد ذلك كما حدث لمجلة النقاد السورية والرسالة المصرية والآداب اللبنانية في اعدادها الاولى و (الاديب) ايضا في بيروت في الاربعينات والخمسينات .

الويل لادب لا يجد من ينقده ، والويل لنقد لا يجد مجالا له ، ولتسقط كل المسلمات البدائهية في عالم الادب هذا الذي يخضع للتجريب والذي لا يعرف تقدما الا في ظل التغير والتغيير والحركة الموارة والاصطخاب والثورة ولا يعرف خلودا الا اذا ثبت على محك النقد العلمي الرصين .

عبد القادر عنداني

كرسي الإعتراف

شعر: فوزي الرفاعي

(مهداة الى زوجتي)

ألقيت بين يديك كل سهامي — والى هواك قد انتهت أحلامي

الآن مرَّ بي المطاف ، وطالما — خلف الحسان تصرمت أيامي

عمري ، ويا لهفي عليه ، أضعته — بين الهوى ، واللهو ، والاوهام

كم ذقت من حلو الغرام ومره — فاذا الهوى خدع وعذب كلام

كم ذا رميت على الحسان حبائلي — وتخذتهن هوايتي ومرامي

وضممت لدن قوامهن على هوى — وجعلت عذب رضابهن مدامي

وتخذت عاج نهودهن وسادتي — وجعلت بين زنودهن منامي

وعبثت بالغيد الملاح ، وأطفأت — لثمات ورد خدودهن ضرامي

تلك العهود من الشباب تصرمت — وكأنها حلم من الاحلام

طاف الفؤاد على الحسان كطائر — متنقل في الزهر والأكمام

والآن هاك يدي تمد على الوفا — في الحب والاخلاص في أيامي

مارف طرفي للحسان ولاهفا — قلبي لعذب لمى ولدن قوام

أنا سوف أجعل من رضاك رغيبتي — وسناك نبراسي ونور ظلامي

وسمو فكرك في الشدائد مرشدي — وصواب رأيك مصدر الالهام

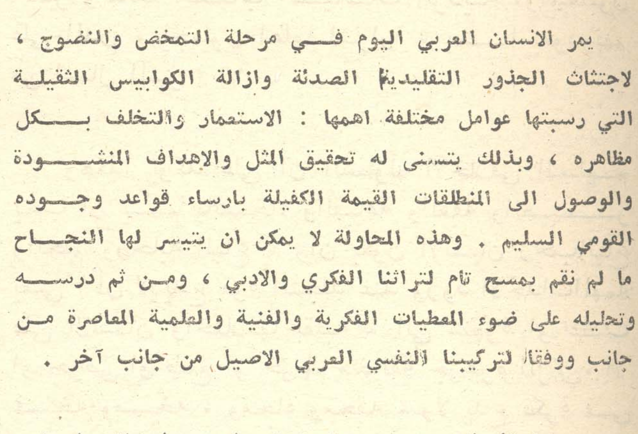
هذا فؤادي آب بعد تشرد — أسلمته لك ، فامسكي بزمامي

ودعي فؤادك مطمئنا هانئا — وعلى متين من وثوقك نامي

حلب — فوزي الرفاعي

رحلة مع الحكيم العربي ** ابن سينا

محمد الراشد



يمر الانسان العربي اليوم في مرحلة التمخض والنضوج ، لاجتثاث الجذور التقليدية الصدئة وازالة الكوابيس الثقيلة التي رسبتها عوامل مختلفة اهمها : الاستعمار والتخلف بكل مظاهره ، وبذلك يتسنى له تحقيق المثل والاهداف المنشودة والوصول الى المنطلقات القيمة الكفيلة بارساء قواعد وجوده القومي السليم . وهذه المحاولة لا يمكن ان يتيسر لها النجاح ما لم نقم بمسح تام لتراثنا الفكري والادبي ، ومن ثم درسه وتحليله على ضوء المعطيات الفكرية والفنية والعلمية المعاصرة من جانب ووفقاً لتركيبنا النفسي العربي الاصيل من جانب آخر .

وهذا المنطلق ، هو ما تفتقر له معظم الدراسات الادبية والفكرية منها بشكل خاص في الوقت الحاضر ، ولكن هذا لا يعني دفع كل هذه الدراسات التي تملأ المكتبات بالنقص والسطحية ، فهناك اعمال فكرية وادبية استطاعت شق جداول لها في مسارنا الثقافي المعاصر . والكتاب الذي بين ايدينا الآن هو مثال صادق على هذه الاعمال الناجحة .

* * *

وقبل البدء لا بد لي من تسجيل هذا الاعتراف مقلداً فيه احد الفلاسفة المحدثين ، عندما قال عقب قراءته لكتاب ديل ديورانت عن قصة الفلسفة ، قال بأنه لاول مرة استطاع استيعاب الفلسفة الكانتية عن طريق ديورانت فقط . وانا الآخر لا أكون مغالياً اذا قلت بأنني لاول مرة تمكنت من وعي فلسفة بن سينا عن طريق الاستاذ شيخ الارض فقط ، و لاشك أن ذلك عائد الى المنهج العلمي الذي اتبعه المؤلف . اذ عمد أولا الى درس وتحليل عصر ابن سينا بجوانبه الثقافية والاجتماعية والسياسية ، ومن ثم وقف طويلا عند حياته الشخصية مضيفاً عليها تحليلا رائعا فيما طرح من استفهامات وتساؤلات ادت الى الوصول



الى نتائج اخرى اقرب ما تكون الى الحقيقة لادراك نفسية هذا المفكر العربي ، متبعا في (ذلك التحليل الطبيعي والنفسي ، والاستدلال المنطقي) (١) سائرا على هذه الخطى في كل فصل من فصول الكتاب ، وقد تمكن من تتبعه لمراحل حياته اعتبارا من تاريخ ولادته عام ٣٦٣ كما يرجح المؤلف (٢) خلافا لآراء معظم المؤرخين ، وحتى مماته عام ٤٢٨ ، منطلقا من نقاط غاية في الاهمية وهي : درس فعاليته وانفعاليته ومتلزمات كل منها ، ومن ثم الانتقال الى بعض الجوانب الهامة في حياته وحاجتها الى تعليل علمي على ضوء المنهج النقدي التحليلي الذي اتبعه المؤلف .

ولنقرأ معا هذه الفقرة التي تضفي طابعا صحيحا

على شخصية الفيلسوف ، فيقول : (اذا اعدنا النظر مرة اخرى ، في ثبت الصفات المميزة لطبع الغضوب ، استوقفتنا الصفات التالية : ثرثرته وكذبه بالمبالغة ، وميله الى التكلم عن الاشخاص وعن نفسه ، وطموحه الى مراتب الشرف) (٣) ، وهكذا تؤدي به عملية اعادة النظر هذه الى الشك في روايته لترجمته الذاتية من جانب ، والى الشك ايضا في بعض النواحي الاخرى كقصة النفس والعقل والادعاء باحاطته العلم في سن مبكرة جدا ، وما يتصل بذلك من قصته مع الناتلي وتعلمه الطب وتحصيله العلم وما يتبع ذلك من تصريحات ادلى بها ابن سينا مفرقا في دروب التأكيد على الذات والالمعية بشكل ينفيه الدرس العلمي السليم .

وبعد هذه الفصول التي عالج فيها المؤلف حياة الفيلسوف وعصره وشخصيته مستفرقا لثلث الكتاب الذي بلغت صفحاته خمسمائة وعشرين صفحة ينتقل الى الباب الثاني مستعرضا فلسفته التي قامت في أساسها على التوفيق (بين الديانة الاسلامية والفلسفة اليونانية) (٤) . ولكن لا بد من القول ـ كما أكد المؤلف ـ ان منهج الدراسة كان محاولة للتقيد بمنهج ابن سينا من جانب ليكون أقرب الى تفكيره ، ومحاولة وعيه وتقسيمه على ضوء الكشوف والدراسات الفلسفية والعلمية الحديثة .

لذا كان لا بد من استعراض بعض العلوم ، كالتربية وعلم النفس والرياضيات والموسيقا على انها تدخل في الاطار الفلسفي عند ابن سينا ، في حين غدت اليوم علوما لها ميادينها الخاصة بعد أن انفصلت عن العالم الفلسفي اعتبارا من عصر النهضة وعصر الانوار وحتى الثورة العقلية في القرنين الاخيرين .

وهكذا بدأ المؤلف بنظرية العلم عند الفيلسوف ، منتقلا الى نظراته في العلم الكلي اي مقولات الكم والكيف والوجود والعلل والفعل والقدم والحدوث ، فالعلم الالهي والعلم الطبيعي الذي يتضمن آراءه في الحركة والزمان والمكان ، مارا بعلم النفس ، ونظرية المعرفة فعلم البنى ، وعلم تدبير المدينة وما يتضمن من درس للمجتمع وأصول سياسة منتهيا بفكرته عن المدينة العادلة الى ان يأتي على علم تدبير المنزل ، ودرس الاسرة ومقوماتها والزواج والاولاد مدليا بنظريته في التربية الكاملة ، والتوجيه الدراسي والمهني فيأتي بنظرات تربوية تعتبر من صلب المنهج التربوي المعاصر (٥) . وينتهي اخيرا بعلم الاخلاق ، منطلقا من نقطة (ان من شاء ان يسوس الآخرين ، عليه اولا ان يسوس نفسه) (٦) ، رادا الاخلاق والسلوك الى العادة وتأثر الانسان بالوسط الاجتماعي ، فان ساء الوسط ساء سلوكه ، وان حسن حسنت فيقول :

(والدليل على ان الاخلاق انما تحصل من اعتياد الافعال التي تصدر عن الاخلاق . مثلما نراه من أصحاب السياسات الجيدة وأفاضل الناس ، فانهم يجعلون أهل المدن اخيارا ، بما يعودونهم من افعال الخير وكذلك اصحاب السياسات الرديئة ، والمتغلبون على المدن ، يجعلون اهلها اشرارا ، بما يعودونهم من اعمال الشر) (٧) .

وهكذا يؤكد على ان السلوك الاخلاقي السليم يجب ان يتسم بالسخاء والقناعة والعفة والصبر والحلم ورحابة الباع ، وان يكون الانسان رحب الباع يعني (ان لا يدع قوة التجلد عند ورود الاحداث المهمة على الانسان واختلافها بقلبه ، الى شهوة او غضب او حرص او طمع أو خوف مخالفة جوهره الزكي ، الا فسخه ومسخه ، ومحاه ومحقه ، ولا يدع فكرة في نسخة نفسه وتخيلاتها ، تتعاطى الا الفكرة في جلال الملكوت ، وجناب الجبروت) (٨) . لكنه في كل ذلك لم ينزح الا قليلا عن التخلق السقراطي ـ الافلاطوني ، وبشكل خاص حيال مفهوم الفضيلة التي حشرها بين طرفين ايضا . ويمكن القول بشكل عام ان هدفية الاخلاق تنحصر في السعادة ، حيث يقول الاستاذ شيخ الارض ، محددا رأي ابن سينا : (والحقيقة ان سعادة النفس الانسانية ، انما تتعلق اشد التعلق بكمال ذاتها ، من حيث صيرورتها عالما عقليا فيما يتعلق بذاتها ، بيد ان لها سعادة اخرى متأتية عن العلاقة القائمة بينها وبين البدن) (٩) ، و (بيد ان الملتذ والسعيد الحقيقي ، هو النفس الناطقة دون البدن . ولهذا كانت السعادة الانسانية لا تتم الا باصلاح الجزء العملي من النفس) (١٠) .

ونحن لسنا هنا بصدد التعليق على المنهج الاخلاقي عند ابن سينا ، لذا لا بد من متابعة المؤلف الذي ينتقل الى الباب الثالث والاخير ليحدثنا عن مؤلفات ابن سينا .

ويختم الكتاب بنصوص مختارة من كتابات الفيلسوف تزودنا دراستها باصول الفلسفة السينوية

وابعادها الحقيقية ، أما الآن فسنقف قليلا عند مؤلفات ابي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن سينا المعروف بالشيخ الرئيس ، ولقب الرئاسة أتاه من تسلمه الوزارة ، اما لقب الشيخ فوارد بالنسبة لكل ممارس للعلم والفلسفة آنذاك .

* * *

سبق ان قلت ان المؤلف نذر كتابه هذا لفلسفة ابن سينا فقط ، لكن هنا لا بد من الاشارة الى كل منجزات هذا المفكر الذي بدأ بالتأليف وهو في مستهل عقده الثاني ، واستمر في ممارسة التأليف طوال حياته ، حتى ذكر (له الاب جورج شحاته القنواتي ستة وسبعين ومئتي كتاب ورسالة وقصيدة وارجوزة)(١١) جمع فيها معظم ثقافة عصره بالاضافة الى آرائه الشخصية في ميادين الادب والفلسفة والفقه والتصوف وعلوم اللغة والطب والكيمياء والموسيقى »(وحقق شهرة واسعة استمرت الى العصر الحديث حتى ان كتابه القانون في الطب طبع ست وستين مرة باوروبة ابان القرنين الخامس والسادس عشر وبقي مرجعا رئيسيا لدى الجامعات الاوربية حتى الثلث الاول من القرن التاسع عشر . الا ان تركيز ابن سينا كان منصبا على علم النفس كما يؤكد المؤلف مستشهدا بآراء بعض الدارسين العرب والمستشرقين وقد امتاز اسلوبه في البحوث النفسية بالقوة والصفاء سيما في رسائله ومؤلفاته المتأخرة وبشكل خاص في اسلوبه الرمزي الذي لجأ اليه في بحوثه المختلفة كما في : (رسالة الطير ، وحي بن يقظان ، ورسالة القضاء والقدر .. الخ .. وهو حينا يرمز بالشراك الى الشهوات وبالطير الى النفس ، وبالملك الى العقل الفعال ، وحينا آخر يرمز بالشيخ وحي بن يقظان الى العقل الفعال) (١٢) الا ان كتبه رغم صفائها فقد امتازت بالغموض ايضا وهذا ناتج عن (كثرة استطراداته ولجوئه الى الجمل الاعتراضية حينا بعد حين ، وجعل هذه الجمل الاعتراضية طويلة في بعض الاحيان ، حتى يضيع القارىء معها ، فلا يعرف اين تبدأ الجملة ، ولا اين تنتهي ، بل ان طريقته في البحث عن طريق « اما .. انا .. » التي لا تنتهي الا بعد تفريعات كثيرة متلاصقة) (١٣) تجعل كتبه عسيرة الهضم حتى على القارىء المتمكن ان لم يكن مزودا بأعصاب تحاكي أعصاب الاستاذ شيخ الارض . لكنما هناك سبب آخر لغموض مؤلفات ابن سينا يعود الى نقص المصطلحات الفنية) في الحقل الفلسفي سيما في مؤلفاته المبكرة ، وقد ترك لنا تراثا شاملا يكاد يعتبر دائرة معارف زمانه الا قليلا في مجالات : الفلسفة العامة والمنطق واللغة والشعر والطبيعة وعلم النفس والطب والكيمياء والسحر وتعبير الرؤيا والرياضيات والميتافيزياء والتوحيد والتفسير والتصوف والاخلاق والتدبير المنزلي والسياسة والنبوة علاوة علم الرسائل الشخصية وبعض المتفرقات في علوم شتى .

واخيرا لا بد من الاعتراف بان الكتاب كان منطلقا جديا يتسم بالتنهيج العلمي والتحليل الدقيق لوعي شخصية ابن سينا وادراك ابعاده الفلسفية وتبسيط آرائه وجعلها ميسورة الفهم ، علاوة عن اعطائها طابعا عصريا واضحا . بشكل يمكن ان يصبح فيه هذا النهج طريقا لكافة الدارسين للفكر العربي على مختلف مناحيه ومجالاته . الا ان لي ملاحظة تقتضي الامانة العلمية تسجيلها ، ألا وهي عدم وضع المؤلف فهارس كاملة للكتب والاعلام والفرق المذاهب والمفاهيم الفلسفية ، كي يغدو كل موضوع سهل المنال على الباحث من ناحية ، ويأخذ الكتاب سماته العلمية الكاملة من ناحية اخرى .

محمد الراشد

---

١ ـ المدخل الى فلسفة ابن سينا ص ٩
٢ ـ المصدر السابق ص ٢٣١
٣ ـ المصدر السابق ص ١٢٠
٤ ـ المصدر نفسه ص ١٤٥
٥ ـ المدخل الى فلسفة ابن سينا راجع ص ٣١٧ ـ ٣٣٥
٦ ـ المدخل الى فلسفة ابن سينا راجع ص ٣٣٧
٧ ـ المصدر السابق ص ٥١٢
٨ ـ المصدر السابق ص ٥١٢
٩ ـ المصدر السابق انظر ص ٣٤١ ـ ٣٤٩ و ٥١١ وما بعدها
١٠ ـ المصدر السابق ص ٣٥٥
١١ ـ المصدر السابق ص ٣٥٩
١٢ ـ المدخل الى فلسفة ابن سينا ص ٣٥٩
١٣ ـ المدخل الى فلسفة ابن سينا ص ٣٧١

أزمة المثقف العربي

د. محمد جبر

اجلس حالما ان لا ارى ذبابا يعكر صفوي الفكري بطنينه ، الطاغي والمتسلط على العقل البشري وفكره في هذه الامة .

أحلم بأن ارى من تشده الحمية ويتهيأ لحملة تسحق كل « بايب » يوحي الينا بممارسة الطغيان علينا في شكله وقالبه .

ان العداء بين « البايب » السادي المضمون ، والنرجسي الشكل والفعل ، وبين المعول والحراث ، ودخان البايب ، ودخان المصنع ، لهو عداء تاريخي عريق .

كما أن البايب يلوث بدخانه المتصاعد في غرور صاحبه ، كل اسباب تلوث الهواء النقي في فكرنا ، ومجتمعنا ، وحضارتنا ، وانسانيتنا . فهي من الذباب ، انه يقلق راحتنا ، ويشوش افكارنا ويحرمنا ملاذ الراحة لانفسنا بطنينه الدائم ، ناهيك عن تلوثه، واسباب امراضه السارية ، وغير السارية .

وحزني على اصحاب (البايب) انهم قوم من المرضى يريدون لاهثين ان يعالجوا امراضهم السادية والنرجسية ، بفرض كيانهم المشوه ومرضهم المعدي لصحة عقولنا ، وافكارنا وانساننا .

يريدون اولئك ، وهؤلاء ان يجعلوا منا جهاز يفرغون فيه كل امراضهم النرجسية ، والسادية ، و « دون كيوشتية » ، في جهل اعمى ، وغباء مطلق ، او في خبث وبذاءة .

يريدون ان يدنسوا تربة جيلنا المؤمن بالنهوض بمستقبله ، وامته ، وتراثه ، وبناء حضارة انسانية مشرقة .. يريدون ان يدنسوا هذه التربة النقية بوحل الزحف الغربي ، واحزانهم الملوثة بحب القهر والضغيان والاستبداد المدروس .

يصبون في كل عمل فكري آلاف المصطلحات المستوردة لكي يقنعوننا بأنهم مثقفين ونحن جهلة ، يطرحون ميت الآراء وغث الحديث ليفهموننا بأنهم معلمين ومتعلمين ، ونحن اطفال اغبياء .

هذه الوحشية بعد ان رفع الستار عنها اصبحت مرفوضة من قردة مقليدين ، وطبول جوفاء ، وطواويس مختالة جبانه .

بعد ان وصل المخاض الى ذروته في مفصل رئيسي ، وبدأ يبشر بمولود جديد ، سليم البنية والتركيب ، في نقطة يحاول بها الغرب الدفاع عن نفسه بعد أن انهكه الصراع الطويل ، وأثبت ما لاصالة الفكر العربي من مكانة في بعث انسانية الانسان ، ومد الحضارة البشرية بنور الامن والسلامة ، والعدل والانصاف . لم تعد الحقيقة قابلة للزيف في مخابر التضليل الغربي للشعوب الذي انهكها الاستعمار بجميع اسلحته المتعددة . والحقيقة قد بدأت منذ اواخر القرن الحادي عشر ، وفي ١٥ يوليو ١١٤٣ م بالذات ، عندما اغرى « بيتر المبجل » روبرت (١) أوف كتن ، و « هرمن الدلماشي » بترجمة القرآن الى اللغة اللاتينية بغرض التزوير لحقائق انسانية وسماوية .. ولنيل من الشعوب المحبة للحرية والامن والسلام وبدأت رحلة المخاض الكبرى ، عبر سياق تاريخي طويل ، ونرى ارهاصات ذلك الحقد

والزيف واللصوصية في ملحمة « الكوميديا الالهية » لدانتي(٢) والذي صنفها الغرب واحدة من ستة كنوز فكرية ادبية في تراث الانسان .. وتبدأ الرحلة في تعتيم فظيع على اهم تراث انساني في تاريخ البشر، وهو التراث الاسلامي والعربي في آن واحد . ويقبض الكثير من ضعفاء الشخصية ، والعقل والفكر بكل ما يقوله الغرب ، وتبدأ السيوف الببغائية المضللة بالانسلال من جبخانة الزيف المريع .. على عقولنا وافكارنا ، حتى نسبح في عالم تاهت ملامحنا في خضمه ، ولم نعد ندري اين موضع الجرح ، وما هو الدواء . حتى اتى القرن العشرين مبشرا ونذيرا بخلاص الامة العربية واكثر الشعوب في قارتين آسيا وافريقية ، وبدأت الحقيقة تنفض الغبار من عليها ، وبدأ الطريق يضاء ، والحقيقة تسفر رويدا رويدا من على وجهها وذاتها لتقول : تعالوا يا من اتعبكم الظلام لتتعرفوا على وجهي وملامحي وكياني ، فيتضح لكم بعد ذلك وجهكم وذاتكم وملامحكم .. لتسيروا على درب الرشاد والصواب . ويستيقظ التراث ليقول : من هو جدير بالبقاء ، ومن هو جدير بالفناء ، ويعيد التاريخ نفسه بنفسه ، ونبدأ نحن وللامانة بالعودة من ذي بدء ، بهذه الهمسة الملحة لكي نحدد اولا مفهوم الآداب العالمية في سياق تاريخي لا ينكره كل ذي بصيرة وعقل وفكر مطلع مجتهد .

وعذري عن الافاضة حول دانتي وسرقته التي أصبحت مكشوفة لدى ابناء قومه وعترته ، ولسوف اتحدث عن ذلك في اعداد قادمة على صفحات مجلتنا « الثقافة » الام ، على ضوء الابحاث الفكرية والعلمية الحديثة حول « دانتي » وحقده الاسود على العرب والاسلام ، في كنزه المزعوم « الكوميديا الالهية » .

قلت سأتحدث : بموضوعية دون تعصب اعمى .. وبأدلة قاطعة – وعفوا – سأعود الى هذه الهمسة ، وسأحصرها بالبحث عن معنى كلمة ، او نعت ، يتصف به الادب العالمي ، وماذا تعني هذه التسمية على ضوء المنطق والتاريخ .

يظن ، او لا يزال يظن البعض ان ادبنا العربي ليس ادبا عالميا ، بل هو فكر متخلف عن ركب الحضارة المعاصرة ، ولاجل ان يكون ادبا عالميا يجب ان يقرأ ويترجم الى لغات اوروبية ، فرنسية ، وانكليزية ، وايطالية ، وروسية الخ .. حتى يصبح ادبا معترفا به عالميا ، وهذه نظرة بمفهوم خاطىء .. لا شك ان هذه الامم الاوروبية الغربية والشرقية لها آداب عالمية، وليس الخطأ ان نقول ذلك وانما الخطأ ان نقول : ان ادبنا متخلف ، وفكرنا ردىء وشخصيتنا صغيرة أمام شخصية الآداب الغربية ، ولن تكون آدابنا عالمية الا اذا ترجمت الى لغات شعوب الارض . ان الآداب العالمية – في اعتقادي – الذي يعيش عليها اجيال كثيرة في اقطار انسانية ، فالادب العالمي ليس هو الذي يمتلك البأس والقوة والسلطان ، ولكنه الادب الذي يسكب قوته وسلطانه على النفوس من طبيعته وذاته هو ، لا من قدرة المال والسلاح والنفوذ السياسي او من اي مصدر من هذه المصادر الباطشة التي تتيح للامم ان تكون سليطة متسلطة على العباد والرقاب .

فهل ادبنا العربي عالمي ، وما هي مكانته بين هذه الآداب العالمية ؟.

ومن المحتم جدلا ، ومن المفروض عقلا وفكرا عندما نتحدث عن شيء بأن لا نسقط نشوءه وتطوره في مراحل مساره التاريخي لكي نكون على وضوح وبينة من الامر . وعندما اخترنا ان نتحدث عن الآداب العربية والاسلامية لا نستطيع ان نتحدث عن ادب عصر بعينه ، وانما يجب ان نتحدث عن الادب العربي والاسلامي بمجمله بخطفة سريعة ، دقيقة وامينة ، حفاظا على البحث محصور في امكانية مجلة . نتحدث عن الادب العربي والاسلامي لا من حيث هو الآن ، بل منذ كان الى حيث هو الآن . ان ادبنا العربي في عصوره الاولى كان ادبا عالميا كأرقى واوسع ما تكون هذه الكلمة من معنى ومضمون ، وهذا لا يختلف عليه اثنان ، حيث لا شك في ذلك ، كما لا يجادل في ذلك الا الحمقى والمتطفلين على الادب والثقافة . كذلك الادب العربي بمعناه العام ، الادب الذي يصور العقل الانساني في امة من الامم . وخاصة بعد ظهور الاسلام ، فهو لم يكد يتجاوز الجزيرة العربية منذ العصور القديمة حتى ظهور الاسلام ، فتأثرت به الامم الاخرى بعد ذلك

ففرض نفسه على العالم القديم كله تقريبا . ومن هنـا تأتي فكرة الطرح بين الادب العربي والادبين القديمين، الادب اليوناني ، والادب اللاتيني ، فقد كان الادب اليوناني في العصور القديمة أدبا عالميا وعسى ان يكون اول ادب يستحق هذا النعت ، ذلك لانه لم يقتصر على الامة اليونانية التي تنتجه وتستمتع به ، بل انما تجاوز حدود اليونان في الشرق بعد ان فتح الاسكندر ما فتح من البلاد ، وظل هذا الادب وظلت الثقافة اليونانيـة ـ قوام حياة الانسانية المتحضرة ـ اكثر مـن عشرة قرون ، وبهذا يمكننا ان نقول : ان الادب اليوناني هو الادب العالمي الاول من الناحية التاريخية ولكن رغم امتداد اللغة اليونانية الى اصقاع كثيرة لم تستطع ان تفرض نفسها على كثير من الشعوب امثـال الشعب المصري الذي كان يتكلم « القبطية » رغم نتاجهـم اليوناني ، وظلت اللغة الآرامية صامدة في بلاد الشام والعراق رغم ان ادباء هذين القطرين كانوا يكتبـون باليونانية !!؟. وجاء الرومان بعد ذلك ففرضوا لغتهم فرضا على غرب اوروبا ولم يستطيعـوا ان يقاومـوا اللغة اليونانية في الشرق .

وهكذا لم تستطع اللغة اللاتينية ان تفرض نفسها الا في غرب اوروبا ، وفي ايطاليا ، وفرنسا ، واسبانيا، وبريطانيا العظمى ، لان هذه البلاد بشعوبها لم تكن لها في تلك الاوقات حضارة بارزة ، اما لغتنا العربيـة فانها لم تكد تتجاوز الجزيرة قبل الاسلام حتـى تكلمها كثير من أهل الشام قبل الفتح الاسلامي وتكلمها كثير من اهل العراق ايضا ، فكانت لغة حديث الـى جانب اللغات الاخرى التي لم تستطع اللغة اليونانيـة ان تمحوها ، ولا ان تضعفها ، وبعد الاسلام انتشـر القرآن العربي الكريم في البلاد التـي فتحت ، واذا بالامور تتغير ، والتاريخ يأخذ مسارا جديدا لم نعرفه من قبل .

وقبل ان يحل القرن الثاني للهجرة اصبحت اللغـة العربية هي لغة الشعوب في كثير من اقطار الارض ، في العراق ، والشام ، وشمالي افريقية ، واسبانيا ايضا وقطاع كبير من بلاد فارس . واذا اللغات التي ظلت حية تقاوم اللغة اليونانية واللاتينية والفارسية من قبـل اولئك وهؤلاء ، اصبحت تتضاءل شيئـا فشيئا ، ويضيق سلطانها وتتقلص بكيانها حتى تغدو محصورة بالاديرة وفي بعض المحافل الخاصة ، وتصبح لغة قديمة ميتة ، فالشعب المصري لم يعد يتحدث باللغة القبطية والشعب السوري والعراقي لم تعد لغته آراميـــة ،

ولم تقف اللغة العربية بزحفها على هذا المنوال فقط ، وانما اثبتت وبجدارة انها لغة لا تكتفي بهذا المد اللغوي المتين المتناغم الانسجام بالحرف واللفظ ، ولكنها لغة طامحة حريصة على ان تسيغ وتهضم كل ما تستطيع ان تلقاه امامها من أنـواع المعرفـــة والعلم والبحث والحضارة على اختلاف فروعها ونشأتها . فكل ماكتبه اليونان واكثر ما كتبه الرومان وكل ما كانت الآسيوية والافريقية التي عرفها العرب ، ساغتهـا اللغة العربية وحولتها الى ثقافة واحدة ، وحضـارة واحدة ، هي الثقافة العربيـة ، والحضارة العربية ، واستطاع شاعر كأبي تمام ان يقول :

بالشام اهلي وبغـداد الهوى وأنـا
وبالرقمتين وفي الفسطاط اخـواني

وما أظن النـوى ترضى بما صنعت
حتـى تبلغني اقصـى خراسـان

هذا الوطن العظيم التي اتسعت رقعته من اقصى الغرب ، تكونت له لغة واحدة وادب واحد ، وثقافـة واحدة ، وعلوم واحدة بفضل اللغة العربية وبفضـل الاسلام . ان اللغة العربية التي تجاوزت الشرق ، وتجاوزت البلاد التي كانت تتكلم لغة مـــن جنسها ، تتكلم اللغات وبينها وبين اللغات السامية شيء مـن الجوار ، عندما تجاوزت الشرق واستقرت في غـرب اوروبا لم تضع شيئا لتفرض نفسها على المغلوبين، وانما تنافس المغلوبين في تعلمها والالمام بهـا واتقانهـا وفي مشاركة اهلها في انتاج ادبهم .

وكتب بعض القساوسـة في تلك الاوقات ، كتب بعض القسس بأسف ويحزن ويصور قلبه الذي كانت الحسرة تذيبه لان الشباب المسيحي هجر لغته هجرا خطيرا ، ويسرع الى تعلم اللغة العربية ولا يكتب شيئا في اللغة اللاتينية ، وقد نسي القس شيئا واحدا هوانه نفسه هو حين كان يكتب كان متأثرا باللغة العربيـة الى حد كبير .

مثلا ان اللغة اللا تينية لا تعرف القافية لا فـي الشعر ولا في النثر ، واكثر من ذلك ان الذين تعلمـوا اللغة العربية من الامما لاخرى قد زاحموا العـرب انفسهم على ادبهم وفي كثير من المواقف ، فالشعـراء الذين ملأوا الدنيا شعرا في القرن الثاني للهجرة كـان فحولهم من غير العرب امثال : بشار بن برد ، وأبـو

نواس ، وابو العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، كـل هؤلاء الفحول كانوا من الفرس ناهيك عن ابي تمام الذي يختلف فيه ، وابن الرومي واضح من اسمه ماهو اصله ، فقد كان ابوه روميا وامه فارسية ، فهؤلاء قد امتازوا في لغتنا حتى قهروا شعراءنا ، حتى انهم استأثروا من دون العرب أنفسهم بالتفوق الادبي الشعري ولم يكونوا عربا والعلم الذي انتج في اللغة العربية لم ينتجه العرب انفسهم وانما شاركهم فيه علماء من اجناس كثيرة ويكفي ان نذكر ابن سينا ، والفارابي وان نذكر اختلاف الناس في هذه الايام حول هوية ابن سينا .. البعض يرونه تركيا في تركيا ، ويراه الفرس فارسيا، وانا شخصيا لا يعنيني مطلقا أن يكون فارسيا أو تركيا وانما عربيا لانه عربي كتب بالعربية للانسانية جمعاء تراثه في اللغة العربية ، كتبـه الاساسية الطب ، والفلسفة ، وتلخيصه لارسطاطاليس كل هذا كتب باللغة العربية ، فليكن اصله ايا كان ، وحتى شخص ابن سينا لا يعنيني بقدر ما يعنيني ما تركه – وهو لا يحصى – في التراث العربي : لا التراث التركي او الفارسي .

ما تمتاز به اللغة العربية وثقافتها كما نعرفهـا الآن ، وكما نعدهما من التراث العربي لا يقبل للشك او للجدل ، رغم انه من نتاج اجناس متعددة شاركت في بناء تراث هذه الامة وتفوقت على العرب الاصليين أنفسهم ، فهي حضارة انسانية قبل كل شيء ، وهي عربية لانها كتبت بالعربية ، وهي انسانية لانهـا حفظت التراث الانساني القديم ونقلته الى انسانيـة كانت تجهله ، واتاحت لهذه الانسانية في اوروبا ان تتحضر ، وان تتثقف ، وان تتخلص مـن الظلمـة الحالكة في القرون الوسطـى ، وان تعيش الى الآن متحضرة مثقفة منتجة في الحضارة والثقافة متفوقة على العرب أنفسهم تفوقا كثيرا . وبرغم هذا كله فهذا الغرب المتغطرس الآن مدين بثقافته وحضارته للامة العربية شاء ام أبى اولا ، وللامة اليونانية بعد ذلك . هذه اللغة العربية فرضت نفسها لا بسلطان السياسة، ولا بسلاح القهر والتسلط .. بل بسلطان الانسانية فاتيح لها النجاح ولم تجد الا وطننا واحدا حاول مقاومتها ونجح وهو الوطن الفارسي ، ولكن لم يستطع الفرس ان يتخلصوا منها الـى الابد . ذلك لسببين بسيطين :

اولا : لان علومهم ظلت تكتب باللغة العربية الـى عصور متأخرة جدا ، الى القرن التاسع للهجرة .

وثانيا : ان الشعر الفارسي انما مقياسه أوزان الشعر العربي ولا مفر من ذلك .

كل هذا ان دل على شيء انما يدل على ان ادبنـا العربي في عصوره الاولى قد كان عالميا باوسع معاني هذه الكلمة واقواها ، كان عالميا لانه شمل العالم المتحضر كله في ذلك الوقت .. وكان عالميا لانه فرض نفسـه على أمم لم تكن تعرفه وكانت لها لغاتها وآدابها فنسيت لغاتها وشغفت بالعربية وآدابها ، وكان عالميا بنـوع خاص لانه حمل أمما كثيرة على ان تشترك في تهيئـة هذه الحضارة الانسانية التي تعيش الانسانية عليهـا الآن . بعد هذه الحقيقة لكل عارف من ذوي الثقافات هناك مشكلات تثار حول هذا الادب العربي القديم الذي نقول بانه ادب عالمي باوسع ما تعنيه هـذه الكلمة . يأتي أحد الاوروبيين الحاقدين ليقول : ان هذا الادب العربي أدب ساذج تنقصه اشياء كثيرة مما تمتاز به الآداب الغربية ، وتنفتح الآذان «التقريدية» وتصدق هذا القول المغرض ، فيردد اصحاب هذه الآذان قـول هذا الغربي الحاقد بنهيق يعصف بالذوق : ونبـاح يأسف من سماعه ذوي الفهم والحس والذوق. يقولون مثلا ، ان الادب العربي هو ادب قد خلا مـن الادب المسرحي ، وهذا صحيح لا شك فيه ، ولكنا نعرف ان الادب اللاتيني مثلا لم يكن فيه ادب مسرحي قبل ان يعرف التمثيل المسرحي اليوناني ، فنقل منه الـى الادب اللاتيني وقلده اليوناني وانشأ مسارحهم ،وحتى اللغات الاوروبية الحديثة لم تعرف التمثيل في آدابها الا عندما اتصلت بالتمثيل اليوناني فنقلته واضافت عليـه .

والامة العربية لم تعرف التمثيل لسبب بسيط هو انها لم تكن يونانية ، ثم لم تكن لها هـذه العبادات ، وهذه الديانات الوثنية القديمة كالتي كانت للامـة اليونانية ، والتي كانت تقتضيها انواع من العبادة منها العبادة بالتمثيل .

والامة العربية لم تترجم التمثيل اليوناني لسبب بسيط وهو ان الادب المسرحي اليوناني بالوقت الذي كانت الامة العربية تترجم عن اليونانية كان هذا النوع من الادب مقبورا بالاديرة والكنائس وفي الكتب المحرمة. كما كان هذا النوع من الادب محرما ان يمثل ، ومحرما ان يقرأ : لان الديانة المسيحية كانت تحرمه تحريمـا قاطعا ، وتراه من آثار الوثنية ، والامـة العربية لم تعرف الالياذة او الاوذيسة السبب هو لم تكونا معرفتين:

ولم تكونا منشورتين بل كانتا معدودتين من الاعمال الوثنية ايضا ، فكانت المسيحية تحرمهما ، ولم يكن النظر في امرهما مباحا لاحد من الناس . وكما يقال عن الادب العربي ايضا انه خال من الادب القصصي ، وهذا ايضا من الخطأ والتجني على الادب العربي ، وهو من الاخطاء الكثيرة الشائعة . وان الادب العربي لا يفتقد الى القصص كما يشاع عنه بل قصصه على طبيعته هو . والذين يقرأون اخبار الحروب وايام الناس ، وايام العرب ، ويقرأون النقائض بين جرير والفرزدق والاخطل ، يعرفون ان الادب العربي لم يخل مطلقا من قصص الابطال والحروب وما الى ذلك من الاشياء التي تصورها الاليـــاذة ، ويصورها الادب القصصي اليوناني . خطأ آخر يقال : وهو ان ادبنـــا العربي ليس كالآداب الاوروبية الحديثة : ولا يشبـــه الادب الفرنسي والانكليزي وليس فيه مثل هـــذه الاشياء الكثيرة التي توجد في هذه الآداب الحديثة : فهذا بالقياس الى ادبنا القديم هو الظلم كل الظلم .. لان ادبنا القديم عاش في عصور مضت عليهـــا قرون طوال ، وليس من المعقول ان تكلف ادبنا القديم مجاريا ومطبقا ومشبها لمقتضيات العصر الحديث الذي نعيش فيه ، لاننا نملك بأن نقدم دورة الزمن عن ميقاتها ، وادبنا ادب غني عظيم لانه عصارة الحضارات مهضومة بفكر العربي ومفروزة منه بنكهة خاصة به وبشخصيته . فالعربية بتراثها الضخم قد استقت حكمة اليونان والفرس ، والهند ، وهذا كله حق وهو دليل عـــلى قوتها واستيعابها وفرزها الاصيل ، كما هو دليـــل على استعدادها لان تكون لغة حضارة انسانية عالمية ، ودليل على استعدادها للتصدي والبقاء في نمو مطرد سرمدي ، أما ادبنا الحديث فهل هو عالمي بالمعنى الذي قدمته سالف الذكر ؟. ام هو أدب محلي وليس ادبا عالميا ، الا لانه ادب ينتجه ويفهمه ويتذوقه مقـــدار ضخم من أجيال الناس من الخليج الى المحيط الاطلسي واذا كان هذا القسم الضخم من العالم متفقا في ذوقه وعقله وشعوره ، يتكلم لغة واحدة وبها يكتب ويفهم ادبا مهما تختلف طبيعته وشكله فهو ادب عربي يتذوقه كل انسان في هذا الجزء من الارض الشاسعة ، ويتأثر به كل انسان .. هذا الادب لا يمكن ان يكون ادبا محليا لو أن ما ينتج بالشام لا يستطيع المصريون ان يقرؤوه ، ولا يترجموه ، وحين يكون الادب المصري كذلك ، في العراق ومراكش الخ .. فلا يمكن بعد ذلك أن يكـــون ادبنا ادبا يشك فيه انه لا يستطيع ان يكون عالميـــا ، ونرى في السنوات العشرون الاخيرة اهتمام الاوروبيين والامريكيين للادب العربي ، يحتفلون به ، ويكلفـــون انفسهم الجهد في قراءته ، وفي ترجمته الـــى لغاتهم ، وكان الروسيون أسبق الاوروبيون الى هذا ، ثم أول من حاول ان يترجم ما كتبه العرب في هذا القرن ، ثم تبعتهم أمم اخرى فترجمت الى لغات كثيرة مختلفة ، وبرغم من هذا فهناك اشياء تحول بين ادبنا الحديث وبين هذه العالمية التي يطمع فيها كثير من الناس ، هذه الاشياء تنقسم الى قسمين اهمها : الاول يأتي من ناحية الادباء ، فأدباؤنا يحتاجون الى ان يعتنوا بأدبهم اكثر مما عنوا به الى الآن ، محتاجون الى ان يعنوا بأدبهم عناية مضاعفة تقتضيهم ان يتقنوا ادبهم القديم قبل أن ينتجوا ادبهم الحديث ، وتقتضيهم ان يفتحـــوا عقولهم وافكارهم — كما قلت في مطلع هذه الدراسة المتواضعة — لكل الآداب والثقافات الحديثة مهما يكن مصدرها ، ولكن عليهم بتراثهم اولا ، فلو اعتمدنـــا على الادب القديم وحده لكنا تاريخا قديما يعيش في العصر الحديث ، ولو اعتمدنا على الادب الاوروبـــي المستورد الحديث وحده لبرئنا مـــن جنسيتنا ، ومن جسد امتنا ، ومن تاريخنا كله ، اذن فليس لنا بد من ان نجمع في عقولنا وقلوبنا بين هذا القـــديم الذي لا يجحده الا جاحد النفسه ، والذي لا انتماء له ، ولا هوية ، ولا قوم ، ولا قوام الحديث بدونه ، وبين هـــذا الحديث الذي هو من مقتضيات الحياة واستمراريـــة الديمومة الانسانية في وجودها وصيرورتها . ويجب ان نكون عربا ، ويجب ان نعرف كل ما عند الامم الاخرى، واذا استطاع ادباؤنا ان يبدأوا بتثقيف انفسهم اوسع ثقافة ممكنة في القديم والحديث ، يوم يستطيعون هذا سيشعرون وسيجدون في انفسهم شعورا .. هـــذا الشعور الانساني الواسع الذي لا ينبسط في العـــالم الحديث وحده ، وانما ينبسط الى اعمـــاق الزمان ، ينبسط الى القديم ايضا ، يومئذ يكون الانتاج العربي انتاجا انسانيا واسعا بأوسع ما تعنيه هذه الكلمـــة من مدلول ومعنى ، ويوم يكون انتاجنا انسانيا ينسجم فيه القديم بالحديث انسجاما موسيقيا رائعا تخـــرج حينئذ تلك الانشودة الخالدة وتفرض نفسها على كـــل لغات البشر فرضا غير محدود بمكان او زمان ، ويضطر البشر من الاجناس واللغات ان يترجموا كلماتهـــا ويقرؤونها باعجاب وحب وتقدير . برغم هذا كله فقد اخذ ادبنا يشق طريقه الى العالم الغربي اكثر مما نظن، لاننا حتى الآن ننتظر ان نرى كتبا العربية قد ترجمت الى لغات اجنبية ، ولا نرى انفسنا اننا قد استطعنـــا ان نفكر بنتاج ادب عالمي ، الا اذا نشر في الصحف ان كتاب فلان ابن فلانة قد ترجم الى هذه اللغة ، وهـــذا شيء لا معنى له مطلقا ، ادبنا اخطر جدا مما نعلم ومما

نقدر ، ويكفي ان تطوفوا في اقطار اوروبا وامريكا لكي تروا كتبا عربية لا تخطر لاحد منكم ببال . تدرس في الجامعات الاوروبية ، ويقرأها طلابها باللغة العربية ، ويكتبون عنها لاساتذتهم ، ويعلقون عليها ، ويتحدثون حولها ، ويعيشون بها ، ويسعون بعد ذلك الى الترحال نحو البلاد العربية ليلقوا أصحابها وكتابها ، وليتحدثوا اليهم ، ثم يعودون وقد عرفوا عنهم ما استطاعوا ان يعرفوا . ما الذي نريد اذا كانت آثارنا الآن التي ينتجها شبابنا الآن تدرس في الجامعات وتعرض موضوعا للامتحانات العليا في بعض الجامعات الاوروبية . اليس هذا دليلا على أن ادبنا قد أخذ يتجاوز الحدود العربية ، والى بلاد كنا الى وقت قريب نرى بلاد القوة والسلطان والبأس الشديد ، فهو من هذه الناحية بدأ يمضي الى الامام في العالمية الحديثة ، ولكنه يجد برغم هذا كله مقاومة خطيرة وشديدة في الغرب وهذا هو الشق الثاني من القسمين الذي يجب أن نلتفت اليه ، وان نتأهب للدفاع عن انفسنا امام هذه المقاومة ، وهذه المقاومة تأتي من الغرب بعقلية العنجهية والتعصب الاعمى لهذه الامة العربية وبنظرة اليها بأنها امة خضعت لسلطانه ، ولا يزال يطمع في ان يخضعها لسلطانه السياسي ، أو العقلي ، او الاقتصادي ، ثم لا يزال ينظر اليها على انها من هذه الامم التي يسمونها من الامم المتخلفة ، فهي اذن محتاجة الى معونة من الغرب، معونة عقلية، واقتصادية، وسياسية ..

الغرب مؤمن بانه لا بد من ان يرينا اننا بحاجة الى تربية سياسية ، ولا بد من ان يعاوننا اقتصاديا ، ولا بد من ان يروض عقولنا واذواقنا ، فهو اذن لا ينظر الينا على اننا انداده ، بل ينظر الينا على اننا اقل منه خطرا واهون منه شأنا ، وينظر الينا نظرة فيها الكثير من الرثاء ، وفيها الكثير من الازدراء ، فنحن ابناء الابل والخيام ، نحن المستضعفون وهو الاقوى المتسلط ، ونحن الفقراء وهو الغني الموسر ، ونحن الجهلاء وهو العالم الذي لا يشق له غبار او جدار ، وكذلك ينظر الينا هذه النظرة ، فاذا قدم اليه كتاب عربي فنظرته الاولى الى هذا الكتاب قبل ان يفتحه ، وقبل ان ينظر فيه ينصرف عنه ، لانه كتاب رجل من هذه الامة الضعيفة التي لم تصل بعد الى ان يحفل به ، او ان نسمع اليه ، هذا الشعور ، وهذا الاقتناع الذي يلمسه كل انسان يعرف الغرب ، ويعاشر الغربيين ، في بلادنا هو الذي يجب ان نتأهب لاحسن اهبة واقوها لمقاومته ولتبرئة انفسنا منه ، ولا ينبغي ان نطمع الغرب فينا ، ولا نشعره بأننا أقل منه استحقاقا .. ان يقرأ ادبنا ، واقل استحقاقا منه ان يعني الناس بنا ، ويحتفلوا بما نعمل ونقول ، وسيلتنا الى هذا بسيطة جدا ، هو اولا ان نؤمن بأنفسنا دون غرور ، ودون « بايب » تقريدي ، ان نعالج عالم الغرب كله في غير احتياط ، يجب ان نعرف كل ما في حوزته وجعبته بعقول منفتحة واعية ، وان نجلس اليهم ونتحدث اليهم بعلومهم وآدابهم وثقافتهم كأننا منهم ليعرفوا اليس بيننا وبينهم اي فرق في حال من الاحوال سوى لون البشرة ، وان نعتمد على انفسنا في تنمية اقتصادنا ، واشعار الغرب باننا متحررو الارادة ، مستقلين الذات ، وشعاره بأنه محتاج الينا كما نحن نحتاج اليه ، لان الحياة تقوم على التبادل لا على التسلط والقهر ، وكذلك في الشؤون السياسية .

ومن البداية حتى النهاية نقول شيئا مؤكدا هو : ان آدابنا القديمة آداب عالمية لا شك في ذلك مطلقا ، والحديثة أخذت تشق طريقها بشكل جيد يثير الاهتمام في الطريق الى العالمية بالمعنى الصحيح ، ولكنه بحاجة الى جهود كثيرة جدا ليفرض نفسه على الغرب وعلى الامم المختلفة مهما تكن قوتها وبأسها . والمهم وقبل كل شيء هو ان يشعر المثقف العربي بانه انسان ليس تبعي لاحد ، ولا يعمل الا لنفسه وامته ووطنه وحده ، وانما يعمل للانسانية جمعاء ، وعليه ان ينتفع بكل علم ، وهو مكره على ان ينفع الانسانية جمعاء وسبيله الى ذلك ان يتخلص من عقد الأنا وينطلق الى العالم الرحيب ، منفتح العقل نظيف القلب .. واع لقديمه متوثب لحديثه مهما تكن يوم يصنع هذا المثقف العربي هذا مؤكد ان ادبه سيكون ادبا عالميا سواء أفهم من هذه المقولة معناها الصحيح الذي صورته ، او هذا المعنى الذي يطمع فيه شبابنا عندما يتمنون ان يترجم ادبهم الى اللغات الاجنبية يوم نكون اقوياء في حياتنا وفي انفسنا وفي تفكيرنا ، نفرض انفسنا على الادب الغربي ، يضطر الغرب الى ان يترجم لنا كما اضطرنا الى ان نترجم له .

حلب ـ د. محمد جبر

---

١ ـ عالم الفكر ص ٩٠ ـ دكتورة رشا حمود الصباح
٢ ـ الثقافة الاسلامية والكوميديا الالهية ـ د . صلاح فضل

قصيدتان لمحمد ظريف صباغ

فاتنة..

رقص القلب للحبيب وغنى فاذا الكون نسمة عذراء

تاه عقل الجمال حين تهادت وتغنت من سكرها الاحناء

كيف يصمي الدلال منك ؟ ويرمي القلب صمت ويفتك الاغضاء ؟

يخضع السيد الجليل لديها في ابتهال وتسجد الامراء

يغرق الصبح في الرنو اليها مستهاما وتسعد الابهاء

كل شدو يسعد الكون صلاة كل همس يسبي الضلوع نداء

ربة الحسن هل يحن التفات صبوة تغتلي ويسعى رجاء

أسأل النجم عنك ما لاح نجم ويهيم الفتون والاسماء

ويظل اسمك البهي ندائي ما سرى في الوجود حاء وباء

لاتنتشي

لا تنتشي . ان الازا هر أشرقت فيها النضارة

عبق الربيع بحسنها وتنهدت فيه الاثارة

لا تنتشي زهر البنفسـ ج ضل لا يدري مزاره

نجواي ضاعت هل يرا م لها رجوع واستداره ؟

قالوا بروضك ينتشي حب ، فهل تغني الاشارة ؟

حلب ـ محمد ظريف صباغ

الحب يلد الأطفال

* * *

شعر: مصطفى النجار

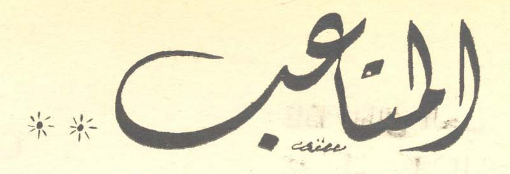


فاذا انطلق الحب
غنى أسرار المطلق
واذا الاطيار تهادى ...
واذا الارض العطشى زنبق
واذا الاوراق طيور
وبقايا من أمل مكسور تحيا
واذا الاظلام صباح
واذا الدمعات أقاح
ذابت كل الابعاد
ماتت كل الاحقاد
عادت « ليلى » من غربتها
ويباركها الله
يتلألأ في القلب
قنديل المأساه
ونعاهد قلبينا
ونعاهد عقلينا
نمشي في الدرب ..
مهما كانت هذي الدرب ؟
في الظلمة .. في المنفى
يتلألأ في القلب
قنديل من حب
« ليلى » تلد الافراح الاطفال ملائك
حب لا أصفى ؟

★ ★ ★

الدرب طويل . يا وطني ؟ .
من ذا .. من ذا يغلب فينا الحب ؟

● مصطفى النجار



قد تأتي من المريخ

قصة : ضياء قصجي

الى قرية صغيرة تقع على تخوم بلد كبير ، ذهبت قرب غابة مكتظة بالاشجار المثمرة ، بنيت بيتي ... وتحت سماء صافية لا تعكر صفوها الغيوم ، عشت حياتي .

لم اكن انعزاليا هكذا ، لكن كثرة المشاحنات والخلافات اقلقتني وطمست مبادئي .

كنت مستلقيا ونظراتي تبحث عن نهاية غيرموجودة لسماء لا غيوم فيها ولا نجوم .. نظراتي التقت بشيء يتحرك في السماء يبرزه لونه الناري ، ويسير في مسار منتظم .. استقرأت معلوماتي القليلة عن الفلك فقلت لا شك انه كوكب صناعي يسير من كوكب الى كوكب، فكرت في هذه العقول التي تقبع خلف دهشتي وتثيرها دائما ، تلك العقول التي حققت الصعود الى القمر ، والسفر الى المريخ والزهرة ، وصورت لنا رائد الفضاء الاميريكي وهو يعانق رائد الفضاءالروسي ويعود كل منهما الى مركبته .

أشياء يثبتها العلم ، ولا يرفضها العقل ، لكنه يبقى مندهشا امامها ولا يملك الا أن يندهش .

الشيء الناري الذي ظننته قمرا صناعيا ، ابتدأ مع مرور الزمن يكبر حجما ، ويزداد بريقا،واحسست انه يقترب من كوكبنا الارضي اكثر فاكثر ، قلت في نفسي انه منطلق من الارض وعائد اليها .. لكنه ابتدأ يقترب مني ، ويزداد توهجه ، زحف الرعب الى نفسي فانسحبت الى كوخي الصغير ، واوصدت النافذة الصغيرة ، والباب الخشبي الكبير واستلقيت على سريري .

لكن صوتا مرعبا قويا كان يزداد قوة ويحرمني راحتي واستجمامي .. ثم حدثت الطامة الكبرى ، وحدث الدوي الهائل ، الانفجار .. الشظايا .. الاضاءة المخيفة في وسط الليل .. حدثت هذه الامور وانا في سريري ، وبعد انتهاء الضجة ، واطفاءالحرائق واجتماع اهالي القرى من قريبة وبعيدة ، فتحت باب كوخي بحذر ، واطلعت على ما يجري في الخارج ظنا مني ان القيامة قد قامت ، ويوم الحشر قد حان .. لكنني وجدت الهدوء يسود ولم أجد سوى حسناء ناعمة غامضة الاحاسيس وفي شكلها ما يريب ، واقفة امام الباب ، وحين وجدتني سرت فاقتربت منها وسألتها :

— من أين انت ..؟

— ....

— من المريخ .؟

لاحظت انها صماء لا تسمع ، او انها خرساء

لا تنطق ، أو أن لغتي ليست لغتها . جعلت فمي قريبا من اذنها وصرخت :

- الا تفهمين شيئا .؟

لم تبد اي استياء ، تأكدت انها لا تسمع ، فقذفتها بعديد من الشتائم .. قلت (من اين هذا البلاء ... لعنة الله عليك ، وعلى الذي وضعك امام بيتي) فلم تحزن امسكت يدها ، فشعرت ان يدها تشبه فقاعات الصابون .. ضغطت قليلا كأنني ضغطت على الريح . فلم يعجبني هذا .

ادخلتها كوخي ، وجعلتها تجلس على سريري ، واتيت لها بطبق من الطعام ، فابتسمت ثم ضربت الصحن من الخلف بقوة ، الصقت الطعام في وجهي هذا فضربتها قائلا :

- أيتها الحقيرة هل ارسلك المريخ لازعاجي ..؟ واخراجي عن طوري ، فلم اشعر بجسم يرتطم بيدي وانسانة تتألم !!

استلقيت على بساط ممتد فوق الارض ، حاولت الاغفاء .. وما هي الا لحظات حتى سمعت ضجيجا وصخبا ، وكأن مجموعة هائلة من البشر تجتمع امام كوخي هذا تبع هذا طرق عنيف على الباب ، ثم ضغطوا عليه فاندفع الى الداخل وسمح لعدد كبير من مخلوقات غريبة ، معربدة ومزمجرة ان تدخل الى بيتي الآمن ، تقدم احدهم وجذب الفتاة بعصبية ، ووجه الي الفاظا لم افهمها ، لكنها شتائم لا ريب في هذا ، بدليل الصوت المرتفع ، والاشارات العنيفة .

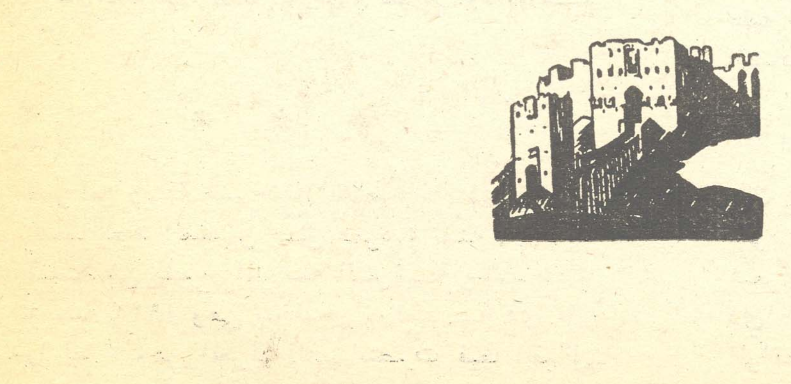
بعضهم اجتمعوا على ضربي وركلي ، وكانت لغتي العربية عاجزة عن ان تزيل سوء التفاهم اللعين بيننا. كنت اسألهم واكرر سؤالي :

- انا من كوكب الارض .. وانتم من كوكب المريخ فما الذي فعلته معكم حتى القى عقابكم هذا .. ان هذه المخلوقة الغريبة اتت لعندي كالصاعقة ، لم اكن راغبا في مجيئها وعلى الرغم من هذا لم اسيء اليها .

كان كلامي يزيدهم قسوة في معاملتي ، قلت في نفسي ان ثقافتي لن تنفعني في مثل هـــذا الظرف الغريب ، فلو انني حفظت لغات العالم باسره ، كيف لي ان اتعلم لغة سكان المريخ .؟

نظرت الى السماء .. كان الكوكب الناري مايزال يسير بتؤدة على خط مساره المنتظم وعيناي تتابعانه بتؤدة .

● **ضياء قصبجي**



دور حلب في الأدب المسرحي في سورية

بقلم: أحمد زياد محبك

كان خليل هنداوي هو اول من يذكر ، حين يذكر دور حلب في الادب المسرحي ، واليوم يذكر اول من يذكر وليد اخلاصي ، وبين الهنداوي والاخلاصي يذكر كتاب آخرون ، منهم عبد الرحمن ابو قوس ، وعبد الفتاح قلعجي ، ولكن لا بد من ذكر من سبق هؤلاء جميعا وكان له دور ، وهو عمر أبو ريشة .

فما الذي قدمه هؤلاء للادب المسرحي في سورية ؟ وما دورهم فيه ؟!

* * *

لعمر أبي ريشة مسرحيته الشهيرة : « ذي قار » ، التي كتبها بعيد العشرين من عمره ، سنة ١٩٢٩ ، وقد مثلت على مسرح المدرسة الشرقية بحلب ، ثم نشرت سنة ١٩٣٢ وهي تتخذ من موقعة ذي قار مصدرا لها ، وهي المعركة التي انتصرت فيها القبائل العربية ، متحدة بزعامة بكر على جيش الفرس ، مع ظهور الاسلام .

والمسرحية تختلق شخصية المنذر ، ثم تصطنع قصة حب بينه وبين الحرقاء بنت النعمان ، ثم تصور كسرى يخطب من النعمان ابنته ، فيرفض ، فيغضب كسرى ويدعو النعمان اليه ثم يقتله ، ويمضي فيرسل الجند في طلب الحرقاء ، وكانت قد هامت على وجهها في الصحراء ، فيهدد القبائل ان هي أجارتها ، ويجبرها هانىء بن مسعود ، ثم يجمع القبائل ويوحدها ، وتكون المعركة ويخوضها المنذر ، فيصول ويجول ، حتى يحرز النصر ، ثم ينصب ملكا على العرب ، ويتزوج الحرقاء .

فالشاعر يعزل وقعة ذي قار عن ظروفها السياسية والاقتصادية ، ليقدمها في جواء من الحب والحماسة فاذا هي صورة للبطولة الفردية ، من اجل الثأر للنعمان ، والظفر بابنته الحرقاء ، وليست صورة لحقيقة الصراع الذي كان قائما بين كسرى والنعمان ، أو بين القبائل العربية ، وفارس .

لقد كان الشاعر يسعى الى اثارة مشاعر العزة والاباء ، واحاسيس البطولة والشهامة ، ليذكر بأنها قيم العربي الاصيل ، الذي يأبى الذل والهوان ، فهو يلوذ بالماضي المجيد ، ليقبس منه صفحة مشرقة هربا من الواقع المر الاليم ، الذي كان يفرضه المستعمر الفرنسي على سورية آنئذ .

ولابي ريشة حواريتان شعريتان ، هما عذاب ، وطوفان ، يعرض في الاولى لشقاء الفنان في الواقع الاجتماعي ، ويعرض في الثانية لما في ذلك الواقع من زيف وفساد . وله ايضا ثلاث مسرحيات شعرية ، طويلة هي محكمة الشعراء وسمير اميس ، والحسين عليه السلام ، نشر من الاولى بصفة مشاهد في مجلة الضاد الحلبية ١٩٣٧ ، وعزف عن نشر الاخريين .

ان مساهمة أبي ريشة في كتابة المسرحية الشعرية مثل مساهمة كثير من الشعراء ، في مقدمتهم احمد شوقي ، كانت في حقيقتها نزوعا نحو كتابة حوار شعري ، لا يمكن ان يعتبر عملا مسرحيا ، فمسرحية ذي قار حافلة بأغاني الحب والبطولة ، وفي كثير من المواقف يطول الحوار حتى يزيد على الثلاثين بيتا ،

فاذا هو قصيدة مستقلة ، متينة السبك ، لا تخلو من لفظ غريب يحتاج الى شرح

ان أبا ريشة شاعر في المقام الاول ، اما الكاتب المسرحي ، فهو خليل هنداوي .

* * *

ولم يكن الهنداوي كاتبا مسرحيا فحسب ، بل كان اديبا ومربيا كبيرا ، كتب القصة والقصيدة والمسرحية ، ويمارس النقد والترجمة ، ووضع الكتب المدرسية ، وخرج اجيالا تدين له بالفضل الكبير .

ولقد ترك الهنداوي مسرحية مطبوعة ، هي « هاروت وماروت » (١٩٤٣) ، ومجموعتين مسرحيتين هما : « سارق النار » (١٩٤٥) و « زهرة البركان » (١٩٦٥) ، وتضم كل مجموعة ست مسرحيات قصيرة وله غير ذلك اكثر من عشرين مسرحية منشورة في صحف ومجلات سورية ولبنانية ومصرية كالاديب والمعرفة والآداب والمجلة ، وله غيرها ايضا مما هو محفوظ في (أرشيف) اذاعة حلب ، ولها الفضل في شهرته ، بما قدمت له من تمثيليات اذاعية .

وحين كتب الهنداوي المسرحية كان السائد هو الاتجاه نحو المسرحية الشعرية التي تعتمد التاريخ مصدرا لها ، كما بدا واضحا عند ابي ريشة ، ولكن الهنداوي لم يسر في هذا الاتجاه ، وانما اختار اتجاها آخر ، وهو المسرحية النثرية المعتمدة الاسطورة مصدرا لها ، وهو الاتجاه الذي بدأه في مصر توفيق الحكيم سنة ١٩٣٣ حين نشر مسرحية : « أهل الكهف »

ولقد كانت أول مسرحية للهنداوي منشورة هي مسرحية « هاروت وماروت » التي كتبها متأثرا بالحكيم ، كما صرح هو نفسه ، ثم اتبعها بعدد من المسرحيات الاسطورية ، يزيد عددها على العشر .

وتروي مسرحية هاروت وماروت قصة الملكين اللذين هبطا في بابل ، فأغوتهما ميدخت ، فأقبلا على ارتكاب المحرم ، وباحا لها بالسر الاعظم ، فتطهرت هي من آثامها ، وعرجت الى السماء ، وشقي هما بآثامهما ، وظلا على الارض .

والمسرحية تؤكد اعلاء الهنداوي للانسان وثقته به وتمجيده له ، وهو الانسان الذي يحقق ذاته من خلال الالم يشقى به ويتعذب .

ويؤكد الهنداوي ذلك ثانية في مسرحيته « سارق النار » التي يدفع فيها بـ « بروميثيوس » الى سرقة النار ، سر الخلق ، فتغضب الآلهة ، وترسل عليه الآفات والامراض ، فيتألم ويشقى ، ولكنه يتغنى بانتصاره ، ويؤكد ذاته انسانا قادرا على الخلق والابداع .

اما المسرحية التي طارت بها شهرة الهنداوي ، فهي بيجماليون ، (١٩٤٢) ، وفيها يجعل المثال بيجماليون يتعلق بالتمثال الذي صنعه لحبيبته « جالاتيا » حتى انه ليؤثره على « جالاتيا » نفسها ، ويفضله عليها ، وعندئذ يعمد صديقه « زينون » الى خداعه ، فيسحب التمثال من بين يديه ويبقي « جالاتيا » نفسها ليوهمه ان التمثال قد تحرك ، ودبت فيه الحياة .

والهنداوي يؤكد بذلك ان عماد الفن هو الوهم والخيال ، والبعد عن الواقع ، ومعانقة المطلق والكلي وغير المحدد . وقد أكد ذلك صراحة في مقدمة مجموعته « سارق النار » وفضلهما على الواقع .

لقد كان الهنداوي متعلقا بالاسطورة ، شغوفا بها وقد ظل وفيا لها حتى أواخر حياته ، فكان يصدر عنها ، او عن روحها في كل ما يكتب ، حتى حين يحاول كتابة المسرحية الواقعية او التاريخية .

ففي الخمسينات ، وبعد نكبة فلسطين ، حاول الهنداوي الاقتراب من الواقع ، فكتب اربع مسرحيات عالج في بعضها مشكلة اللاجئين ، ولكنه كان يصدر عن روح اسطورية ، ففي مسرحيته « طريق العودة » يصور أما تقدم السم لابنتها مع الدواء ، لتخلصها مما تعانيه من ألم وشقاء في مخيم اللاجئين ، ولتحقق لها عودة قريبة وسريعة الى الوطن المحتل . وفي مسرحيته « الفدائي الصغير حسن » يقدم بطولة معجزة خارقة ، يقوم بها فتى صغير في العاشرة ، وكأنه يقدم قصة اسطورية ، لا حكاية واقعية .

وفي الستينات كتب بضع مسرحيات تاريخية ، كان يعود فيها الى التاريخ ليجد نفسه فيها عالما خاصا مثاليا ، كالاسطورة ، يرتاح اليه ويطمئن ، ويجد فيه

بديلا من الواقع ، يحقق فيه طموحاته ، ويعبر من خلاله عن مشاعره وانفعالاته .

ففي مسرحيته « درة قرطبة » يصور الشاعر ابن زيدون وقد وعد حبيبته « ولادة » ان يقدم لها « قرطبة » هدية ، ويمضي فيشترك مع المعتمد بن عباد في الاستيلاء على قرطبة ، وبعد سنين من الكفاح والشقاء يفتح قرطبة ، واذ يقدمها لولادة ، تعتذر ، فقد اصبحت عجوزا وشابت ، فما يكون من ابن زيدون غير التخلي عن قرطبة .

وبذلك يفسر الهنداوي التاريخ بالحب ، فمن أجله قاتل ابن زيدون ومن اجله سجن ، ومن اجله فتح قرطبة ومن أجلها تخلى عنها ، وينسى الهنداوي بعد ذلك ان محاولة ابن زيدون في الاستيلاء على قرطبة ليست الا حلقة في سلسلة من المؤامرات والفتن والشقاق بين أمراء الاندلس ، هي التي قادت الى سقوط الحكم العربي في الاندلس .

لقد كان الهنداوي حقيقة مجددا في لجوئه الى الاسطورة ، واعتمادها مصدرا له ولكنه كان يفر اليها من الواقع ، ليطرح افكارا ذهنية مجردة تدور حول الانسان والفن ، ولا يحاول الارتباط من خلالها بالواقع .

ومسرحيات الهنداوي في الحقيقة حواريات قصيرة ، لا يتقيد فيها بزمان او مكان ، ولا يعني بالفصول او المشاهد ، ولا يحقق فيها شيئا من شروط العمل المسرحي ، فهي خلو من الصراع ، وتفتقر الى مقومات العرض المسرحي ، ولذلك لم يتح الشيء من مسرحياته التمثيل ، وهي المسرحيات التي يبدو انه كان يكتبها لتقرأ فحسب ، ولا يفكر في امكان تمثيلها .

وهو ما تجاوزه من بعده كاتب مسرحي ، ارتبط بالمسرح فكتب له وعمل فيه ، وقدمت بعض نصوصه على خشبته ، وهو وليد اخلاصي .

* * *

وليد اخلاصي كاتب روائي وقاص ومسرحي ، و « طبول الاعدام العشرة » هي أولى مسرحاته المنشورة ، نشرتها له مجلة « حوار » البيروتية سنة ١٩٦٣ ، وله اليوم اكثر من عشرين مسرحية بين قصيرة وطويلة ، نشر معظمها في مجلات وصحف سورية وعراقية ، كالموقف الادبي ، والاقلام . وقد نشر له اتحاد الكتاب في دمشق مسرحيته « الصراط » (١٩٧٦) ومجموعة مسرحيات قصيرة بعنوان : « سبعة اصوات خشنة » (١٩٧٨) ، وبعض مسرحياته مثلت في دمشق وحلب وحماة ، وقد اشترك وليد اخلاصي في تأسيس مسرح الشعب بحلب ، سنة ١٩٦٨ وهو الذي قدم له : « الايام التي ننساها » (١٩٦٨) ، و « الديب » (١٩٧٠) ، و « كيف تصعد دون ان تقع » (١٩٧٤) .

واخلاصي يشبه الهنداوي في نظرته الفردية ، وفي بحثه عن التجديد ، ولكنه يختلف عنه فيما يراه من مشكلات ، وما يثيره من قضايا كما يختلف عنه في وسائل التجديد وادواته ، وهو يمتاز عنه بارتباطه بالمسرح ، وتقديمه اعمالا ليست بعيدة عن العرض ، وشروطه .

ان الاخلاصي يهتم بالانسان الفرد ، اهتماما كليا ، فيعنى بطموحاته واحلامه ، ولا سيما في الحب والحرية ، فيقدمها من خلال رؤيته الفردية ، ليتغنى بها غناء فيه الالم والمرارة ، والخيبة والاخفاق ، اذ ينتهي الفرد عنده دائما الى الدمار ، او الهزيمة ، ويجعل المجتمع دائما هو المسؤول ، من غير ان يقدم تعليلا مقنعا ، او يحاول كشف الاسباب ورصدها ، واذا حاول فمن خلال نظرة سريعة ، تقود الى احكام عامة .

ان الاخلاصي لا يملك شيئا من الوثوق بالانسان ، والايمان بقدرته على التغيير من خلال الكفاح المستمر ، الذي يشترك فيه الجميع ، على الرغم من انه يحب الانسان ويتغنى بحريته ، وينادي معه بحقه في الحلم والحب والحرية ، ويرجع هذا التناقض الى نظرته الفردية ، التي تمجد الفرد ، وتزدري المجتمع ، الذي تمثله عنده الطبقة الغنية .

ففي أولى مسرحياته « طبول الاعدام العشرة » (١٩٦٣) يصور رجلا وامرأة ، ألقي بهما في كهف رطب وهما مشلولان ، لا يرى احدهما الآخر ، اذ وضعا متخالفين ، وقد حكم عليهما بالاعدام وذنبهما الحب ، فقد احب الرجل (الفقير) المرأة (الغنية) ، ولا يحق لهما ذلك . وثمة فجوة ينتظران ان يأتي منها المخلص ولكنه لا يجيء ، وانما يأتي طائر يأكل العيون ، ثم يموتان بفرح وتحد .

وفي مسرحيته « قطعة وطن على شاطىء قديم » (١٩٧٥) يصور رجلا يعيش فوق صخرة على شاطىء البحر ينادي بالحلم والحب ، ويرشح نفسه للانتخابات فيتذمر منه السادة ، ويضيقون به ، ويغرونه بسحب الترشيح ثم يهددونه ، فيضطر الى الرحيل الى عالم الاحلام .

وهكذا يدمر الفرد ، او يهزم ، ويدمر معه حق الانسان في الحب والحلم والحرية ، والمسؤول هو المجتمع ، او الطبقة الغنية فيه ، وهي الطبقة التي يهاجمها وليد اخلاصي فيفضحها ويعريها ، ويكشف تبذلها واخطاءها ، ويؤكد انهيارها .

ففي مسرحيته « سهرة ديموقراطية » (١٩٧١) يصور سهرة ضمت نفرا من الطبقة الغنية ، فيهم الطبيب وتاجر البناء واستاذ الجامعة مع زوجاتهم ، وفي أثناء السهرة يقدم احدهم على اجبارهم واحدا واحدا على الاعتراف بأخطائهم ، فاذا هم يشتركون جميعا في التزييف والكذب والخيانة ، ثم يطلب من زوجة احدهم ان تتعرى ، وهنا يدخل ثلاثة لصوص ، يسرقون البيت والجميع ينظرون من غير ان يفعلوا شيئا .

وفي مسرحيته « هذا النهر المجنون » (١٩٧٦) يصور سيدة قد ابتنت في الريف قصرا ، وحفرت الى جانبه بئرا ، واخذت تتحكم في الفلاحين ، وتذيقهم العذاب ، والهوان ، على حين تعاني اسرتها من النخر الداخلي ، فابنها تخونه زوجته ، وهو لا يستطيع فعل شيء ، وابنتها تحب شابا قدم من المدينة ، وتفر معه ، وزوجها يمضي الى المدينة ويتركها وحدها .

ولعل اكثر مسرحياته تعبيرا عن الاحساس بهزيمة الحب والحلم والحرية ، بسبب الطبقة الغنية ، مسرحيته « الليلة العلمية » (١٩٧٨) ، ويصور فيها طالبين في كلية الطب ، احدهما غني والآخر فقير ، وقد اشترى الاول جثة فتاة ميتة ، ودعا رفيقه الى تشريحها ، واذا هي جثة حبيبته التي لم يستطع ان يتزوجها لفقره ، وقد ماتت من الهم والفقر ، وها هو صديقه الغني يدعوه الى تشريحها ، بعد ان اشتراها بماله .

واخلاصي معني بعد ذلك بالحداثة ، فهو يبحث عن أشكالها واساليبها ، ويحاول دائما التجريب والتطوير ، ويتطلع ابدا الى مسرح واحد متقدم ، فيمزج بين أسلوب التغريب واللامعقول ، على ما بينهما من اختلاف ، وتكفي الاشارة الى مسرحيته الاولى « طبول الاعدام العشرة » ، ففيها يتأثر تأثرا واضحا بمسرحية صاموئيل بيكيت : « في انتظار غودو » ولكنه اكثر منه تشاؤما وقلقا .

ويبدو انه من الصعب القول ان الاخلاصي هارب من الواقع ، او أنه يقف خارجه ، فهو يعالج مشكلات في الواقع قائمة ، ولكنه يعالجها من زاوية نظر محدودة هي النظرة الفردية ، وباسلوب خاص ، هو الاسلوب التجريبي . ان الاخلاصي ينطلق من الواقع ، ولكنه لا يعود اليه .

ويظل الاخلاصي بعد ذلك كاتبا مسرحيا مجددا له الفضل في تطوير المسرح ، واغنائه بتجارب راقية ، قد تكون بعيدة في شكلها عن ذوق الجمهور ، اوغريبة عليه ، ولكنها تظل مقبولة منه ، بل حائزة على اعجابه ورضاه .

* * *

ولا بد من الاشارة اخيرا الى كتاب في حلب ، ساهموا في الادب المسرحي في سورية ، او ما زالوا يسهمون ، وفيهم من يمكن له أن يقدم عطاء جديدا متطورا ، يكون له دور وذكر ، ومنهم عبد الرحمن أبو قوس ، الذي قدم اربع مسرحيات ، وهي : (ثورة العبيد) ١٩٣٨ و (طلسم الحياة) ١٩٤١ و (باخوس) ١٩٤٣ ، و (لايس) ١٩٥٥ ، ومنهم نصرة سعيد ، الذي قدم بضع مسرحيات مدرسية قصيرة ، منها بنت المفتشة (١٩٧٠) ومنهم انور السردار الذي قدمت له عدة مسرحيات في حلب ، وقد نشر سنة ١٩٧٢ مسرحيته الغنائية : (سيليا ابنة الغابة) ومنهم عبد الفتاح رواس قلعجي ، الذي قدم عدة مسرحيات طليعية قصيرة على مسرح دار الكتب في حلب ، وقد نشر مجموعة منها بعنوان : « ثلاث صرخات » (١٩٧٨) ، ومسرحية « السيد » (١٩٧٨) ومسرحية « الاعداد » (١٩٨٠) .

وكل واحد من هؤلاء جدير في الحقيقة بوقفة تكشف دوره في الادب المسرحي في سورية ، وثمة أمل في تحقيق ذلك في مقالات اخرى .

* * *

ذلك هو جانب من الدور الذي ساهمت به حلب في تطوير الادب المسرحي في سورية ، ومما يمتاز به هو رغبة الكتاب دائما في التجديد ، ايا كان شكله أو مصدره ، ويبقى بعد ذلك جانب آخر في تطوير المسرح في سورية ، ساهمت به حلب ، وهو الجانب الذي يمثله الفنانون في مواهبهم وقدراتهم ، وجهودهم التي كانت تعطي باستمرار ، وهو جانب جدير بمقالة خاصة ، تنصفهم حقهم وتظهر دور حلب في خدمة المسرح في سورية وتطويره .

احمد زياد محبك ـ حلب

---

١ ـ هذا المقال ملخص بتكثيف شديد من دراسة لصاحبه ، ستصدر قريبا ، عنوانها : « الادب المسرحي في سورية » ، ولذلك ان يشار هنا الى شيء من المراجع او المصادر ، رغبة في الايجاز ، وتكفي الاشارة الى احصاء للنصوص المسرحية في سورية ، لصاحب المقال ايضا ، منشور في العدد ٨٤ لشهر نيسان سنة ١٩٧٨ ، من مجلة الموقف الادبي الصادرة عن اتحاد الكتاب بدمشق .

رحلة الى بحيرة العطر

ممدوح مولود

ـ لم تطلب بلسانها ، لكنها سألت بعينيها
أن اقول شيئا ما في صورتها الجديدة ـ

قد أينعت كرمة الرمان وامتلأت ... جنى شهيا وطاب الكأس والوتر

حان القطاف ، وما أشهى الكروم اذا ... ما راح منها رحيق الخمر ينهمر

أحلى العناقيد ألقى الكرم محتضنا ... تكاد شوقا اليها الكأس تستعر

يا كرمة في مراعي الصدر يانعة ... فيها العناقيد كالاطيار تشتجر

تباركت ريشة الخلاق اذ رسمت ... هذا الجمال الذي يجثو له القدر

وبوركت قدرة الباري مصورة ... هذا البهاء الذي تغضي له الصور

اني لالقى العيون السود ناطقة ... تكاد من فتنة يردى بها الحور

وأشهد الزنبق المغناج مزدهيا ... يتيه فيه الربيع الزاهر النضر

وما أحيلى النهود السمر ثائرة ... تكاد من لهفة في الاسر تنفجر

وما أعز بروج الفل شامخة ... أمامها ويحها التيجان تندحر

يا للعناقيد بالصهباء عابقة ... يكاد منها عبير الطيب ينتشر

لقد غدت كرمة الرمان يانعة ... وطاب بالقرب منها الكأس والوتر

طاب القطاف .. وماأشهى الكروم اذا ... ما راحت الخمر كالشلال تنهمر

اشهى العناقيد القى اليوم يانعة ... كأنها الموسم الموعود تنتظر

بحيرة العطر .. والاحلام هاتفة ... متى اليك ترى الترحال والسفر

طاب الهوى وكؤوس الخمر مترعة ... ولست ادرى لمن ذا الخمر تدخر

ما العمر ان لم يكن كأسا وغانية ... وسكرة غاب عن آفاقها القدر

ورحلة في العيون السود راحلة ... فلا الشطوط بها تدرى ولا الجزر

ونشوة في بحار الشوق مغرقة ... من حولها الليل يرعى الشوق والقمر

أخت الزنابق .. قدطاب الجنى فمتى ... تروى الكؤوس ـ ترى ـ منهاوتعتصر

ممدوح مولود

الغربة

معجزة الشعراء

لاحمد دوغان

البحر يغني أغنية الموج صباح مساء
ويلوح الزبد.. يطير.. ويمضي.. يتلاشى
كالموسيقا .. يزف الماء الى الشاطىء
والسمك البحري يداعب ذرات الماء
ويغازلها .. يتنفس منهـا
يمتص رحيق العمر حياة ..
وطيور البحر أراها ..
تذهب تأتي وتصافح وجه البحر ..



وهنـاك عـلى الرمل ..
تنتظر عطاياه .. ما حملت من كنز
وأنا والبحر عـلى موعـد
وتقابلنا .. والواحد منا يحمل ألف حكاية
يرسم أسفار الزمن المتعب
يقرأ في أوراق الايـام
قال البحر ..
صمت ..
حديث البحر طويل
يحمل فلسفة الكون
والانسان الانسان غريب كالبحر
قـال :
نظرت اليك تحاورني
تسأل هذا اليـم ..
كيف يكون الصمت .. متى ؟
والموج فـؤاد لا يهـدأ
لا يعرف ما معنى النوم
أرقه الزورق والمرفأ
سموني الصبر .. وقالوا الحلم
قال البحر ..
صمت ..
ـ ما زلت أحدثك الآن
وعيوني ما زالت تحمل أخبار الازمان
تقرأ في صفحات العمر الانسان
لم اهدأ يوما يا انسان
أحمل عبء العالم
وأسجل في ذاكرتي ..
ما يعجز عنه خيال البشر
وأنا والارق الدائم صنوان .

احمد دوغان

نشوء اليوميات

بقلم : أنابيس نن

ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

لكتابة اليوميات وجهها السلبي والايجابي . وقد بدأت يومياتي تنشأ بالرغبة في ان احافظ على قناة الاتصال بأبي المفقود . كانت تقصده واستمرت سجلا لرحلة الطفلة الى البلد الجديد ، سجلا عن حياة الاسرة ، والكتب ، والملاحظات حول الناس .

وكان ثمة نشوء معقد ، كنت اخجل من التحدث ، وكنت مليئة بالمشاعر والافكار التي لم استطع ان اعبر عنها لاحد . فكانت اليوميات مقياسا للنمو وفي بعض الاحيان سجلا لضبط النفس (اليوم رفضت حلوى ما بعد الطعام ، وانهيت ربط شالي ، وصمت اثنتي عشرة ساعة ــ وسلكت السبل الاسبارطية الى القداسة عبر « الاقتداء بالمسيح » لتوما الاكويني ، الذي يهدف الى بناء الشخصية القوية !) وخلال سيرها غدت اليوميات عددا من الاشياء ، غدت المؤتمنة على الاسرار ، والمكان الذي استطيع فيه ان اكتب الارتجالات ، واصور الناس وأقوم بوضع ملاحظات للقصص ، وكالبستاني في حديقة خلفية من حدائق نيويورك كنت أود ان أرى نمو الازهار . كنت اريد ان اقلب الارض لارى سر نموها . الجذور هامة ، اذا أردت . وانا لم اكن راضية بالسطح ، بالنتاج الاخير .

لم تقدم لي المدرسة اجابات حول ما اثار اهتمامي ولم تشجع عنايتي باللغة الانكليزية . لهذا تركتها . وأخذت اقرأ واعلم نفسي .

وكان الوجه السلبي لليوميات هو انني اصبحت مفتونة كل الافتتان باليوميات بحد ذاتها مما جعلني اتجنب الاعمال الشكلية من روايات او قصص . كنت قد حاولتها . وعندما كنت طفلة كتبت عددا من قصص المغامرات على طريقة جول فريد . أملأت كل شهر مجلة كاملة لاخوتي ، وفي العشرين كتبت رواية رديئة ، وفي الحادية والعشرين قصصا قصيرة رديئة . وفي الخامسة والعشرين رواية رديئة اخرى . وظلت اليوميات ولم اكن اعرف كيف استفيد من مادتها ، يجب ان اكون قد أصبحت دون ان اعرف كاتبة آلية ، مرتجلة ، سريالية مستقبلية ، وفضلت حرية اليوميات . ان اكتب دائما ما اثار اهتمامي ، لا ما ينبغي ان اكتب . ان اكون منفتحة لا منغلقة . ان اقول كل شيء . وفي الحياة (وفي اليوميات) كنت ادرك حساسية الناس ادراكا مؤلما ، وكاليابانيين لم اكن ارغب في مضايقة مشاعر الآخرين او جرحهم ، في اخجالهم او ارباكهم (وهو مفهوم قواه فيما بعد التحليل النفسي الذي كشف النقاب عن هذه الندوب) وهكذا انقذت وجه اصدقائي بمتابعة اختباري العلمي لهم وللحياة ، ولنفسي في اليوميات فقط . لم اكن وحيدة في الحياة . واليوميات ليست مجرد شيء مؤتمن على اسراري . فقد قصدت ان ادع الآخرين

يعترفون ويتحدثون ويؤكدون ذواتهم . ووجدت من العسير علي ان انازع او أخالف او اهاجم او اجزم ولذلك راقبت واصغيت وسكبت كل ذلك في اليوميات

أخذت اليوميات وقتا صغيرا . كتبت في الليل ، على عجل ودون محو . وغدت بالتدريج مكفرة الكاتبة . لانني كتبت كتابي عن لورنس وبدأت اخوض الكتابة الشكلية .

ونقلت اليوميات الى الباصات وغرف النوم وعيادات الاطباء والمقاهي والى كل مكان . وفي السادسة عشرة كنت اذهب دون ان اتناول الغداء لادون يومياتي لانني كنت « موديلا » للرسامين خمس عشرة ساعة في اليوم .

كانت اليوميات تكتب بسرعة بالغة ، كما عشت . لا تردد . وفي نيويورك حيث كنت اعمل محللة للرسم كتبتها بين الرسامين ، وكانت تشمل قصصا لم أطورها وشخصيات لم أكتب عنها . وأمست شخصية لها حقها وكنت استبد بها عندما لا يكون لدي وقت لها !

وكان الشخص الزائف الذي خلقته لامتاع اصدقائي ، الشخص المرح ، المبهج ، المتلقي ، المعالج ، الذي هو قيد الطلب دائما ، والمستعد على الدوام بتعاطف ، كان عليه ان يضع وجوده الآخر في مكان ما . وفي اليوميات اعدت بناء التوازن . ففيها امكنني ان أكون كئيبة ، غاضبة ، يائسة ، مثبطة الهمة . واستطعت ان اطلق شياطيني . كنت احلم حلما متكررا لم أقو على تفسيره . كنت سائرة في شوارع المدينة . فسمعت صوت اشتعال النار . فألقيت بنفسي الى النار . واحترقت اليوميات . وخلت ان الحلم لم يكن غير مجرد القلق حول فقدانها . الا انه قد تبين لي بعد ذلك خلال مناقشتي مع احد المحللين انه النزاع بين الذات المثالية التي ظننت ان الناس يحتاجونها ويريدونها ويتوقعونها وذاتي الحقيقية غير المثالية ، وتحدثنا عن الشياطين العالمية : الغيرة والحسد والغضب . وسألني المحلل : « واين وضعت شياطينك ما دمت لم تسمحي لها ان تكون تدميرية او ان تعمل في الحياة ؟ »

وعدت الى المنزل وفي تلك الليلة رأيت حلمي المتكرر : كانت اليوميات تحترق . وكان هذا هو الجواب . لقد سجنت شياطيني في اليوميات على حين انه كان في طوقها ان تعمل دون ان تؤذي . واذا احترقت اليوميات فانني لا أود أن اترك الا مع هذه الشخصية المبتسمة الدائمة الوجود واليقظة .

وربطت الصدق بضياع الحب . فقد كانت المرأة الوحيدة التي عرفتها صادقة ، محاربة ، ميالة الى الجزم والتأكيد ، ولا تتنكر ولا تتقنع ، قد اضاعت الحب . ولم اكن اود ان أخاطر بذلك .

ثم كان الخوف من العالم . كنت قد رأيت علاقات تدميرية ، رفاقا تدميريين ، صحافة تدميرية ، نقادا تدميريين ، حروبا تدميرية . وشعرت ان العالم مكان خطر . ولم اشعر بالاستعداد لمواجهته . وكنت احتاج الى وقاء في عملي . وكانت اليومية اروع وقاء . انها وقاء من سوء الفهم والهجاء والهجوم والحكم .

وهذه هي العناصر التي قد تكون مشتركة عند كل الكتاب . انني كثيرا ما اراهم يكتبون قصيدة او قصة ويندفعون لارسالها الى المجلات فيتلقون ردا بالرفض ويكفون عن الكتابة . وبما ان اليومية عمل سري ممتع طارىء ، ككتابة رسالة الى صديق ، فقد تجاهلت كل عوامل المنع هذه . كما رأيت الكتاب الشباب يتذمرون في بداية سيرتهم الادبية بسبب ما يوجهه لعملهم المعلم أو الصديق او الاهل . فالشباب شديدو الحساسية والتأثر .

لكي تنعكس الخصائص الشخصية الاساسية من الضروري امتلاك مرآة مناسبة . وفي سعيي الى جعل نفسي أداة ، أداة حساسة ذات مجال واسع ، كان علي ان أرعى هذه المرآة .

في البداية تنازعت اليومية مع الرواية . وكان علي ان اختار ، ان اتخلى عن احداهما من أجل الاخرى . وأرادني الدكتور رانك بوصفه محللا وهنري ملر بوصفه روائيا وصديقا ان اتنازل عن اليوميات لعلي بذلك اصبح روائية . وفي الوقت نفسه فقد استمتعنا بتصويري لهما .

واليوم لم يعودا يتنازعان . وكالجدل بين الحلم والعمل انتهيا الى ان يغذي احدهما الآخر . ولم تكن اليومية « بركة نرجس » كما اعلن قصير النظر ليون ايدل في « مجلة السبت » . فقد فاته ان يرى العديد

من الناس ينعكسون فيها ، من الشخصيات الكبيرة والصغيرة .

ومن التعابير الدقيقة لـ « د. هـ. لونس » أن اكبر مشكلة في الرواية كانت كيف ننقل الجوهر الحي للشخصية الى الرواية دون اماتته كما هو الامر في اليومية . والجوهر الحي هيهات ان يضبط الا في الآن، في اللحظة الحية . وقد مثل نقله الى الرواية، ترويته (جعله روائيا) بطريقة لا تقتله مشكلة مستمرة ، كمشكلة زرع القلب . وفي اليومية ليس لمثل هذا الموت من مكان . اللحظة الحية مضبوطة .

الالتصاق والصميمية والمباشرة تكشف حقيقة واحدة . وقد يمنح البعد والابتكار والتركيب الحقيقة الاخرى . والثانية تعيد الذاكرة ترتيبها ويعد لها الروائي لتناسب موضوعه . وقد أردت تسجيل الحقيقية غير المحرفة غير المتخلية . اما الثانية فلم اثق بانها تعطيني ما أقدره اكثر من غيره ، وهو الصلة الحميمة بالكائنات الانسانية .

هنا كنت أعود الى مراقبة جذور الزهرة ، أراقب نموها .

واليوميات ذات قيمة للكاتب ، وانا متأكدة من ذلك . ووجهها السلبي متعلق حصرا بمداها . فاذا كانت محدودة ، مبتذلة ، ضيقة الافق ، فهي عديمة القيمة . وان كانت نامية في العمق والمساحة ، فقد تكون للكاتب لا بد منها .

انها تغذي « كومبيوتر » الروائي بالطعام الحي . وهذا لا يعني ان كل رواياتي سيرية ، ولا يعني كما يظن بعضهم ، انني كل النساء في الروايات (انه من دواعي السرور ان تكون الواحدة عدة نساء في حياة واحدة !) انه يعني ببساطة ان الواقع السيكولوجي لكل شخصية يستمد اولا من القلب الحي . اما اذا كنت ناجحة في نقل الغرسة ام لا ، فانني اترك امرذلك للنقاد . ومما يؤسف له ان الروايات لكي تحظى بالتقدير يجب ان تخضع للتشريح .

انني انصح الكتاب الشباب ان يجعلوا من كتابة اليوميات نظاما لهم . فالكتابة كل يوم كممارسة الطرب على البيانو كل يوم تمنح المرء الرشاقة ، ثم حين تأتي لحظات الالهام العظيمة ، يغدو المرء ذا شكل جميل ، طريا وناعما . والكتاب الذين لا يتدربون ، ويجلسون وينتظرون لحظة الفيض العظيمة ، كثيرا ما يجدون اصابع كتابتهم تصدأ في لحظة انطلاقها ، اذا كان لها أن تنطلق .

وما يذهل كذلك أن نرى كم تشتد حيوية المرء وتغنى ألوانه وتقوى حريته عندما لا يكتب ليحكم عليه الناس او الناقد .

ولدي للنقاد الذين انشغلوا كثيرا في الاعتقاد الفاسد انني اكتب لذات واحدة او عن ذات واحدة صندوق من الرسائل التي تقول كلها : « انك تكتبين يومياتي ، تكتبين حياتي » .

والوجه الآخر للمفكرة وكتابة اليومية هو انها تدون تقدم الفنان وهو منهمك في العمل . لقد عالجت مشكلاتي بوصفي كاتبة ، بوصفي روائية شعرية ، ضمن اليوميات . ولا أذكر انني التمست معونة في هذه المسائل . كنت اتناقش مع هنري ملر ولورنس ديرل ، الا انهما كانا يضعفان ثقتي عادة ، وأعانتني اليوميات على استرداد اتزاني وسلامتي . كنت يافعة يحيط بي الكتاب الناضجون المثقفون، فكان من السهل ان يغرقوني ويغمروني وان أتأثر بهم الى حد المحاكاة.

ان لكتابة اليومية ما للدفاع عن النفس من المكانة والاعتبار .

وما يكاد الروائي يكتب نص عمل من الاعمال حتى يقوم كاتب السيرة بحل عقد الروائي ، كما فعل الرسام مع اعمال بروست . انها مهمة تشريحية ، ولا تختلف عن حل لغز التعرق . انك عندها تحصل على كرة الصوف ، لا على التعرق ، ولا على الرواية السحرية . وكنت احسب ان اليوميات ستحافظ على الاقل على دقة هذا النشاط ، لان الروائي هو تحت رحمة انعدام الدقة . وما أكثر ما يكون تحت رحمة الاعداء المتصيدين .

وعلمتني المحافظة على المفكرة كذلك ان من المهم لتحقيق الكمال والطبيعية ان اكتب مقدارا كبيرا، ان اكتب بتدفق بدلا من ان انقح مرة بعد اخرى . فمثل هذه التنقيحات قد تفضي الى الذبول . والاستمرار في الكتابة حتى بلوغ اليسر والسلاسة والدقة اكثر

اثمارا . وفي اعادة الكتابة مرات عديدة خطورة انك تقوم بتشريح الجثة .

والمفكرة او اليومية تحافظ على سهولة الكتابة . هي غير رسمية . وهي تدرب كالرسم التخطيطي عند الرسام .

واليومية بمعالجتها للحاضر الفوري ، والدافىء والقريب ، وبما انها تكتب في حالة الانفعال الشديد فقد طورت حب اللحظة الحية والاستجابة الانفعالية للتجربة التي أظهرت ان اعادة الخلق تكمن في المشاعر لا في الذاكرة أو الملاحظة النقدية او الفكرية . ومعظمنا يتبنى في بداية الكتابة موقفا ويخلق شخصية يدافع بها عن نفسه امام العالم . وهنري ملر قد ستر حساسيته بخشونة اسلوب ظاهرية .

وكتبت دينا متزجر : « نادرا ما يكرن الكاتب قادرا على أن يسلك السبيلين ، وان يقطع الرحلتين الى الذات والى العالم . الا أن لليومية مثل هذه الطبيعة انها اتحاد الليل الرومانتيكي والنهار الكلاسيكي . ذاتية وموضوعية . وهي تبحر بين الواقع والمتخيل ، كما تبحر ـ أنابيس نن بينهما » .

عندما نتحدث عن الرواية نتحدث عن رسمها عددا كبيرا من الاشخاص بتصويرهم بطريقة كاملة جيدة ، الى ان تصبح رمزية او تمثل فكرة أو ما يحدث في التاريخ وفي العالم .

كيف تم هذا في اليوميات وهي تكتب يوميا عن اناس لم يصبحوا مشهورين بعد ، ولا رموزا ولايمثلون زمانهم ، اعتقد انه مدين في المقام الاول لكونهم اناسا مشوقين اصيلين موهوبين ، وثانيا لتمييزي وادراكي لمواهبهم الكامنة والفعلية ، وثالثا لتصويري للجو المحيط بهم . ولذلك اصبحوا في اليوميات وفي الواقع رموزا تمثيلية . وانا لم أكن ادرك عندما كنت أكتب ان اي سيصبح شخصا يمثل غيره . ولا عليك لكي تمثل اي شيء الا ان تكون شيئا او شخصا محددا على نحو قاطع واسع .

ولدى نشر اليوميات تجاهلت هذا العامل المتعلق بما اذا أصبحوا مشهورين أم لا . فبعض الشخصيات الثانوية مشوقة كالشخصيات الشهيرة . وكان غونزالو عندي نسخة حية من نمط كان سائدا في أوربا في ذلك الزمان ، ضائعا بين اعتقاداته السياسية وعجزه عن العمل ، وعن التضحية بنفسه ، وعن ضبط نفسه ، وقد صور ماكس فريش « بيدرمان » كأنه هذا الشخص ذاته .

كان ما همني ودفعني الى الرواية هو انني في اليوميات لم اتمكن الا ان اصف الشخصيات المرتبطة بسبب ما معي ، والتي استطعت ان أراها . على انه لم يكن في مكنتي أن اعزل حياتها عني ، ولا ان ارى كل ما يحيط بها . واصبحت مدركة هذا القصور . وكدت افقد أثر انطونن أرتو . وهذا يحدث في الحياة . وفجأة بعد سنوات : يسد المرء الجزء الضائع . الا ان كاتب اليوميات هو وحده المصمم على انتظار هذا الجزء . فعندما كتبت قصة عن أرتو كان علي ان اعيد بناء النصف الضائع من حياته .

واليوميات اذا وهبت الزمان تستطيع ان تفعل هذا ايضا . وانا الآن اكمل تصوير الدكتور رانك وتصوير ارتو . وعندما ذهبت الى باريس في ١٩٥٠ ، بحثت عن اشخاص « تحت الجرس الزجاجي »ووصلت الى نهاية قصتهم .

والرؤية الشخصية قد تكون عميقة او محدودة . وربما كانت مديدة . وقد تكون كثيفة ، صميمية ، مكتملة بالزمان . الرواية التي تضغط الزمان تتطلب تعجيل النمو . وذلكم هو التعجيل الاول الزائف الذي لا يشبه الحياة .

ومن اجل الذين يعترضون على اليوميات بدعوى انها صورة ذاتية ، اقترح على كاتب اليوميات ان يحضر فيها بوصفه مقياس ضغط جوي ، وعقرب ساعة ، وميزان حرارة ، ومسبارا للصدى ، ووصفه بوصلة ، ومعلقا على الانباء ، وكاتبا للهوامش ، ومخبراوموثقا . ان حضوره لا غنى عنه .

وفعل الامر الظاهر التناقض « لا تكتب عن نفسك » (دع الصحفي يفعل ذلك) ممتزج بفضول نهم قاس شديد حول حيرات الناس ، وهو دستور وحشي للعدوان الصحفي . انه المفهوم القائل بأن حياة الجمهور تنتمي الى الجمهور . اننا لا نتوقف لتحليل طبيعة هذا الفضول ، وهل يفعل شيئا للتاريخ ، والمعرفة ، والتجربة ، ام هو مجرد شهوة ومعادل لاشاعات المدينة الصغيرة . وبصفتي كاتبة يوميات

حررت الاسطر الدالة على ان احترام حياة الكائن الحي أهم من اشباع الفضول عند منتهكي الحقوق الانسانية ومدنسيها .

أنا لا امارس غزوا خاليا من الرحمة . وابتهج بالامكانات الخلاقة للصورة الصميمية : ولكن بهجتي يجب ان تكون بهجة المشاركة .

وعندما تطرح اقنعة الرواية لتحقق علاقة حميمة تحمل المسؤولية عن انسانية هذه الصورة . ودخولك بيتا من البيوت لتقتل بالقلم هو اجرام كالدخول بالمسدس .

اذا كان من سمات عصرنا الاغتراب ، فان جانبا من ذلك يعود الى القسوة التي يعامل بها الناس بعضهم . ونحن لا نستطيع ان نثق بالصحفيين والمخبرين لنتعامل انسانيا مع الحقيقة . وتقدير استعداد الناس للانجراح والرغبة في معرفة كل الوقائع دون الحكم عليها جانبان ضروريان لرؤية كاتب اليوميات ، لانه لا حقيقة ستأتي من الرؤية القاسية او من اذلال انسان آخر .

واذا كان كاتب اليوميات مجردا من الانسانية والتبصر السيكولوجي والاخلاق فان الصورة ستفتقر الى هذه الابعاد ايضا . وستقرأ كأنها تشريح الاحياء . والعديد من الصور وليد البغض او الانتقام ، وثمة صور أخرى سطحية الى حد انها تمر كأنها اطياف لكل منها اسم مثبت على طية صدر السترة . وبعض الصور تشبه اعمال الشعوذة التي يغرز خلالها مواطن حقود الابر في دمية على انها البديل عن الاصل .

انني اذكر نفسي انني قد أخلق في كتابة اليوميات رأيا مجحفا بالنموذج الذي اكتب عنه .

وذات مرة قدمت رسالة احد الناس هكذا : « كانت رسالته الحربية من موطن الامان علامة الانانية » . وكانت هذه العبارة مؤذية للمدعى عليه . فشطبتها واستشهدت بالرسالة نفسها لادع الآخرين يشكلون رأيهم فيها .

والعديد من مظاهر الشخصية لا يتفتح الا في الحب أو الصداقة .

لقد اعطيت نفسي أول درس في النشر عندما كنت في الحادية عشرة . فبعد شجار مع اخوتي وضعت المدخل التالي : « هذه في حالة الغضب » .

ونحن نتعلم عن الآخرين من العلاقات اكثر مما نتعلم من الملاحظة الموضوعية ، والتفحص البارد قد يجمد الموضوع .

ان كاتب اليوميات آلة تصوير . ومن حقك ايها القارىء ان تعرف ماركة هذه الآلة ومداها ونوعها وصفاتها المميزة . لان حقيقة اليوميات هي في جوهرها كيمياء المصوَّر والمصوِّر . والعديد من مظاهر الشخصة ، المنفرة أو المغرية ، هي من عيوب المصوِّر .

والناس لا يكشفون ذاتهم الا في سرية الحب أو الصداقة . الا أن مثل هذا البوح يفرض علينا « النبالة تقتضي » . وعلى المرء ان يعامله باهتمام ولطف . والانسان الذي يبوح بذاته يجب ان يعامل بذلك الحرص الذي نمنحه لنمط جديد من السمك ، ولنوع جديد من النبات . انه فريد وقد لا نرى انسانا آخر مثله . فعلينا ان نحفظه من الاذى اذا كنا سنشاطره حياته . والصداقة الطويلة هي وحدها التي تهبنا صورة في الاعماق .

صدمة الصورة الذاتية

لكل امرىء صورة عن نفسه تختلف عن الصورة التي التقطها له الآخرون . ولقد صدم الناس أن يسمعوا اصواتهم مسجلة على الشريط ، فذلك لم يكن الصوت الذي تصوروا انه صوتهم . وصدمهم ان يروا وجوههم في الفيلم اول مرة . وما اشد صدمتهم عندما يصورهم الآخرون صورا شخصية .

وللصورة الشخصية جوانبها السيئة . فقد تكون صورة كاريكاتورية رسمها شخص كاره لموضوعه ، وقد تكون صورة لما تحت الشعور بدلا من ان تكون صورة للشخصية المعروضة على العالم ، والاخيرة هي الاشد تدميرا للمرء الجاهل بهذه النفس الاخرى .

تعلمت من جورج سيمنون ان الصورة الشخصية تكون اقل اذى عندما تخلو النية من الايذاء . وسيمنون كان يدرس دراسة شبه علمية اشد ما في بنية الشخصية تعقيدا وانحرافا وصولا الى سقوطها المباغت او جريمتها ، تدميرها أو تدميرها الذاتي . كان سيمنون يذهب عميقا

دون أن يحكم بأي حكم بحثا عن الحقيقة الى ان ينسى المرء الحكم .

والمرء في كل الاحيان تقريبا بمعرفته كل الوقائع يكف عن الادانة .

ان من الممكن قول الحقيقة دون اغتيال الشخصية اذا لم يكن دافع المرء الادانة بل الفهم ، اذا لم يكن ان يسخر او يذم ، بل ان يكشف البواعث والاسباب والنتيجة . والرغبة في ان تكون مخلصا يجب ان تكون اقوى من الرغبة في فضح العيوب ، واذا كانت العيوب ستفضح فيجب ان يكشف الجانبان ، السلبي والايجابي اللذان يكمنان في جوهر كل واقعة .

وأنا في كتابة اليوميات انتزعت اسطري الدالة على ان احترام حياة الانسان اهم من اشباع حس المفتش ، مختلس النظر .

ان ما تخلقه مثل هذه الانتهاكات هو الاغتراب ، وطرق الدفاع عن النفس ، والتجرد النامي من الانسانية . فاذا ثابرنا على سوء التصرف هذا ، فلن يكون لنا بعد ذلك اناس آخرون نفضحهم ، وانما ستكون امامنا حيوانات شاذة فقط .

انني لا أزعم انني في النشر (وحتى بالتلمذة المستمرة على غونتر ستولمان) قد تجنبت كل الاخطار . انني قد أكون قد جرحت بعض المشاعر لان المرء لا يستطيع ان يعرف دائما ما هي ، ولكن المقياس الحقيقي لمنهجي في النشر المتحد مع موضوعية غونتر ستولمان هو ان يظل الناس يأتمنونني على أسرارهم . وهذا عند كاتب اليوميات والروائي ارفع من اي شيء .

والوجه التدميري للحقيقة يلغيه السبر العميق للباعث الذي يجعل المرء يفهم الشخصية ، وما هو مفهوم غير مدان . وكان التحليل النفسي معلمي العظيم في دراسة الباعث وتفسيره . والفهم يخلق الحنو والتاطف والتقمص .

وكنت مخلصة للباعث . فلم أنقحه ولم اجعله مثاليا . وكلما جرحنا البشر واحتقرناهم واذللناهم قطعنا خطوط الاتصال بالانسانية ، وغدونا نحن أنفسنا هذا الحيوان الشاذ الذي أردنا أن نفضحه في الآخرين .

وفي النشر سعيت ان اجعل الصور الشخصية مليئة سواء في العمق او المدى ، تاركة كل شخص يتحدث بنفسه في الرسائل والمحاورات . وفي النهاية تكتمل كل العناصر ويتحقق التوازن الذي هو مقاربة العدل . واذا كان المرء كبيرا حقا فبوسعه احتمال بعض الزلات .

عندما مسرحت حدود الدكتور ألندي بوصفه محللا نفسيا ، فقد جعلت من الواضح ان هذه الحدود لم تكن الا في علاقتها بي بوصفي فنانة . تناولت بوحه بمصاعبه الشخصية المتوازنة مع وصف مآثره الايجابية ، وعمله الرائد في المحاكم الفرنسية (كان اول من أدخل التحليل النفسي في محاكمة المجرم) ، ودوره في استكشاف الافكار الجديدة . كان أملي ان اجعل الآخرين يشعرون بالانسان ذي القيمة وعلة قصوره . وكنت ناجحة الا عند قارىء كتب اي انه كان علي ان اكون غاضبة وحاقدة على الدكتور ألندي لعدم وفائه بالمراد . لقد فات هذا القارىء الميزان الذي أدعوه الانسانية .

ان الشخصية لا تظهر بحق الا عندما تتضمن كل السمات . ولهذا الميزان كنا نعمل انا وغونتر ستولمان

والكاتب لا يقتصر على رسم ملمح واحد من الشخصية كالمصور . فهو قادر على جعل صورته تشمل كل الملامح . والمجموع يتحقق بالتمام . واختيار السمات الرئيسية يحتل مكان التراكم الصغير للنوادر التي تشبه اللقطات التي التقطها مصور غير محترف .

وتبقى الحقيقة نسبية ، الا ان معرفة الباعث تؤنسها . وتسجيل النوادر لا يضيف شيئا الى الصورة الامنية ، ولكن الحميمية مع الانسان الداخلي تمنحنا مفتاح افعاله الذي هو أشد اهمية . ودراسة الشخص في العمق اهم من جدولة اعماله . وذا كان في المرء صمم حول قابلية الانسانية للانجراح ، فان ذلك يعني ايضا انه لا يملك اذنا للتسجيل الدقيق لمسافاته المتموجة الحساسة . واعطاء كل الوقائع والحوادث والنوادر ، بدلا من اختيارها اختيارا ذا معنى من اجل اهميتها وجعلها صافية ، كثيرا ما يؤدي الى تقديم صورة متقلصة . فاذا قدمت صورة سيكولوجية ، وكانت دقيقة بما فيه الكفاية ، فان بوسع المرء ان أن يستنتج البقية ، وان يملأها ، وان يقرأ ما بين السطور ، كما يحدث مع الاصدقاء

الحميميين أو مع عضو من الاسرة . وامساك الخطوط الاساسية الجوهرية أهم من الفصيلات . ولم يكن ثمة شيء مهم للصورة الشخصية أهملته في اليوميات.

انتا نتعلم عن الآخرين من العلاقات اكثر مما نتعلم من التفحص الموضوعي . والقسوة في الكاتب تخلق ما يشبه اعتام عدسة العين . انها لا تفشي بصره أو تشوهه وحسب ، بل قد تؤدي في النهاية الى العمى الكامل . والقسوة لا تقبل العملية الجراحية انها تنتج القسوة .

اننا نخشى أن نصبح ضحايا اللا انسانية بالتصنيع والمكننة (جعل الشيء ميكانيكيا) ، ولكن الخطر لا يكمن هنا . الخطر يكمن في تجرد المرء الشخصي من الانسانية الذي قد يصبح معديا شاملا وينتهي الى الجرنمة .

ان كتابة اليوميات تشبه ما يقوم به الرسام من رسوم تخطيطية استعدادا للصورة النهائية . وهذه الصورة لا تتحقق الا بالوقائع المتراكمة لان اليوميات لا تنتهي . وبما ان كاتب اليوميات لا يعرف المستقبل فانه لا يصل الى خاتمة ولا الى نتيجة من صنع الفكر. فاليوميات حقيقية في الحدوث واتصال السلسلة .

وانا لم استطع ان اضع نهايات لم يضعها حتى موت الشخصية . وصورة الدكتور رانك لم تنته بموته . فقيمه بصفته عالما نفسيا لم تدرك وتقدر الا الآن ، وقد قمت باكتشافات جديدة له ، منقحة آرائي على المعلومات الجديدة .

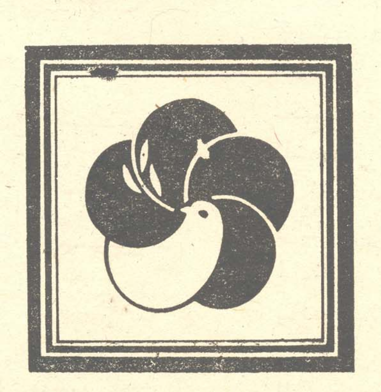
انني لم ابدل شيئا في اليوميات ، ولم احذف الا ما كان عديم الاهمية ، مبتذلا ، او متكررا . والتكرارات لا بد منها في اليوميات ، ولكن يجب التخلص منها .

ومن الحق ان اهتمام الكاتب بدقة الوصف أو كماله يسيطر على كاتب اليوميات احيانا . وفي يوميات الطفولة كنت مهتمة بوصف وصولي الى نيويورك . فهل انصفت في ذلك الوصف ؟ لقد قلتها مرتين . لعلي حققت ذلك لانني بمرور الزمن تبنيت روعة هذه الرحلة التي كان من شأنها تغيير مجرى حياتي برمته.

وعندما كنت اعمل خارج اليوميات كانت تظهر هموم الفنانة . انني لم أمح ولم انقح ، ولكنني كنت اقوم بين الفينة والفينة باعادة كتابة وصف يستحق اعادة الصياغة . قد أقول انها تجربتي في كتابة الرواية التي مكنتني من تحرير اليوميات ، وجعلتني قادرة على اختيار ما هو جوهري للصورة او حتى على اختيار وصف بدلا من آخر .

ههنا يقع الخلاف حول جدوى اليوميات بوصفها مصدرا سيريا مخالفا لرغبة الناشر والقارىء في « متابعة القصة » .

● محمود منقذ الهاشمي ●



فنون

العلاقة الجدلية بين الإبداع والعبقرية

في شخصية د . محمد جبر الفنية والأدبية

بقلم : الدكتور جميل محفوظ

تكون العدسة اكثر صدقا حين تلاحق الحياة اليومية وتتابع ما يجري في هذه الحياة ، لتتوقف مشهدا من المشاهد .. أو لتتوقف عند حادثة من الاحداث ، تجمدها وتوقفها ، ليمعن المشاهد فيها ويتأمل ويعتبر .

وملاحقة الحياة يعني اكتشاف ما فيها من جوانب بائسة وأليمة ، وجوانب مشرقة ومفرحة .

واذا كانت هذه العدسة في يد فنان في قدرته على الالتقاط وفي براعته في تجسيد الحياة نحن امام الفن وقد ارتبط بالحياة وعبر عن كل ما فيها .

ان ما نراه في معرض الفنان د . محمد جبر ، يكشف لنا عن عين قادرة على الرؤية والاكتشاف ، وعلى سرعة بديهة في عملية تجميد اللحظات وتوقيفها ، يضاف الى ذلك كله موضوعات غنية وخصوصا حين نرى الاطفال مجسدين في مشاهد حية تنبض ، الاطفال زهرة حياة امتنا ومستقبلها في حياتهم ولهوهم ، ومآسي واقعهم .

لقد اصبح التصوير الضوئي اليوم اعظم وسائل سبر الواقع واكتشافه ، ورفعه الى مستوى الفن ، حين تكون الكاميرا في يد فنان حساس .. كما نراه الآن في لوحات الفنان الدكتور محمد جبر . هكذا كان مدخل الاستاذ طارق الشريف رئيس تحرير مجلة الفنون التشكيلية في دراسة اعمال الفنان د . محمد جبر .

ويأتي الباحث والمفكر مصطفى طلاس ليؤكد ذلك بأكثر وضوح واعمق رؤيا عبقرية هذا الفنان العربي الكبير : مشاهدة معرض الفنان د . محمد جبر يريح الاعصاب وينقل الانسان الى عالم آخر .. عالم الفن الاصيل .

لقد اختار الدكتور محمد جبر الدخول من الباب الضيق .. فاختار اللون الابيض والاسود لجميع اعماله الفنية ، وهذا لا شك من اصعب الامور ولكن بنفس الوقت من أجملها فكما يقول « دوقله المنبجي » في النتيجة والضد .. يظهر حسن الضد . وانني لواثق ان المستقبل سيكون الى جانب الدكتور الفنان جبر ليعطي الفن خلاصة موهبته وعبقريته .



وقد التقى كل النقاد والدارسين والادباء في رأي واحد حول عبقرية وابداع هذا الانسان .. د . عبد السلام العجيلي ، ومازن النقيب رئيس تحرير مجلة الفرسان والناقد المعروف صلاح الدين محمد ، والاستاذ فاضل السباعي ، والدكتورة نجاح العطار ، والناقد الاديب الاستاذ محمود منقذ الهاشمي .. والفنان التشكيلي محمد ابو صلاح ، والنحات الكبير عبد الرحمن موقت ، وغيرهم الكثير ..

فلنسمع الدكتورة ناديا خوست : « عمل نظيف ، جميل وانساني . ملتصق بالارض الانسانية بمأساة الاطفال والشيوخ . ولكن لا يقف عند قسوة الظروف المحيطة بالانسان . يتجاوزها الى العيون .. والنهوض الدفين المهيأ للاندلاع في الانسان . سخر الفنان الدكتور محمد جبر التكنيك والابداع » .. والانتباه الحاد الذكي الى الواقع ، ليعيدنا اليه ويوقظ الغافي الضمير ، وفي الشعور . وهو لا يوقظ فقط بل يشير الى ما يمكن ان تعمله الآلة وهي في يد ذكية قادرة على الخلق .. خبيرة .. يبين ما يمكن ان تعمله في يد الانسان الحنون .

ويأتي ابداع هذا الفنان الانسان كما وصفته مجلة المسيرة اللبنانية : « سبق جديد في نوعه .. وصرخة احتجاج في وجه العالم المترف » ، ومجلة الحسناء ومجلة هنا دمشق قد اعتبران عبقرية هذا الفنان نابعة من حسه البالغ الشفافية ، وذوقه الناضج لدرجة الرشد .. مضاف اليه التزامه العميق بقضايا الانسانية الهامة التي يفيض بها قلب هذا الفنان » .. وانا كوني باحث في علم النفس والشؤون التربوية أأتي لكي أؤكد ما لهذا الانسان من حس ورؤى ونفاذ بصيرة في رؤيا الاشياء التي نراها عادية جدا ولا تلفت انتباهنا بتاتا .. هو يحولها الى مادة تشدنا ايما شد اليها .. وتهزنا هزا عنيفا شبيه بالاغصان تحت وقع العاصفة!! ومن خلال مشاهداتي للوحاته الفنية .. ومتابعتي لبحوثه النقدية والادبية والتاريخية على صفحات مجلتنا الدورية كان اعجابي بهذا الانسان كبير .. وبصدق ـ لانه مجدد قل مثيله في عالم لا يعرف سوى التقليد ـ وبشهادة الجميع ما لهذا الانسان من نفاذ بالرؤيا الى اعماق الاشياء .. وتفسيرها بموضوعية وجدية وفي حلة جديدة على الدوام . وعذري شديد للاطالة في هذه المقدمة التي رأيت لا بد منها .

ان الدكتور محمد جبر فقد اطل علينا باختصاص وولع نادر طريف ، فقد اعجب بتصرفات الاطفال ورأى فيها لمحات عفوية في منتهى الجمال .. وهي ترجمة بليغة وصادقة لمشاعر خفية توجه تصرفاتهم وانفعالات





واضحة لا يحاول الطفل اخفاءها .

فراح الفنان د . محمد جبر بحسه الملهم يترقب، ويلاحظ ثم يلتقط ما يروق له من اوضاع يجب ان تخلد بلوحات فنية جميلة .. مدروسة بدقة علمية قل مثيلها من ناحية اللكنة .. والمساحة والخلفية، والابعاد في عالم الفن التشكيلي .. ناهيك عن التقنية الواضحة الملامح في التدرج اللوني .. والاخــراج الرفيع المستوى . انه بحق فنان متمكن من تسجيل لقطاته الرائعة .. وامتداد لوجودنا ـ المستقبل ـ الذي نرى انفسنا من خلاله .. والامل المشرق لامتنا العظيمة ولا شك بان كل لوحة ذهنية تمر في خاطر الطفل ،اوكل مؤثر خارجي لها ردود فعل تظهر في اوضاعه ، وفي سلوكه ، وفي تعابير وجهه .

فالفن والطرافة يكمنان في سرعة تسجيلها بصـورة جميلة ـ هذا ما وفق اليه الفنان الشاب د . محمد جبر بصورة عجيبة تدعو الى الدهشة ـ

وصدق الصحفي والروائي محمد الراشد حينما قال: ان هذا الانسان قد اختار قطار الشقاء الانساني من محطة انطلاقه حتى بلوغه محطة الشيخوخة الاخيرة في سفر القهر الانساني الكبير .. لقد اختار هـذا السفر لانه دائب البحث عن المطلق الانساني عبر مسحة الكآبة والترقب المستقبلي .. لذا تراه في جوهره الفنان الانسان .. الفنان الذي يعمد ابدا الى تحقيق حضوره الفني وشرطه الانساني عبر دراسته التحليلية لواقع الطفولة في العالم عامة وفي قارات العالم الثالث خاصة .. حتى لكأنه يعيش الطفولة بكل براءتهـا وصفائها وقدرتها على الاستشفاف . لماذا جذبتـه تصرفات الاطفال وتعابير وجوههم .. وأوضاعهـم الاجتماعية من ألم وامل ، من جوع وفاقة وحرمـان وعري ؟. وشيخوخة الانسان .. وما رسمته السنون في اخاديد محياه ، وانحناء قامته .. ورجفات في أعضائه ؟. ذلك لانه شاهد القيم الانسانية في نشأتها ، ثم في ذبولها ، وابرازها في لوحات فنية ناطقة خالدة .

انظر الى تلك اللوحة .. فانها تمثل الاشـراق والنهاية بالنسبة للانسان : طفل في سن الزهـور يستمع الى شيخ في خريف الحياة . فيبدو الشيـخ حكيما كيسا في قوله وفي شكله ، والطفل ساذجـا متأملا متذوقا لما يستمع اليه . انه الابداع والعبقرية ولا شك .

واذا تأملت في باقي اللوحات فانك تجد في صـور

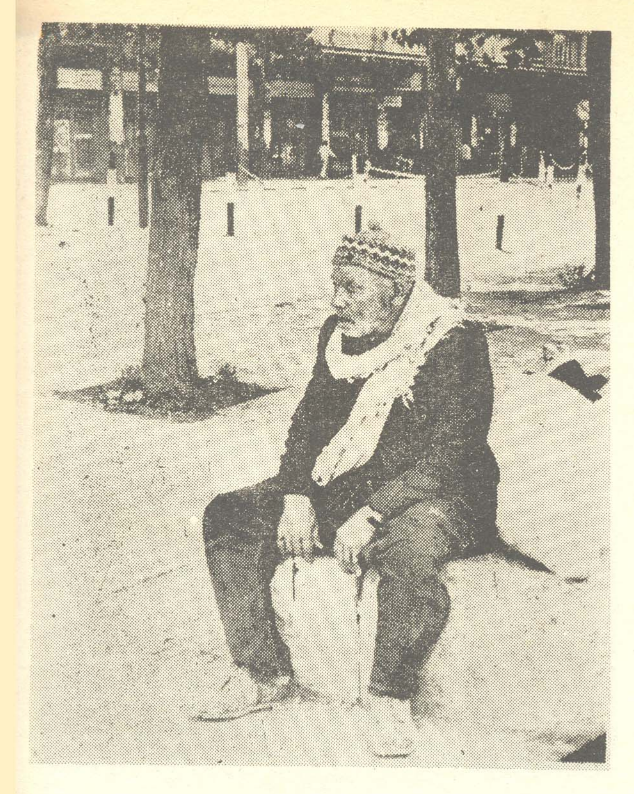


الاطفال البراءة والعفوية ، وفي لوحات الشيوخ آثار الزمن المفرط في عنفه : انها البداية والنهاية .

وكل صورة لوحة تنطق بما تحتويه النفس . فالصورة مادة ، ولكن الحساسية والابداع ، والحركة صفات بارزة في لوحات هذا الفنان .

ترى لماذا يختار هذا الفنان مواضيعه الانسانية من الطفولة والشيخوخة في وقت واحد ؟. ايرغب في تذكيرنا بان الحياة بداية ونهاية .. ام يريد ان يقول لنا بفلسفته الخاصة ان كل شيء .. كل شيء في الحياةالكونيةبالضعف وينتهي كما يبدأ لكي تتجدد المسيرة الابدية الخالدة في حلقة مكتملة المسار ؟!.

أيريد افهامنا بأن الحقيقة تبدو جلية في سن العفوية والتكوين ، ثم في سن الانهيار الصحي عقلا وعاطفة وجسما ، اي في سن الشيخوخة ؟. ايكون الدكتور محمد جبر مفكرا .. ام فيلسوفا ؟. ام ابا لطفولة العالم البائس كما ألقبته لجنة حقوق الانسان؟ ليس هذا ولا ذاك ؟! انه عبقري عربي مبدع .. انه ملهم ، وانسان ، وفنان كبير ايضا . ولست مبالغا فالمستقبل آتي ليعلن ذلك على الملأ . ولقد سبق واعترفت به الهيئات الرياضية بطلا معجزا للعالم ولم يبلغ حينا ذلك سن الرشد !! كما اعترفت به الساحة الادبية بنفاذ رؤيته وسرعة صعوده وتجاوزه لها بأصالة مبدعة .. وان الذين عرفوه قد شهدوا له بقدرته وتفوقه واصالته .. ناهيك عن مزاياه وسجاياه التي تترك اي انسان من اللحظة الاولى ان يعشقه لكرم اخلاقه .. ونقاء سجيته وبساطته وبراءته .. يشعرك انك تعرفه منذ ولادتك فتحبه ولا تستطيع تركه مطلقا ، انه يتمتع بطلاقة لسانية عجيبة .. وقدرة على النفاذ الى اعمق اعماق الانسان والاشياء بشكل يثير الدهشة . انه انسان ذو قلب كبير . فماذا بعد ذلك ؟. نعم وبكل تأكيد وللامانة والتاريخ : لقد عرفنا هذا الشاب مبدع عبقري .. واب حنون للاطفال والشيوخ معا .. وحتى ترى عاطفته مع



اصغر الكائنات وجودا . وهم الذين اوحوا له هذا الالهام الكبير .. وان طاقاته لا تقف عند هذا الحد من العطاء ، لاننا نشعر ان ملامحه تحمل الكثير من الهم تجاه قضايا الانسانية الهامة في العالم عامة .. وفي العالم الثالث خاصة . انه مناضل لا يهدأ في ثورته على كل اشكال الظلم والطغيان .. تراه لا يقف الحياد تجاه القضايا البشرية الملحة في اقامة العدل والمحبة والسلام بين طبقاتها . وانني لواثق مع الكثيرين من النقاد ورجال الفكر والادب والعلم .. ان الغد سيحمل لنا الكثير من بشائر هذا الفنان العربي الملتزم من عطاءات لا تحد ولا تتحجم .

حلب في ١٢-١٢-١٩٨٠

● الدكتور جميل محفوظ ●

جنازة مالك الحزين

قصة : قدري مايو

الرصيف افعى شتوية زرقاء تلدغ كل طارق ، واقدام عصافير بلا اجنحة ترفرف تحت سكين الصياد الذي كان يبكي وهو يذبحها بدموع منهمرة ، وهي تتراكض امامه بعد ان نفذ فيها حكم القضاء والقدر ، وأوصد في وجهها باب المراجعة حتى اشعار آخر . وسحابة عجوز مترهلة مهلهلة الثياب تحبو مصعدة في الجبل الذي نخرت صخوره الرمادية معاول الزمن ، بينما تتقاطر اردانها بماء ليس فيه ملوحة الدموع .

ـ حوح .. حوح ..

مائة مرة او اكثر طرقت سمع خوفو الصغير هذه النأمة البشرية كأنها عبارة تضرع ساذجة يفوه بها طفل امام عصا المربي ولا من شفيع ..

جفت الينابيع فنضبت الدلاء وفرغت الاقداح ، وكأن الناس جميعا ابناء علات يتقاسمون جثة ابيهم وتضحك الاقدار !.. كان خوفو الصغير منهمكا في بناء هرم دافىء ابدي يدفن فيه نفسه ، ليعيش حياته الباقية ، ولكن المرآة كانت تعترض انهماكه بفضول فتضحك في وجهه ويلتمع في فضتها بريق اصفر .. انها سن ذهبية صغيرة وضعتها في مكانها يد الدلال ، ولا عجب في ذلك ، ان الولد البكر يقطف تفاحة الدلع دون سائر الاخوة .. « سقى الله ايام العز » يقولونها هكذا ببساطة : وكأنهم لا يدركون وقع السقا السجع على معدة الجائع المقرور .. اعطوني رغيفا داني القطوف ، واعتصروا وحدكم شآبيب الرحمة كلها . ان السماء ادرى اين تبدد ثروتها .

ـ حوح .. حوح ..

قالتها هذه المرة امرأة مترفة كأنها عربة « كدلك » تترنح بين يدي سائق مخمور ، وقد القت على كتفيها فيافي سيبرية ذات البياض القاحل حيث تتماوج خيالات الموت تمزيقا بمخالب الدببة . وجرى خلفها كلبها المدلل وقد اعتنى بتصفف شعره ، وتطيب لمشوار المساء .. وبين معصميها سمع صرير خزانة حديدية وهي تفتح وتغلق باحتراس بينما ترامى على الادراج المرمرية الحراس المسلحون وهم يغطون في نوم عميـــق .

قال طالب الجامعة وهو يعبر قريبا : انها ليلة صيف ولكنها قارسة البرد .. حو.. وانحنى على بئر الاسرار وهو يردد : ان للملك ميداس اذني حمار.. ان للملك ميداس أذني حمار .. ان للملك ميداس أذني حمار.. واعتدل بقامته فاعتدل معها ظله فأحس بقشعريرة مذعورة ، وتلفت حوالية بحذر محدثا نفسه : ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة ... كيف ورطت نفسي هذه الورطة ؟! .. ربما كان هناك من يسترق السمع من أعوان ميداس فتكون العاقبة وخيمة .. ياللنذالة ! سوف ألقي بهويتي في دهليز معتم لتقرضها الجرذان ماوجه المخاطرة في عبارة خافتة أهمسها في أذن بئر الاسرار على سبيل التنفيس ؟.. أهذا هو أسلوب المعارضة الذي يؤدي الى الثورة ؟ .. انه لايشكل عقب سيجارة مقموم في بيدر أمطرته السماء حتى البلل .. على ان للبلل طبيعة مهزومة تحول النار الى دخان حيادي البرودة ، وقد تعمى به العيون ولكن مهلا !..هب أنك ألقيت حصوة صغيرة في بئر تعج بالماء .. ماالذي سيحدث ؟ سوف تنداح الدائرة الاولى حول المسقط ثم تكبر وتكبر حتى تبلغ أقصى مداها .. حينئذ سوف يطل ميداس من شرفة القصر ويعلنها صريحة ، ويتقدم أمام نافخي الابواق باستقالته بأسلوب مؤثر فيهوجون ويموجون ويلحون عليه في المطالبة بالعدول عن استقالته فينزل على ارادتهم وتقام الافراح والليالي الملاح ويصدر العفو عن العشرة الطيبة ، وتسقط التينة في فم الفيلم ، وتكون العشرة الطيبة من نصيب خوفو باجماع الاصوات ، ويكون هذا في حينها قد بلغ اشده واصبح على أهبة الزواج يلعب ورقته الرابحة ويعيد التاريخ نفسه ...

وقف الى جانبه ، ومسح على رأسه مسحة مواسية ومع المسافة التي كانت تجتازها أصابع الكف على الصخرة الملساء كانت هموم الماضي وأحزانه تتعرج كطريق مسافر متعب على حمار أظلع من غير زاد ولادليل

وراحت جروح الادب العربي تنز في داخله دون استئذان :

ان قسا الدهر فللماء من الصخر انبجاس

قال له : « بورك فيك ياصغيري ! .. أظنك حسن .. » قال : « نعم ! ولكن كيف عرفت ؟ .. » قال : « أنا لم أعرف ولكنني خمنت فأصبت كبد الحقيقة » .

وأشاح خوفو الصغير بوجهه كمن لايفهم هذه الفذلكة التي تنهل من ميزاب انسان بطر يرتدي بذلة مكوية وقميصا أبيض تغلقه على الرقبة ربطة متمدنة ..وظل خوفو ينتظر شيئا جديدا يضيفه هذا الشاب النبيل أتراه سيتباع من بسطته شيئا ؟.. مرآة صغيرة أو مشطا أو مجموعة من ابر الخياطة ، أم أنه وقف لمجرد العبث والتريقة ؟ أحس أنه يظلله بقامته المديدة الفارعة وامتزج في نفسه شعوران متعارضان ، وانتظر الثواني القليلة المقبلة لتنطق بالحكم النهائي ويذهب كل في سبيله .. لم يكن بادىء ذي بدء يتوقع أن يأتي الفرج على يديه فلايحن على العود الاقشره ولايجبر خاطر الدراويش الا الدراويش.. هذا ماعلمه أبوه وفطمته عليه التجربة خلال سنتين من ممارسة المهنة ..كثيرا ماكانت تطوف به عربة اسعاف مخلعة المفاصل يسوقها أمامه أحد الاجاويد ، وبعداجمع واطرح يقوم بالواجب ويرعي الضيف النازل برصيفه رعاية من نوع مافيقربه برغيف من الفلافل أو يكرمه بكأس من الشاي المنهوك ، فينتحر البؤس في خاطره بسكين خشبية ، ثم يعود الحال على المنوال ، ويتابع حبل الصيرورة امتداده بعناد وصبر ....

لم يكن خوفو قد أصبح فرعونا بعد ، وكان اسمه المعلن « حسن » لايعرفه أحد بغير هذا الاسم حتى أبوه واخوته السبعة ولم يكن يدور في خلده أنه اختبر ولي العهد للملك ميداس ، وان مستقبلا مجيدا ينتظره ليتحكم برقاب العباد بروح ديمقراطية فذة .. كان لايرى من موقعه الا أحذية السابلة وكان يسلي نفسه بمقايسة قدميه الحافيتين على أحذية المنتعلين .. يركله أحدهم بأخمصه الخشبي بازدراء وقسوة فيسقط في حفرة عميقة ثم ينهض وهو يتملس أطرافها ،وفي ذروة مخيلته صورة الدركي الذي يأمر وينهى في الضيعة وتنحر القرابين باسمه حتى يرضى .. بهذا المرتقى يشعر انه قد بلغ قمة الهرم وهو مهدد بالسقوط من شاهق فيكنفىء راجعا حتى يبلغ حضيضه ويلذ له أن النزول ليس صعبا كالصعود ، وتتكور الدنيا أمامه على هيئة حبة عنب ناضجة توشك ان تدوسها قدم جبـــارة ..

كان يمارس المهنة شبه مجبر ... أبوه حمدان هو الذي أرسله الى المدينة بعد ان نفض ضروع أمه نفضا فلم تجد عليه ولو بقطرة من اللبن يغذو بها أطفاله الكثر في كل مرة كان اللبن يمتزج بالعرق وأحيانا بالدم ، ويبقى مستساغا ما دام يعمر الجوف بحفنة من الشعير المجروش أما في هذه المرة فلم يكن المحصول غير سبيكة كالحة من العرق المالح والدم الخاثر وبقيت الضروع عجفاء كشنان الحجاج تقعقع فيها الريح للرعية والملك على حدسواء .. البنات في مملكة النحل اسعد حظا من الصبيان ، فهن معززات مكرمات ينتقلن من بيت أب عطوف الى بيت عشير محب ، أما اليعاسيب فيهددهم الموت جوعا ان لم يحولوا لوامسهم الدقيقة الى أظافر قوية تنبش عن الرزق في باطن الارض أو تتصدى له وهو طائر في الجو .. اليعاسيب مخاليق يخاف منها ولايخاف عليها أحد .. هذا هو حسن مثلا يلقي به أبوه في شدق المغامرة في ساحة الاعدام بالمرجة ثم لا يبالي ماذا يكون مصيره بعدئذ لقد وزع أولاده الاربعة الذكور على مفارق الحياة كما لو كانوا جراء كلبة ولود لايرغب راعيها في نسلها . كان حسن أكبرهم وكان اسعدهم حظا لانه الاقوى ولان اباه خلى ما بينه وبين المدينة عروس أحلام كل يعسوب ..حسبه الارض فراشا والسماء لحافا على قول الحكايا ، وللانصاف الارض في المدينة ليست تضاريس مستوعرة ولكنها سجاد عجمي ثمين نمنمته أقدام النبلاء . وهي مراتع معمورة بالنفايات التي هي نفائس لا تكلف الطامع فيها جزاء ولاشكورا . كان خوفو قد سمع بالسجاد العجمي الا أنه لم يره رؤية العين ، وكان حدسه وتخمينه أنه أفخم حتى من اللباد ولكنه أقل فخامة من رصيف شارع « ضرغام الاول » الذي يستعصي على النزلاء من أمثاله بفضل مقارع رجال شداد كالابالسة يسمونهم « الشرطة » ..

لم يكن خوفو يشعر بضرورة ملحة لتسمية الأشياء بمسمياتها ، ولذلك أخذ الراوي هذه المهمة على عاتقه .. قد يكون من الملحوظ لديه أن الذباب هنا مخلوق نادر الوجود ، وهو لايقيم المستعمرات في وجوه الآدميين كما هي الحالة في ضيعته «أم الزلاحف» ولكن هذا مما يحز في النفس ، فالاشتياق الى القبل المدلهة المعتادة في سالف الايام يخلق عند الانسان شعورا

بالنقص لايعوضه هبوب السواقي في الوجوه والعيون مع تحرك كل خاطر الريح .. هنا يتفتح الظلام بعناقيد ملونة من الأضواء يمدونها أحيانا على عرائش زاهية وأحيانا تتسلق عواميد شامخة قاتمة اللون ولكنها محببة . والشيء الرائع في هذه العواميد التي هي أعلى من أعلى شجرات التين في الضيعة ، أنها تساقط عليك الرطب دون ان تجهد نفسك بهز جذوعها اليك ! كان خوفو يحلم دائما بليلة القدر ويحار في العبارة الانسب ليطرق باب السماء في لحظة الاستجابة .. اما موضوع الطلب فلم يكن يتردد في أمره مطلقا ، انه كان يتمنى على ربه « خاتم المارد » وخاتم المارد حلقة صدئة من الحديد تشبه أية حلقة صدئه ملقاه على الارض دون ان تكترث بها ، او تمد يديك لالتقاطها ، لكنه يختلف عن الخواتم الحديدية الصدئة في سره العجيب فما ان تفركه بين اصبعين من اصابعك حتى ينتصب أمامك مارد جبار وينحني لك انحناءة العبد المطيع ، يسألك عما تحب وتشتهي ليمثل به بين يديك قبل أن يرتد اليك طرفك .. هذا الوصف اتقنت جدته « أمونة » سكبه في مخيلته حتى أصبح عنده كالحقيقة التي لاينقصها الا أن تكون حقيقة .

فجأة ظلله خيال المارد العظيم ، وسقطت في حجره قطعة فضية كبيرة من النقود ، نصف ليرة بحالها أخذها في كفه فاذا لمسها حرارة توشك أن تكون لاذعة ، وفي الوقت نفسه كان ملمسها طريا كوجنة الرغيف الطازج الخارج لتوه من التنور .

لقد هلت ليلة القدر أخيرا ، نصف ليرة دفعة واحدة ورفع يده بالبضاعة كلها الا أن اليد العليا لم تأبه لليد السفلى وتابعت المسير خطا وهميا على لوح المدى القائم «عصفور في اليد خير من عشرة على شجرة » قالها في نفسه بابهام له مدلول الحكمة المأثورة ، وقال وهو لايدري أنه يأثم في هواجسه : «نصف ليرة بحالها خير من ليلة القدر بحالها » .. قال في نفسه مستطردا : « لقد انتظرت تلك الليلة كل ليلة وبت سهران أترقب لحظة انفراج السماء ، أدافع بكل طاقتي أكتاف الحجاب والسدنة لاتقدم باستدعائي ، الا أن انتظاري وترقبي ومدافعتي كانت ضربا من العبث ، وكأن الحكاية لم تعد ان كانت أكذوبة من أكاذيب الكبار ...

قال المارد المتواري بين جلابيب المساء وزحام المارة : أنا اليوم أستاذ والحمد لله .. غدا سيكون امامي على المقاعد خمسون رأسا من امثال رأس حسن هل أنا استاذ أم تلميذ ؟ انا لم اغادر عتبة دار المعلمين بعد فاذا أنا تلميذ ، ولكن التطلع الى المستقبل تقدم ، فاذا أنا تقدمي .. أنا أستاذ .. ومادامت شخصيتي مهمة الى هذا المقدار فلاطرح على نفسي هذا السؤال وردد السؤال في نفسه مرارا ثم عاد يقول : انه سؤال ضخم جدا ، لايمكن أن تستوعبه دوامة الرأس المتعب فلأ نكمش الى حدود معقولة ، ثم وضع نفسه في دائرة اضيق الى ان تحول الى قلم ثرثار يقفز من طرس الى طرس وهو « في مكانك راوح » ...

علمونا في موضوعات الانشاء ونحن نعلم تلاميذنا في مدرسة التطبيقات : الطفل ملك صغير بريء — وأزت ذبابة عابرة ولكنه ظل يرخي السلسلة — وليس من اللائق بالملائكة الصغار الأبرياء أن يرتدوا المزق ولا أن يفترشوا أرصفة الشوارع وأن يرتزقوا ببيع المرايا والأمشاط .. هذا حرام .. عواطف نبيلة .. تصفيق حاد .. قالت الذبابة الحبلى : ازز .. ز .. وقدم عميد الكلية الى تلميذ دار المعلمين عقد اذعان وهو يقول له بتقطيبة جادة : وقع هنا ثم وقع هنا .. انصرف ... نصف مرتبي للفقراء .. هذا عدل .. لماذ الأوقع ؟ .. ان خمسين ليرة كثيرة جدا بعد تأمين الاكل والمنامة على حساب الدولة .. لماذا لاأوقع هذا هو الحل الأمثل للمشكلة ، واذا كنا لانؤمن بالاستيراد فلنصنع الاكسير محليا على شكل مسحوق نذرة في العجين ، وفي الحبر الذي تطبع به كتب التهجي للاطفال .. سأهدي خوفو نسخة جديدة من كتاب التهجي ورغيفا مصنوعا من الدقيق الجديد ، يحرك النسغ في العروق ولاتبقى القضية حبرا على ورق . سوف يمنعني ميداس ، وسوف أقاوم وأصيح لقد قسمت بيدري نصفين فاخجلوا ..

فجأة ألقي بفخذ من اللحم الغريض ، وشرعت المظاوي تعمل عملها فيها الى أن تحولت الى أكوام من اللحم المفروم ، ومالبثت أن تخاطفتها براثن مطلية بالمنوكير ومناقير مطلية بأحمر الشفاه ، وفي مصامها راحت تتذبذب لوحة شعبية كتب عليها « العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر » .. ويتدخل الراوي فيصبح : يحيا العدل .. يحيا العدل ..

غدا أعلم تلاميذي في مدرسة التطبيقات درس « الحمامة والثعلب ومالك الحزين » الحمامة انسان طيب ، وكذلك مالك الحزين مأثور : «ان جهنم مبلطة بالنوايا الحسنة » .. الأقوال المأثور بضائع تنتظر الشحن في ميناء أضرب عماله عن العمل ، ولكن الشيء الذي أفهمه ان الثورة تعني الرفض والرفض يعني الثورة .. لماذا لم تقل الحمامة للثعلب : « لا » لماذا لم تقلها له من نفسها دون أن يعلمها اياها مالك الحزين الطيب ؟ وهل كان من الضروري أن تبوح باسم معلمها المسكين ليسفك دمه على مذبح القضية ؟ انها ولاشك

لم تنقر أية نقرة من فئات الخبز الجديد ، ولم تقرأ أي حرف في كتاب التهجي الجديد . قد يكون السبب في أن الخبز الجديد لايتجزأ الى أجزاء يستوعبها منقار طائر ، والحروف الجديدة طبعت باتجاه معكوس.

يقولون في « لا » انها حرف لامحل له من الاعراب وهي في الحقيقة كلمة الكلمات ، بل فعل الأفعال . سأعلمها غدا لحسن وهو امامي على مقعد الدرس ، سأجعله يكتبها كل يوم مائة مرة سأجعله يركض الى أمه ويعلمها الا تلقي بفراخها الى الثعلب لدى أول نداء والانتصاع الى تهديداته الجوفاء .

ان النخلة التي تقيم عليها عشها ذاهبة في السماء، زاكية الثمر ، فلاينبغي لها بعد أن جربت مرارة الثكل ان تخاف عدوها اللدود وهي عنه بمنجى .. لوأنها قدرت عمق نخلتها في الجو ، واستعصاءها على عدوها ، لو أنها عرفت قوة جناحيها المحلقين وأشياء أخرى عن كنوز النخيل وأرض النخيل ، اذن لما كان ماكان في حزيران الفائت وقبله ، وقبله ..

قررت وزارة المعارف الجليلة تدريس هذا الكتاب في مدارسها الرسمية .. حقا ان لميداس أذني حمار عملت عنده مزينا ذات مرة فاطلعت على سره المخبأ تحت عمامته السلطانية المستفيضة ، وقد اوصاني بالحاح مشفوع بالتهديد بكتمان سره العجيب ،ولكن نفسي ضاقت باحتماله ، وكان ان أفشيت به لبئر الاسرار ، ولكن البئر أفشى به للصدى ، وعمله الصدى الى كل مكان ، ولا يستبعد ان يكون قد سمعه الرعاع ، وهنا يكمن الخطر .. اننا نظلم الحمار كثيرا عندما نستغبيه الى الحد النموذجي المشهور ، فقليل من عصب العيون عن الحقيقة يجعل الحياة ممكنة وهذا تأقلم ، والتأقلم ذكاء .

ومن ذكاء الحمار غير الملحوظ أنه استعار صوته الجهوري ليثبت أنه يقدر مكانة الاذاعة في الدعاية .. والحمار شخصية كريمة متسامحة تخلع الخلع على الآدميين من مواهبها الربانية الكثيرة ، وكل منهم أخذ منها بنصيب ، الا أن اقبح هذه الانصبة السماعتان والمايكرفون ، ولابد مماليس منه بد ..

بدأ البرد يشتد في عز الصيف ، وتكاثر البعوض فوق سرير النهر بشكل لايطاق ، ورغم ذلك حجزت الأسرة جميعها في دار التوليد بالقرب من التكية . ومر عابر سبيل يعاني من البرد والوحشة ، وسمعت نأمة انسانية متواضعة : حوح .. حوح .. لابد أن أخذ مكاني فوق سرير النهر .. نهر بردى الذي اصبح يدعى نهر الشريعة . كل نهر في الدنيا اصبح اسمه نهر الشريعة . هنا ألقى القارىء بنظارتيه احتجاجا ، وصاح محنقا : « ياناس !.. ياهو !.. دعونا نفهم .. دعونا نعرف من الذي يتكلم!.. » ولكن صحيحته ضاعت في ضجيج عجلات القطار ، وابتعد به القطار وبالركاب عن مدى النظر .. وانطفأت أنوار المسرح ثواني ، ثم أضيئت على منظر أستاذ عظيم الأهمية وقد وقع في الحب . وفي غفلة عن الرقابة يبدو أمامنا الاستاذ بقامته السامقة ورقبته المستقبلية المشرئبة التي تشبه رقبة مالك الحزين ، وهو يغازل زوجته المسماة دنيا وشيئا فشيئا يتحول المشهد الى تعر ثم الى ممارسة الجنس علنا تحت سمع الجمهور وبصره ، دون ان يبدى أحد أدنى اهتمام وكأن شيئا لم يخرج عن المألوف حتى رجل الدين الجالس على اليمين يهز رأسه وفي ركن من أركان المسرح بسطت مائدة لشخصين وهي حافلة بمالذوطاب . حول المائدة كرسيان ثم أصبحا ثلاثة ثم أربعة الى سبعة فأكثر .. الكراسي تزداد عددا والاطباق ترفع فارغة ولايحل محلها جديد . وتسمع من مكان قريب جلبة حادة ، وتصايح أطفال كثيرين ، وأصوات حبور ومرح ، ثم تتحول الاصوات نفسها الى نصائح وألم وتضور وبكاء .. ويعبر المسرح من يمينه الى يساره غلام أنيق الهندام يضع ربطة العنق المتمدنة التي كانت لابيه ، ولكنه يمشي حافيا .

كان يحمل بين يديه بسطة صغيرة وهو ينادي على بضاعته بعينيه دون أن ينبس ، وقد تكدست أمامه رزمة من ورق الصر ، يتضح أنها كراريس ممزقة من كتاب التهجي بطبعته الاخيرة . القمر الذي يطل من احدى النوافذ بدرا يتضاءل ويتضاءل حتى يصير في المحاق ، وشخصية خوفو الصغير المعلقة في صدر المكان ضمن اطار واسع تضخم حتى تملأ الاطار على هيئة سلطان عظيم له أذنا حمار وبيده سوط ، وتحت الصورة ترتسم كلمات بخط بارز ولكنها تظل غير مفهومة لانها بعيدة بعيدة جدا عن النظارة .. وبعد فترة صمت تسمع موسيقا جنائزية حزينة ، ويمر موكب مهلهل لأسرة كثيرة العدد ، يقودها مالك الحزين وقد غدا بلا رقبة ، بينما يقهقه الثعلب من وراء ستار وهو يقول : « ياعدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستكمن منك عدول ؟»

ويلفظ مالك الحزين أنفاسه الى أن ينتهي ، ثم يعود فينهض بتثاقل ليشارك في تشييع جنازته ، ويشهق ابن المقفع متعجبا وهو يشهد مالك الحزين يشيع جنازته بنفسه ..

حلب ـ قدري مايو

يوميات حرّاث في حقول الحزن

لؤي فؤاد الاسعد

— ١ —

كنت مشحونا منذ الصباح بما يشبه الكآبة الخفيفة ، متجها من البيت الى « الكازار » فقد سلكت ذات الطريق التي تعودت منعرجاتها الضيقة في الصباحات القارية الهائجة ، وكالعادة في مثل ايام كل جمعة المتشابهة اوقاتها بالساعة التي مررت بها من تلك الحارة ، كانت الفتاة الناعمة تنتظرني من بعيد ، متظاهرة عند اقترابي من تحت شرفتها انها لا تتقصد النظر نحوي في الوقت الذي انطلقت فيه من احد الاطفال عبارة حشرت الكآبة وجهالوجه امام فورة سعادة مفاجئة احدثها في نفسي طفل انتظر اقترابي وقال : وهو ينظر في (يعيش الشعراء) ، بينمابقيت ماضيا في طريقي ، متجاهلا الكلمات التي أحسست ان الصغير كان يخصني بها .

حين ابتعدت وقبل ان اتجه نحو الشارع الذي يعزلني عن مرمى نظر الصغار ، ارتفع الصوت الطفولي بحذر عاليا لمرة ثانية (يعيش الشعراء استاذ ...) وانا أرفع يدي للصغير ملوحا بالتحية دون أن التفت ، كانت بعض السعادة تتشكل في نفسي وتتحول الى دموع في عيني لتتساقط في تحفظ .

استقبلت مشاعر عديدة وانا امسح تلك النظرات التي كنت اتحاشى ان يراها أحد على وجهي حتى اقتربت من مقهى (الكازار) .

كان اول ما استقبلني في الواجهة الخارجية للمكان (لؤي) في زاويتي المعتادة الى الجدار ، بينما ركن قرب الواجهة (محمود) و (بشار) وحين دخلت واصبحت في الوسط حياني النادل واشار بتحضير قهوتي الصباحية وجلست مع الاصدقاء محييا ، واحسست بفورات المشاعر وانا استريح كما شعرت بلون الطقس الرصاصي الخفيف بين النور .. والضبابي يتغلغل في ذاتي بهدوء ، وانا انظر بعيدا عبر الواجهة الى كتلة الاشجار الخضراء في مبنى اعدادية الحكمة ، مشى صوت الصغير في نفسي وديعا وهادئا يختلط بتلك الكآبة التي كنت مشوبا بها ويصفيها ..

بقيت فترة من الوقت دون كلام كعادتي ، واتى النادل ووضع فنجان القهوة المكثفة ذات الرغوة

الصفراء ، وتأملت للحظات تلك القشدة بلونها البني المتدرج حتى حدود الاصفر الترابي ، ورفعت الفنجان الى فمي آخذا الرشفة الاولى ونظري متجه نحو نضارة الاشجار المغسولة بأمطار ليلة البارحة في هذا الربيع الجميل ، وانا اتذوق لذة الطعم ، ونقاء الاخضر العميق في جو يميل بين الرصاصي المتأثر بانوار الشمس المغللة تحت طبقات لا استطيع ان أسميها غيوما لكثافتها الشفافة الممتدة حتى قلب الفضاء الازرق الفسيح .

مر وليد وسلم .. وقال بحركة من يده انه سيعود ، بينما فاروق يدخل المقهى ويأخذ مكانه جانبي . عاد وليد في حدود العاشرة والربع ، الزاوية مكتظة بالاصدقاء ، وقهوتي لم تنته بعد ، وفي غمرة النقاش قال احدهم للؤي ... ما معنى (الحق) وأراد لؤي يحول هذا السؤال الى فاروق في الوقت الذي كان فيه فاروق محتدما بأحاديث مع وليد وبشار حول تأبين خير الدين الاسدي وموته ودفنه دون أن يعلم به احد منا او من أهله .. فقد نقل من دار العجزة الى المقبرة غير ان الرجل الذي يتولى دفن الاموات رفض ان يستلم جثة الاديب المفكر لدفنها ، وذلك لعدم وجود الورقة الرسمية بذلك . وسوي الامر بعد فترة ليست قصيرة ، كان النعش ملقى جانبا . كانت الاحاديث طويلة ومتشعبة .. وتجادلنا انا ولؤي حول المضمون الانساني في اعمال (مايكل انجلو) و (جويا) وكانت المناقشة حادة أحيانا ، مع هذا كنا نعلم جميعا امزجة بعضنا منذ باكورة الشباب الاولى عندما نجتمع قبل ظهر كل يوم عند (جاك ابراهيم) كنا مجموعة من الشباب المتطلع وقتها الى آفاق ومنابع الفن ، كما نمارس رسم بعضنا تحت وطأة احاديث مختلفة عن فناني العالم حتى وجد كل منا في مكان ، بعضهم اتجه الى (روما) موفدا لدراسة الفن ، والآخر الى (باريس) ، وواحد بقي وحيدا ينظم عادات احزانه مع امرأة وضعته منتصف المتاهة بين المأساة والموت البطيء وهو مايزال يرى الآخرين بعد أن عادوا من اغترابهم لاجل الفن الى غربتهم في الفن ، يعيد معهم تصوراته لمستقبل تحت طائل مناقشات في الزاوية .. او في الطريق خصوصا حين يكون الصباح وأنت تخطف بقدميك المسافات متعرجا عبر المسالك الضيقة في الحارات النظيفة المتدلية على بعض جدرانها أوراق اللبلاب ، متجها الى ركن اعتادك .. ربما يكون قد شغله غريب سواك يرى ظله فيك .. او يكون خاليا فترتاح الى أفكارك فيه ، يجتمع حولك الاصدقاء ... تحتدمون بأحاديث حول الفكر والفن .. وواحد ربما يكون أنت ، يختلط فيك الماضي بالعذاب ويجرجرك بمآسيه في صحارى الحياة الظالمة .

— أوائل ايار ١٩٧٢ —

— ٢ —

كنت مستلقيا في سريري امعن في الظواهر التي تحيط أعماقي وتملأها ، والمظاهر التي تتشكل منها غرفتي المغلقة .. بعد قليل من التعب أورثني اياه كتاب « نشأة الفنون الانسانية » وهذا التداخل الزماني العجيب بين تاريخ؟ الاشياء واشكالها الحضارية القديمة آلاف السنين حتى يومنا هذا . الموسيقى منذ ساعتين على الاقل بطبقة بثها الخفيف تساعدني على التغلغل في كل الميادين التي لا يمكن لغير الخيال الخلاق السفر اليها لاستنباط كنهها والوقوف عند اسرارها ، والغلاف الاصفر الترابي بصفحاته البيضاء النقية النائمة على بعضها ، كان يحرك بي رغبة العمل على القماشة الموضوعة على حاملها منذ شهور ، لكن تشتت افكاري كان يبعدني عن وضع الالوان على (الباليت) ومسك الفرشاة لبدء العمل .

وفي المجال الخاص للافكار توقفت .. توقفت عند احدى الاغنيات الفرنسية التي نقلتني الى فتاة عرفتها خلال فترة طويلة من الصمت كانت تبحث عني في سكوتها ولا تلتقي بي الا في الزاوية من الكازار مرارا ما دفعتها اقدامها للوصول الى الرصيف الموجه لي وهي خارجة من مؤسسة حوض الفرات متجهة الى الشارع الشمالي في محطة بغداد .

وقفت طويلا بأفكاري عند هذه الفتاة ذات العينيين الشبيهتين بعيون بنات الصيف بمسحتهن العميقة ، وقلت في صمتي : لماذا انقطعت هذه الحلوة عن عادتها الجميلة ولم ارها الا قليلا . تواردت الى ذهني بعض العبارات التي ارسلتها لها في البطاقة يوم رأس السنة ١٩٧٢ الى مكان عملها ، وبقيت حركة عينيها وسكوتها يقومان بالمعادلات لعاطفتها الغضة حينما تراني بين الوقت والآخر ، وتغلفني بستائر الاستفهامات حول انقطاعها ..

وأعدت لذهني ذلك الشعور بأن احدهم هو الذي

وشى بكلمات لم تزل حتى الآن مجهولة عني .. واضر بحت كانت صاحبته تزرع الشوارع اوقات الظهيرة من العام الماضي لتشمل اشجار الفرح في وجهها حتى تساقطت أوراقها فجأة في وقت لم يعط لي فرصة تذكيرنا بأن الحب لا يولد الا لكي يموت دونما سبب ليخلف بعد التساؤلات الباردة المشوبة بالحزن والانقطاع

وألح علي شعور بعدم الاسترسال بهذه الافكار ففي الحقيقة كان مبعث هذا الشعور تلك الموسيقى التي تغيرت عن سابقتها ، وبدأت أصوات (الكورال) وهي تبدو كمن ينأى عن نفسه ويبتعد في خضم تغييرات نفسية لم أستطع لتوي ادراكها وتحليلها ، ربما مرد ذلك لتلك الحلقات المترابطة من الافكار المعذبة ، كما أتت أفكار (منير) بالرسالة التي بعثها لي مع « وحيد مغاربة » ولكن عباراته في الرسالة غالبا ما اتسمت بالصدق العميق (أرضي بحاجة الى الكلأ والمطر ولا ينقذها الا صداقتك) .. أخوك (منير) — أتوقف بسبب الضيق المفاجيء ومن ثم للذهاب الى موعد السادسة والنصف ولا بد من تجديد النشاط بحمام بارد يعيد نظام الحيوية ويجعلني استقبل المساء بروح جديدة —.

لم نكن مساء هذا اليوم على ما يرام — وحتى هذه الساعة المتأخرة من الليل — لان المشاعر الموحشة التي كانت رفيقتي ضيعت علي بعض السعادة المحتملة حين لقائي بـ (ص) مما جعلها تتأثر من حالتي النفسية ، الا انها لم تكن لتسطع كعادة بنات جنسها فهم ما يمكن ان يطرأ على شاعر من حالات محتملة من الاضطراب .. حتى بقيت لاربعين دقيقة تناقش الكلمات في حدود شكلها ..وذهبت ولم تكن سعيدة.

سأحاول ان أتمدد .. لا أشعر بميل للقراءة ... ولا لنسخ المجموعة التي طلبها الناشر في بيروت لطبعها ربما اطفيء النور لارى وجه تلك الفتاة الحلوة بعينيها الخضراوين المميزتين عندما التقت عيوننا ببعضها لفترة لم يكن زمنها قصيرا ، ولكنني تساءلت ؟ لماذا ارسلت نظراتها بهذه الصورة ، وهل بامكان الانسان ان يشعر بعاطفة جارفة نحو الآخر دون ان يعرفه ، التقى به فجأة على هامش المصادفة وافترقا .

— احدى ليالي حزيران ١٩٧٢ —

— ٣ —

لم أقف عند المعاني التي كانت تمر عبرها عيناي في بحث (التأثيرات والافكار) لـ (كولنجوود) ورغم قراءتي الصفحة للمرة الثالثة فقد رأيت ان اطوي الكتاب الذي قطعت برحلته ما يزيد على منتصفه ، وان ابقى مع هذا العزف الانفرادي (للبيانو) لربما تقوم الموسيقى بتنقية التعب النفسي ، وتعيد توازن التفكير والاحساسات في هذه الآونة من الليل الذي يقترب منه الفجر .

تمددت في سريري شبه عار أفكر في الموسيقى وأنظر الى لون ارضية اللوحة الموضوعة على حاملها وفكرت بأنواع الزهور التي سأضعها في الوسط حتى دنوت من ألوانها وقلت لن استعين بالخيال ، فان رؤية الاشياء بواقعيتها تمنح الموضوع غنى يجمع في كفتيه الحقيقة والفن ، كما تذكرت اقوال (رولان) حينما أعجبته لوحة الزهور السابقة ، حيث دار حديث في اثناء ذلك حول استعمال الفنان لخياله ، وانا أوغل باسترسالي بالتصورات العديدة والتداعيات كان شبه ضوء داخلي يلح على تحريك الشقاء وايقاظه من النوم .

وكأنني احسست بقليل من الشعور بالذنب حين احجمت عن التفكير لقليل من الوقت في حل مشاكل من هم أقرب الناس الينا ، وتدفقت الصور الكلامية من ذهني في حوض النفس ، وخامرني شعور ان اعماقي تحولت الى ارض طينية خطرة ، وان افكاري بتدفقها الغزير .. شبيهة بالامطار التي لا يسمع لهطولها وقع ولا هسيس ، وأرعبتني مشاعري بتجمع السيول ومحاصرتي في داخلي حتى تجاوزت مرحلة التعب . وساورتني فكرة ان ارتدي ملابسي واخرج في ذلك الوقت من الليل باتجاه مكان ما .. عسى تتغير ملامح الافكار الصعبة التي كر خبطها دون توقف ، ولم أشعر الا وانا أسمع وقع اقدامي في الطرقات التي لم اعتد السير فيها الا منذ عام ، وفقدت ذلك الهدف الذي خرجت لاجله حين جلله النسيان .

بدأت أحاصر تلك الفكرة بأن استنفرت ذاكرتي حتى عثرت عليها ، وحولت سيري نحو المكان ، زمنا قصيرا استغرقته وانا امضي .. في داخلي كآبة وفي خارجي أضواء تخفت لشوارع خلفية لا توصف الا بمثل هذه الاوقات من الضيم الفكري عندما يفاجيء الانسان ، حيث لا الموسيقى ولا الكتاب يوقف تدفق العذاب او يلهيه بالتوقف لزمن قصير فيستسلم للراحة بالنوم ، وبعد وقت رأيتني اضغط الزر الابيض في الممر

متجها تحت نور بسيط الى باب ذي لون كستنائي لافتحه بهدوء وادخل وفي ذهني فكرة تناول تلك الزجاجة الدوائية من الثلاجة ذات الطعم المائل الى الحموضة ، بادئا نوعا من الحوار مع الصمت بيني وبين (م) ذاتي الثانية المشغول بها دائما والى الابد .

ـ تموز ١٩٧٢ ـ

ـ ٤ ـ

أغلقت باب الغرفة واضأت النور ـ الساعة الثانية عشرة والنصف من ليل الاربعاء ١٢ أيلول ١٩٧٣ ـ حاولت أن اجمع الافكار التي طفت على شاطيء النفس بعد أن دفعتها موسيقى (شومان) في كونشرتو الكمان تحت سمع وعيون الليل .

وقع نظري على القصيدة التي توقفت عن كتابتها بضعة اسابيع ، فكتبت فيها مقطعا زاخرا بالتجربة المرة بعد ان تحولت بفعل الفن الى معان رمزية خاصة قطرها الخيال الشعري .

أطفات النور وعدت الى السرير .. ما انقى روح الليل حين تمسها الالحان وترتعش شفافية الظلمة في المكان المغلق . هطلت الافكار بغزارة .. ونوع من السأم والقرف حط في نفسي ودخلتني مشاعر متناقضة ومختلفة .. رأيت عيني (م) عصر يوم البارحة تغرقان بقطرات الحزن حين رأت الكلمات تختنق في حلقي وانا أكلمها عن خوفي على مستقبلها .. امتلأت الغرفة بعينيها المحروستين البريئتين وشممت رائحة كبريائها تعبق في نفسي اقوى من رائحة زهور الوديان الصفراء المتصاعدة في الليل في منطقة الدوحة خارج بيروت .. أو حين أعود الى الغرفة وتصدمني رائحة الالوان وزيت (التربانتين) المفعم .

تقلبت على السرير جهة الشمال واليمين ... تذكرت ابن اختي وليدا ، وتنبأت له في عالم النقد شأنا كبيرا ، نهضت من السرير .. أضأت نور الغرفة وذهبت الى المطبخ .. تناولت قنينة ماء باردة وشربت عدت وأطفأت النور واستلقيت .

كل مساماتي تتشرب الموسيقى الممزوجة بالعتمة . وذاتي ليست في مكانها .. لكن جسدي ممدد ومع هذا فقد وصلت مناطق الغابات في (بوافله) بساحل العاج ـ ورأيت اخي د ابو الهدى كيف اختلطت فيه المسافات بالغربة ، والتأمل بالعالم الآخر الغريب من خلال مخطوطته (انفجارات) التي حدثني عنها برسالته الاخيرة وعن صديقه الفرنسي الطيب . وكأنني مسحت بيدي خدود اولاده الزنوج (منتهى ومازن وشامخ ودجى) التي لم أرها بعد ، ورسمت لهم ابتسامة على وجهي . وعند تحريك قدمي واصطدامها بالجدار ادركت انني هنا .. سقفي العتمة وافكاري تهاجر الى اماكن بعيدة ، وعندما انفرد (الفيولون) بلحن رقيق وذابت فيه مجموعة الالحان واصطحبت تلك الآلة الوترية حشدا هائلا من الانغام الشاعرية .

وأنا ادير وجهي الى جهة الشمال لمعت قوة الحروف الفوسفورية لساعة يدي النائمة قرب الراديو الصغير قرب رأسي فمسكتها بيدي معتقدا ان الساعة قاربت الثانية ، وحين دنوتها مني وجدت عقاربها تشير الى الثالثة وعشر دقائق من صباح الاربعاء .. تذكرت اخي أبا الهدى في احدى رسائله التي يطلب فيها مني ألا ارهق جسدي بالسهر . ولكي اقوم بمحاولة ضد تداعي الافكار التي تمنع عني النوم بدأت العد من الـ ١٠٠ الى الواحد بطريقة عكسية قليلا قليلا وما أن وصلت الى الرقم ٣٣ تقريبا حتى رأيتني أترك العد واسحب رأسي تحت المخدة وأغط في النوم في الساعة التاسعة من صباح اليوم الثاني ، فتحت عيني من النوم وكأن الليل ما زال في غرفتي . الستائر مسدلة تماما ، انما الاصوات والحركة كانت تشير الى ضحى النهار ، فحركت بأصابعي زر الراديو لاسمع الاغاني الفرنسية الرقيقة واعيد تنظيم افكاري ونشاطي النفسي والجسدي معا . نفسي هادئة و (م) تجول في هذه الطبيعة الرائقة في ذاتي ونهضت بعد قليل مقررا الاطمئنان عنها بعد خروجي من البيت قمت ببعض الالتزامات الصغيرة وغادرت مكاني باتجاهها .. نزلت الدرجات الخالية من نور النهار وشيئا فشيئا استيقظ الحزن ورفع رأسه في اعماقي . وغلبتني انواع عديدة من الكآبة والظلم من القوى المجهولة التي تعيش خلف الانسان ، وكاد البكاء يكون جريئا فيقتحم اصقاعه الصافية في الاعماق ، وينفر من نافذتي وجهي الا ان صوتا ما . حبس الدموع داخليا ، وانا أقرع الباب .. طرقات قليلة وخفيفة جاء صوتها (مين) وأجبتها .. وبعد زمن ضئيل فتحت (م) بابتسامتها البريئة السمحة ، تختلط نفسها باليقظة والنعاس قلت لها : هل أيقظتك من النوم قالت لا (معليش) فطلبت الاوراق اللازمة

لتقديم طلب عمل لها ، وان تعود لتتابع راحتها بالنوم لانها صائمة فربما تنوي ان تبقى في سريرها حتى الظهيرة ، وتمنيت لها هدوءا نفسيا ومضيت صاعدا الدرجات الى الكازار تحت شمس ايلول المائلة الى الحرارة من الاعتدال ، لارى بعض من احبوني بانتظاري بينما عيون من أسميناهم بالاصدقاء تصوب نحوي شيئا لو استطاعوا طرده من دخيلتهم لقتلوا وحشا مرعبا يأكلهم ويمنعهم من محبة الطيبين . لكنني آثرت ان التقي بتلك الراحة من العزلة وانتحي مكانا في اقصى الوسط بعد أن حييت من ابتسموا بحب ، وأتاني فنجان القهوة المكثف ، ولم يمض وقت حتى جلس معي منافق لاخذ ما يمكن ان يصيد به في الماء العكر وذهب خائبا ، ثم حضر آخر . وحاول بعضهم عن الوقت الذي قضيته في بيروت ، ودارت أحاديث مختلفة في الادب ومرت هيفاء برفقة فتاة كان يبدو انها منهمكة بحديث مفتعل مع رفيقتها دون أن تنظر .. أما رفيقتها فقد أشبعت طاولتي نظرا رغم جلوسي في زاوية ميتة ، وهذا ما أكد لي ان هيفاء تقصدت المرور أمام « الكازار » وكنت قد تفاديت التعرف عليها في وقت شعرت فيه ان موجة حب تدفعها نحوي .. فقد لمست عاطفتها ذلك الحين بكل أحاسيسي وتغاضيت عنها لانها كانت زميلة للقوقازية التي اشتهرت هنا على الاقل - بأنها حبيبة شاعر ذهب بها بعضهم الى جهة الضياع وتمزيق الحب ، وكانت هيفاء تعلم بتلك العلاقة ، مع قناعتي بأنها الوحيدة التي تستطيع ان تجد مكانا لها في عالم شاعر لا يجذبه في المرأة المختارة الا نوع غرابتها وهيفاء تزخر نفسها بهذا السر الى جانب ذلك الوجه الملائكي والكبرياء والنبل .

مرت (هـ) ولم تلتفت اما صديقتها فقد اشبعت المكان نظرا وعادتا من ذات الرصيف بعد دقيقتين ، هذه الطفولية والشوق منذ الضحى سيجعلان اليوم عنقودا من الزمن الجميل في نفسي .

تصادمت افكاري حول عواطف شتى لفتاتين كل منهن تحتفظ لنفسها بشيء محير من التصرف حتى وجدتني بعد لحظات وانا التفت موقع الباب أجد الدكتور عبد السلام العجيلي وقد لامست انظارنا ذاتينا فحيينا بعضنا وكانت مناسبة لتغيير مكانينا لنجلس في الزاوية التي شهدت الكثير من المحبين وباركتهم ولفظت من بدأ عنكبوت الكراهية ينسج في نفسه فخاخا للآخرين .

خطفتنا أحاديث مختلفة ، ولم يمض زمن بعد ان ودعني الصديق الدكتور حتى شعرت بحاجتي الى فنجان قهوة ثان .. تناولته بهدوء بعد أن اصبحت وحيدا الا من افكار واشياء غامضة شعرت بمتعتها تمنحني اياها غيوم الخريف اللطيفة .

— ايلول ١٩٧٣ —

— ٥ —

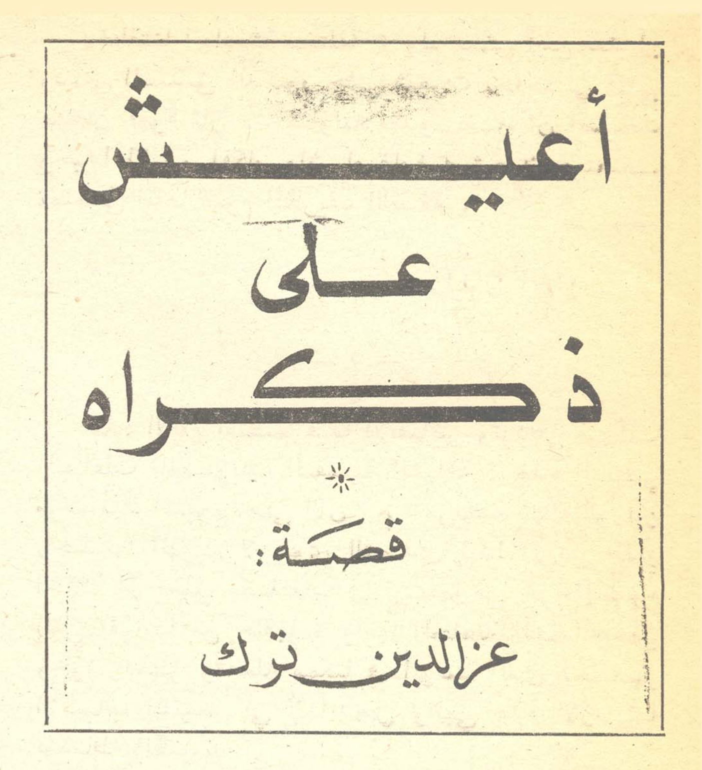
هذه الايام يعتصم فيها الانقباض وتزدهر فيها الساعات بالصعوبات النفسية الشاقة . هذه التي مرت منذ اسبوع حتى الآن (م) مريضة بنزلة اللوزتين وجسمها الهزيل لا يقوى للتصدي لهذا المرض الذي أخاف ان يخلق مضاعفات في كليتيها من جراء السموم التي تفرزها من حلقها ، وأمها الجاهلة السلبية تعمق وجود الخطر وتجعله ممكنا في الوقت الذي تخلق الاسباب اللئيمة كي لا أتدخل وانهي هذه الازمة بوساطة الطبيب .

اما ما يسمون بالاصدقاء الذين ينتظرون كبوة الجواد ، وأشياء اخرى يصعب تفسيرها الآن .. هنا تسكن في الذات وتبني اسوارا من العذاب . كل هذا وغيره يدفعني للقول : الى متى سيستمر هذا القدر الحياتي ، واعلم ان لا مفر من ظروف . حظي الوحيد منها هو الشقاء . لهذا أمضي احيانا الى ملجأي (ذلك الصباح) وأخي ابو الهدى في افريقيا ، واقطع لهما عنان الحزن الى اقصاه .

● لؤي فؤاد الاسعد ●

حاشية :

(لؤي) هو صديق الطفولة الفنان المرحوم لؤي كيالي
(بشار) هو القاص والفنان المسرحي بشار القاضي
(جاك ابراهيم) هو فنان سوري
(رولان) هو الفنان رولان خوري
(وحيد) هو الفنان وحيد مغاربة
(وليد) هو القاص وليد اخلاصي
(فاروق) هو القاص فاروق مرعشي
(منير) هو الناقد منير العكش
(ذلك الصباح) هو الشاعر صباح الدين كريدي
(د . ابو الهدى) هو الشاعر الاديب الدكتور ابو الهدى فؤاد الاسعد



دخلت على جدتي ذات يوم ، فاذا بها جالسة تفكر وفي يدها خصلة من شعر اشقر تتأملها بتقديس وتبجيل وحين رأتني بدا وكأنها فوجئت واسرعت الى اخفاء خصلة الشعر بمنديل من القماش كان بجوارها ، وكأن رؤيتي لها في حالة تأملها تلك أمر يشكل بالنسبة اليها بعض الحرج واحببت مداعبتها فقلت :

ـ ارني خصلة الشعر ياجدتي لارى كيف كان شعرك في الايام الخوالي .

ـ انها ليست من شعري .. انها من شعره هو ...

ـ شعره هو ... ومن هو ياجدتي ؟

وسكتت مدة حسبت خلالها انها لن تتكلم ابدا ثم قالت :

ـ يقولون ان الجراح تندمل بمرور الزمن ، وان المصيبة تبدو كبيرة عند وقوعها ، ثم تنحسر رويدا رويدا .. لتصبح بعد ئذ وكأنها تلفقت بالضباب .. ثم تعاود الحياة سيرتها الاولى اما بالنسبة الي فأكاد اقول عن نفسي اني مستثناه من هذه القاعدة وان فقدي لزوجي رغم تقادم الزمن مايزال وكأنه وقع بالأمس القريب من حيث اثره في النفس .. اجل مايزال الحزن يخيم على نفسي حتى هذه الساعة لقد تزوج بي ، وكان رقيقا في معاملته لي لم يضربني مرة لم يشتمني مرة . وانما كان يتغاضى عن هناتي يغض طرفه عنها ثم يوجهني الى ما فيه الخير لكلينا بهدوء ومحبة وكان ينغص صفونا ان ثلاث سنوات مرت على زواجنا . ولم نرزق خلالها بمولود نسعد به ، بل ويجعل من سعادتنا كاملة . وكان الطب آنئذ بدائيا . لم يكن هناك من نلجأ اليه الا القابلات وقد كثر ترددي عليهن ثم وفجأة شعرت اني حامل ، وكنت آنذ في السابعة عشرة من عمري ، ولما اعلمته بذلك غمر السرور كل مافيه فرح فرحا لااستطيع التعبير عنه .. ومرت اشهر الحمل وئيدة .. وئيدة .. وكان يقول لي :

ـ ان هذا المولود الذي أرجو ان يكون ذكرا سيكون كل شيء بالنسبة الي فما من اخ لي ، ما من شقيقة ، وما من عم ، ما من احد انه يعني بالنسبة الي الشيء الكثير ....

وقبيل الولادة عاد من عمله وهو يعاني من وعكة بادية على ملامحه ، واستلقى في الفراش وهو يئن وازعجني ذلك لأني اعهده متماسكا لايستطيع الألم العادي ان ينال منه أو يضعفه. ومعنى ذلك ان حالته المرضية ليست عارضة .. ولاعادية . ولما لمسته لارى ان كانت حرارته طبيعية شعرت انه يلتهب من الحرارة واستدعيت احد الاطباء وبعد فحصه له قال انه يعاني من « ذات الجنب » وانه يحتاج الى عناية زائدة ، واتيت له بوصفة الطبيب ولكن الدواء لم يجد نفعا وتفاقمت حالته وقد قال لي اثناء ذلك :

ـ انا اعلم ان علتي لاشفاء فيها . ولكني لست بآسف على حياتي الا لأني سأتركك وحيدة مع المولود القادم ...

وقاطعته باكية .. وكان بكائي يؤلمه فيمتنع عن ترديد مثل هذه الاحاديث وذات يوم وقد برح به المرض واستفحل فيه الداء قال لي :

ـ أرجو ان انا داهمني قدري ان تعتني بالمولود لأنه هو الأمل الوحيد باستمرارية اسرتي التي لم يبق منها احد سواي وانا اريدك ان تتزوجي وانت ذات جمال وخلق سيتيحان لك العثور على انسان يناسبك ولكني أرجو الا يشغلك زواجك عن ابننا .

ثم راح في غيبوبه قال بعدها :

– كم انا حزين على هذا المولود الذي سيكتب عليه اليتم يوم مولده .

وكان ماقاله حقا ففي الوقت الذي فاجأني فيه المخاض كان هو يعاني من الاحتضار . . ووضعت المولود وكان غلاما في الوقت الذي كان فيه والده يلفظ انفاسه الأخيرة .

نظرت الى جثمانه وهو مسجى في الفراش وبكيت بكيت بحرقة بألم هذا الرجل الذي كان اي سيخرج من المنزل محمولا على الاعناق لن يتاح لي ان اراه مرة اخرى ابدا ، انه مايزال في قمة الاشراق ان الموت لم ينل من اشراقه .. لم يا الهي خطفته مني ؟ انه مايزال شابا .. انه لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره فلم ياالهي اخترته للموت في هذه السن المبكرة ؟ .. لن يبقى لي منه شيئا بعد اخراجه من المنزل ، انه كان يحب ان اداعب شعره الاشقرالغزير وان اخالله بأصابعي .. فما المانع ان يكون لي منه خصلة شعر اداعبها واخللها بأصابعي كما كنت اصنع مع صاحبها عندما كان على قيد الحياة . وكالغريق الذي يتمسك بقشة عليها تكون وسيلة لانقاذه وعلى غفلة من كل الذين يحيطون بي استطعت ان اقص خصلة من شعره وأن اهرب بها لاحفظها في مكان امين وكأنها كنز اخشى عليه من السرقة .

لقد اراد مني الزواج بغيره ولكني لم اتزوج رغم كثرة الراغبين بي لأني لم ارض ان يكون غيره زوجا لي وكان ولدي منه هو حياتي كلها .. لقد حققت له ماكان والده يريد ان يحققه له لوكان حيا وخضت من اجل ذلك نضالا مريرا صارعت خلاله الحياة وصارعتني غير اني خرجت منتصرة وانا كما تعلم اتقن اكثر من حرفة نسوية واتقاني لهذه الحرف بمهارة لم يجعلني اشعر بالمحاجة ابدا طوال كل تلك السنين . وهاهوذا والدك ناجح في حياته وها هو ذابيته تتدفق فيه الحياة ففيه البنون وفيه البنات ثمة من تزوج منهم وثمة من هو في طريقه الى الزواج ، وثمة من يخطط لمستقبل يريده ان يكون باهرا ، وانا خلال كل تلك السنين كنت اعيش على اطلال الماضي على ذكرى ذلك الرجل الذي احبته وكنت عندما اتضايق من الحياة اوعندما أصاب بنكسة ماأعود الى خصلة الشعر هذه لاستمد منها القوة ولاجلب لنفسي بمداعبتي لها بعض السعادة وان من اشد مايؤلمني اني اود لوكان ذلك النائي الحبيب بيننا ليرى ان اسرته تكاثر عددها وانها لم تمت ولن تموت ابدا .

وسكتت جدتي عن الكلام وقد خيم الحزن على كل مافيها وكأن ذلك الذي حدثتني عنه قد مات لتوه فلم املك الا ان انحنيت على يديها المتغضنتين اشبعهما تقبيلا اكبارا مني لهذا الحرص النادر على الوفاء لرجل مر على وفاته اكثر من خمسين عاما .

عز الدين ترك





الفارس

محمد مضر سخيطة



يدور السؤال .

وتفرك جبهتك المشرعه

تحاول .. ياذا المشاكس .. ان تتقرى الجواب

تهب عليك الرياح السموم

.. ومن كل صوب تحاصرك الاقنعه

فتهرب من صدرك المتفتح .. بيض الرغاب

وتسأل في لحظة الشك .؟

منذا أنا !!..

أمانيك .. هذه التي سكنتك

.. ملأت ناظريك

تحس ببعض الغضاضة اذ تعتريك

وينهض جرح بصدرك

.. صورته لا تريم

أ أنت هـواك ؟..

أ أنت أماني سـواك ..؟

يناديك وجه القرى

أليفا .. يظل مدى العمر وجه القرى

سخيا .. يذكرنا بالحليب

.. بنبض القصيدة اذ تستجيب

وبشر المحبين حين اللقاء

بلون السماء ...

يعاودك الشـوق ..

تجـري معـه

.. وتشرع صدرك .. للمعمعه

تصير اللواء ..

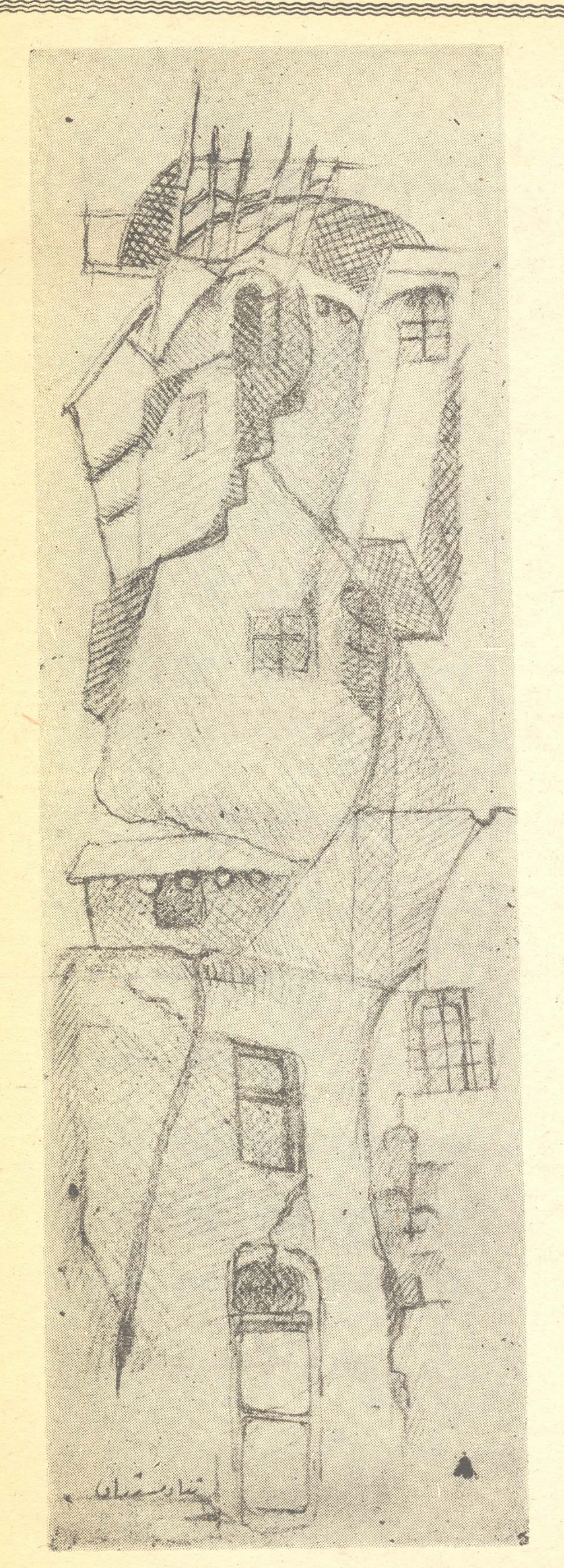
وتكبر دائرة الاصدقاء

محمد مضر سخيطة

حلب ـ ص.ب : ٥٢١٩

خيامنا

لمحمد سعيد فخرو



خيامنا على مشارف الذهول
اتعبها طول السفر
فيها ... وما فيها بشر

• • •

وشعرنا يقرع بالقهر الطبول
وبالدماء والحجر
لكنه بلا أثر

• • •

تاريخنا شجيرة
الشمس من ثمارها
زار الشتاء تلتها

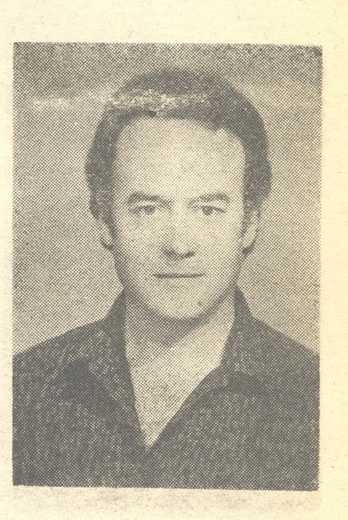
فاصبحت بلا أثر

• • •

طال المبيت والضجر
وضاق بالشكوى الحجر
فلا تعاتبي القدر
ان ودع الحقل المطر

محمد سعيد فخرو

الإخلاص



قصة : نادر السباعي

اهدي كلماتي الى الروائي السوري فاضل السباعي ..

عرفتك ، شقيقا ، واديبا ، وصديقا ، وانسانا .. والآن اكبر فيك الروح الوثابة التي تحافظ على شرف الكلمة : في الخير والحق ، والعدل ..

واسلم للمخلصين يا اخي ..

نادر

كانت شمس النهار قد أفلت ، بينما هو يفكر بملال وكآبة . ضجيج المحرك قد أثقل رأسه وابعد عن نفسه الصفاء .

متعب ، والفكر مؤرق .. كأن هاتفا قد داعبه ، واوحى له بأن نجمته فقدت بريقها .. قطع سفره وآب عائدا دون سبب هام .

توهجت شمس حمراء ابتلعها بحر عميق ..

عاد التشوش يخضب عقله . يداخله الشوق الى زوجته . لم يعد يحتمل فراقها . لقد شعر باهماله لها في الآونة الاخيرة ، بسبب اعماله واسفاره المتتابعة .

اهتزاز مباغت في المركبة ، يفقد الركاب متعة النوم والفطيط المتقطع نجمة خلابة تبدد ضياؤها !

بينما هو مستغرق في تأمل صفحة السماء ، مع ليل مسافر ، تعاوده الهمسات الكئيبة . يتمطى من اعماقه فحيح شيطان مارد ...

يفكر في زوجته بهيرة !

هي فتاة صغيرة تشبه نجمة بيضاء متلألئة في الاعالي ، انها كشمس الظهيرة في جمالها . ساطعة الحسن بالغة اوج السحر .

.. والدي لن يزوجني الا من غني !

كلما بدأ في التفكير وقع في دوامة او متاهة .. يضيع صبره .. هذه المشاعر والافكار تراوده كلما انسرح خياله معها .

تجمع تغريد الطيور في صوتها ..

جموح الرغبة تملي عليه العودة نحو البيت . تجذبه ضحكتها الخضراء . تطلع الى السماء . راقب النجوم في المسافات الفسيحة وهدير مركبة تطوي الارض بسخاء يرقب شلالا من الضياء ..

.. لم استطع البوح بحبي !

الشك مفتاح الشيطان !

انتابه دوار خفيف . بعد طول تفكير ... استولى عليه شعور غريب في العالم ترتكب مهازل قذرة .. عبر كل ظلام !

يعتقد عالم النساء في الفرف . يتعرين من ثيابهن

ويستلقين على ظهورهن . هذا هو عالمهن الحقيقي ..
.. حبيبي حسن شاب طموح . لم يستطع ان يتقدم لخطبتي بسبب فقره ..

انبثق الحقد من قلب حسن . فكل لحظة تمر ستبعده عن بهيرة .. لكنه ارتعش شوقا اليها . امتزج الحقد والشوق معا . تعانق فحيح الشهوة والدم !

العالم مكتظ ببشر احياء ، خاضعين للنزوة والآهة المصطنعة المنسلة من العظم ..

.. هل تحب النجوم ؟

بلى .. لأنك نجمتي .

الحنق في شرايينه يلقي بانشودة خشنة . لقد ادرك ان زوجته وحيدة تعاني من فراغ باهت . المال الذي اغدقه عليها لم يوصله الى اعماقها ..

.. متى يزول السحر ؟

ماتقصدين ؟ سحر النجوم ام سحر المرأة !

مستلقية على السرير . شعرها متناثر على وسادة ناصعة . انفاسهما متلاحقة بنشوة باهرة ..

يتجلى سحر المرأة باخلاصها ووفائها .. مثل النجوم تتباهى ببريقها الهادىء الجميل ..

استسلم لسبات مضطرب ...

زوجتي التي احبها سآكل فمها ، ابتلع لحمها الدامي الطري ، ثم ابصقه !

اسمع حركة ضئيلة ....

سأذبحها !

تصدر عن جسديهما موسيقى ثملة معربدة ..

– من هذا يابهيرة ؟

– انه حبيبي حسن !
– كيف تجرئين ؟

– من المفروض ان يكون زوجي قبلك !

سوف الطخ وجهي بدمها الساخن ، ثم اجعلها عبرة لكل النساء ....

– ولكني انا الزوج الحقيقي .
– اصارحك القول ، قلبي مع حبيبي ، لقد تزوجتك مكرهة . والدي يحب المال وشاء ان يتاجر بجمال ابنته ..
(سأنام مرتاح البال .. يستيقظ في داخلي رجل شرقي صلب الارادة .. تحرك بي الغضب !!)
– ولكن جسدك ملكي ، وقد قبض والدك الثمن كاملا !

لحم ابيض حار يتمزق ..

– لاتنس . بأنك لم تستطع ان تشتري قلبي !

– يافاجرة .. اين الاخلاص الذي تحدثنا عنه مرارا ؟

النصل الحاد يوزع الطعنات بجنون . انبثق الدم الاحمر من اللحم الحار .. السماء حديقة زرقاء بلا اشجار . لقد ارتوت بالسائل الاحمر القاني .
يجتاح الليل الهادىء هدير انفعال .

لم يعد نادما على مافعلت يداه !

* * *

افاق من نومه ، على اثر هزة قاسية ، تنهد بارتياح بعد ان فارقه الفزع . ادرك ان ماحدث لم يكن الا حلما !
بعد سفر منهك ، حطت به المركبة في وسط المدينة ...
توقف برهة امام الباب ، وقلبه يخفق بشدة ... الوقت متأخر . لقد تجاوز منتصف الليل .
احس بحركة غريبة في البيت !
فتح الباب بحذر . دلف الى غرفة النوم بخطوات واهنة . استغرب مامتحته عيناه !
جمد برهة ...
كيف يجد نفسه مستلقيا بجانب زوجته وهو لازال واقفا ... والجسدان في إلتحام شديد !؟

نادر السباعي

حلب : المحافظة – شارع القاهرة – بناية السباعي

حوارية الريح والعشب

* محمد خليفة

ـ هل تحبينني ...؟؟

ـ ليس حبا

والكنه نزوة النسمة التائهة ..

ـ هل تحبين غيري ؟؟

ـ بلى ...

والهوى فاكهه ..

كل حب له نكهه ؟.

* * *

كل فصل له آلهة ..

لم نكن عاشقين

ولا كان حبا

تزوجت الريح بالعشب

فاحترقت وردة القلب ..

هل تسكن الريح في العشب .؟؟

هل يأمن العشب للعاصفة .؟

يحمل العشب ذاكرة الانتماء

وعاطفة الخصب

والريح .....

لا لون للريح ..

لا وجه للريح ..

لا طعم للريح .. لا عاطفه

* * *

انت ريح ملوثة

تحملين غبار الزمان البذيء

وعلى شفتيك

ملوحة بحر رديء

لوثتك النفايات .. والاتربه

لطختك الحضارة بالنفط ..

والأوبئه

وأنا العشب

في جسدي يستحم الندي

ودمي

رغبة الأرض للماء

أو شهوة الجذر للانتماء

في فمي

لهجة من حفيف الدوالي

وهمس الحقول

يرتديني دم الزيزفون

ولون النخيل ..

فكيف أحبك .؟

كيف امتزاج الفصول ؟.

وكيف اتحاد الجهات ؟!!!!

محمد خليفة

حلب في تشرين اول ١٩٧٩

الأمزجة المتقلبة .. لا تصنع مجداً

«مهداه الى المربي الأستاذ فريد مجا»

محمد وليد الارمنازي

تحرك الكرسي الدوار من تحت الأستاذ عصام والتفت الاستاذ نحو محدثه :

ــ ماذا قلت ؟

ــ قلت ان الأمزجة المتقلبة لاتصنع مجدا .

تحرك الكرسي الدوار مرة أخرى ، تناول الأستاذ عصام ملفا ورقيا بالغ الأناقة :

ــ هذه الأفكار جديدة ... احتفظت بها قرابة العامين ، وانا انتظر شخصا يمكنه الاهتمام بمضمونها

تناول المحدث الملف بكامله ، لم يكن معنونا بعنوان ما ... تحرك ليغادر المكان بعدما أومأ ببساطة ... لابأس ... نظر قبل أن يخرج الى لوحة أهداها للاستاذ هز الأستاذ عصام رأسه ... لوحة جميلة .. وكأنها النقيض لأفكار الملف الكثيرة .. القمر .. فقط ..

تلكأ المهندس قليلا .. ألقى نظرة عجلى على بعض عناوين الملف .. كان الملف مزيجا متناقضا من الافكار رائد الطاقة الانتاجية ... مخترع الأصول الهندسية أجمل بطاقة حب صنفها عاشق ... صفحة مهملة من تاريخ مناضل .. العبقري والسجن .. سيد مذاهب الصوفية .

استوقف كل من هذه العناوين التفات المهندس .. اكتفى بأن وضع عنوانا للملف .. النجوم . وابتسم ..!

* * *

ازدادت نسبة الضيوف في غرفة الأستاذ عصام ونسبة فناجين القهوة المسجلة على حسابه زادت ضعفين .. كان آخر من بقي من الضيوف .. أحدهم الذي أوحى اليه بأنه شخصية غير عادية .. فهم من خلال حديث مقتضب أنه صديق للمهندس يمان .. وأنه لايملك شيئا يقوله .

انتقل حديث الاستاذ عصام من واد الى واد ... تحدث عن الغول والعنقاء .. عن الجبال والسهول .. عن رحلات طافت الأرض .. عن نبش لكل خفايا الحضارة ... توقف لوهلة صغيرة وكأنه تذكر شيئاما :

ــ هل تعجبك هذه اللوحة ... انها لك ..

التفت الضيف حيث ذهبت اشارة الأستاذ عصام فوجد لوحة تمثل القمر . سأل ببساطة :

ــ هذه اللوحة لي

ــ انها نادرة ... أليس كذلك ؟ .

لم يجب الضيف ببنت شفة .. تأبط اللوحة وانصرف

ضحك الأستاذ عصام ... كان مقتنعا بأن هذه اللوحة هي الشيء الوحيد الذي لايلزمه .

ملكة الأناقة تزوجت الأستاذ عصام .. يقال والعهدة على الرواي ان الاستاذ عصام اشترط عليها شرطا بذلك .. كما لم يعبأ بما قيل في البلد :

كومة من الاتربة كانت تلاحق المهندس يمان بغبارها على الراوي ان الاستاذ عصام اشترط عليها شرطا واحدا .. أن تصمت !

كوم من الأثرية كان يلاحق المهندس يمان بغباره أينما ذهب ... والحديث عن الاغتسال أصبح حديث خرافة ...

أمسك بالمشط يسرح شعره المبعثر .. ثم صعد الى السيارة .. مشروع سكني ... قلب الدفتر ... مشروع عمراني ... ثلاثة ... أربعة قلب الدفتر للمرة السابعة ..

ــ سأزوره .. انتهيت من عملي لهذه الليلة .. لكنني نسيت أسمه ... لن أكترث لذلك فداره قريبة عنده عقدة ذاتية بسيطة .. انه يرفض الحديث عن القمر والنجوم ... ليكن .. فالمخاطرة ممتعة معه ...

أوقف سيارته قرب الدار .. وجد باب الدار مفتوحا كما هي العادة .. دلف الى الداخل ... وجده نائما في سريره الخشبي العريض ..

حانت منه التفاتة .. رأى لوحته .. القمر .. وقد سمرت بمسمارين حديديين في احدى زوايا الغرفة ضحك من نفسه ولنفسه .. اسرع الخطى باتجاه سيارته ... حمل ملف النجوم .. عاد على رؤوس اصابعه .. وضع الملف فوق منضدة وشتها خارطة العالم .. بعدما كتب على متنه .. اهداء بسيطا .

عرف الى أين سيتجه .. ضيعته قريبة .. وزواجه بالريفية التي اشترطت عليه أن يغتسل .. سيسوي كل الأمور ...

صاحب الدار الذي كان ينام مع ظهور القمر والنجوم .. ويستيقظ مع اشراقة الشمس .. أبقى عنده الملف واللوحة .. أضاف اليها أمرا آخر ... غصت داره بالصبية ، الذين جاءوا يتعلمون ألف باء اللغة ... !

الثلاثاء ١٨-١١-١٩٨٠

محمد وليد الارمنازي

الثلج والعصافير الحزينة

شعر: سمير ددم

— ١ —

لا لست أصما ،
لم أتحجر بعد
ليست هذي صورة وجهي ،
لست تماما
مثلما أبدو ...

— ٢ —

اعترف بأن الثلج الوافد ما زال ..
يرضع من دفء فؤادي
ينتشر في كل شراييني ،
بحثا عن كل كرة عشق .. تسكنني .
بحثا عن اية سنبلة
أو ليمونة ،
عن أية قطرة زيت .. أو زيتونة
أو حبة رمـل
أو وردة ،
غازلها الماء العذب .. في الخفية
وافتض غشاء العطش المزمن فيها ،
مخترقا طبقات الثلج ..
الى سطح الدفء ،
حيث تتحرك — شيئا — أضلاعي ،
تتنفس رئتي
ريحا رطبا
يبدأ سيري فوق اليابسة ..
ادخل مدن الخصب المطلق .

— ٣ —

لا لست اصما ،
أو اني .. اتظاهر بالصمم ..
لكن الدرب الموحل ..
— عن حبك —
آه .. أقعدني .
.. لا لست اصما ،
اعترف :
ان الريح الملعونة .. تعصفني
اذرعة الثلج تحاصرني
تنهش لي جسدي ،
تنهش ذاكرة عصافيري
وتصلبني .
وتصادر امتعتي ،
.. — .. أشرطة لهاتي
في زنزانة صمت .. تسجنني .
اعترف بأن البرد
الصمت يعذبني ،
وبأني الساعة مقرور
جسدي يتأوه حزنا ،
.. فرت منه عصافير فمي وعصافير دمي

— ٤ —

لا .. لست اصما .. اسمعها
مدن الصيف .. تناديني
آت .. آت ..
لا بد ستشدو شراييني
لا بد اشدو
أبدأ — ثانية — عزفي وتلحيني .

حلب — سمير ددم

ماحدث ذات يوم

مسرحية: لغازي حسين العلي

(من فصل واحد)

« الاهداء : الى وليد اخلاصي .. ذكرى نبتة أمل »

المشهد

(ما حدث فعلا هو ان الكاتب بدأ يرى ان كتاباته الاخيرة لم تكن ناجحة كما كانت من قبل . وفي احدى الليالي ، وبينما هو في مكتبه شارد الذهن .. يفكر . ويحاول ان يكتب شيئا . راح يحدث نفسه بشيء من العجب والحيرة فيما شغل فكره منذ ايام .. وما سيحدث الآن ... لم يكن يتوقعه الكاتب مطلقا ، ولذلك كانت بداية نجاحه الذي حققه فيما بعد) .

الكاتب (يحدث نفسه) مر اسبوع ولم تأت .. لا بد انها غاضبة مني (بتردد) لا .. لا أظن ذلك ، لقد تركتها وهي مسرورة .. ولكن (كمن تذكر شيئا) آه ، لقد شردت افكاري . كان علي ان انهي هذه القصة اللعينة .. تبا للكتابة ، لقد مللت .. مللت القلم والورق والوحدة . حياة فارغة ، ها أنذا ابحث عن مجهول .. دائم البحث ، ولا نهاية لهذه المشقة .

(يثور فجأة) ماذا أفعل .. ماذا أفعل ، بطل قصتي يرفض البطولة ، والفتاة التي أردتها ان تكون غانية رفضت هي الاخرى (ينهض من فوق الكرسي ثم يدور حول الطاولة بعصبية) عالم غريب .. عالم غريب (بصوت خافت) لا بد انه الفشل . لامستحيل مستحيل (بصوت مرتفع) لا .. سأجعلها كما أشاء انا الذي صنعتها ومصيرها بيدي . وهذا الذي يرفض البطولة سأجعله بطلا شاء ام ابى .. سأدفع به الى ساحة المعركة ، وافعل به كما فعلت بغيريه (بفخر) ولم لا ، فأنا الذي جعلت من نيرون بطلا عصريا، ومن طارق خائن أحرق اموال الشعب ، ومن هذا المعتوه الذي اسمه خاسر ، جعلت منه بطلا لمسرحية ومن ثم خيبت ظنه ، وجعلته يعيش في دوامة اليأس ...

ولكن هذه الشخصية الوحيدة التي استطاعت التملص مني .. آه فتاة مثل الورد، جميلة تفتن الابصار كانت جزءا من عمل روائي رائع (يبتسم بخبث) وانا كنت البطل (يضحك) انا البطل وهي البطلة، والسرير والمذياع والكتب ، شخوص في روايتي (يعود الى صوابه ، فيشعر بالخجل . يلتفت يمينا وشمالا) لا أحد .. لا أحد . كان علي ان لا أتحدث عن هذه الامور (بصوت خفيض جدا) الجدران لها آذان والكل يريد النيل مني (كمن يبرر خطأه) وغير ذلك فأنا لم أخطىء بشيء .. (بحدة) لا بل هذا لم يحدث قط، والرواية عن أناس آخرين ليس لي علاقة بهم مطلقا .

(فجأة تظهر امرأة في الاربعين ترتدي ثيابا بالية ... وقبيحة الوجه)

المرأة : (تقاطعه) لا ، بل لك علاقة تامة في الرواية التي تكتبها ، وأنت البطل فيها كما قلت اللحظة .

الكاتب : (بخوف) من انت ، وكيف دخلت .

المرأة : أنا !! وهل يهمك من أكون ؟

الكاتب : لي الشرف ان أعرف من تكوني سيدتي .

المرأة : أنا .. (بحدة) أنا ذاتك .

الكاتب : ذاتي !! ولكن غير معقول .. لا اصدق .
المرأة : ولماذا لا تصدق ؟.
الكاتب : (بتردد) انك قبيحة الوجه ، ولا يمكن لذاتي ان تكون هكذا .
المرأة : (بسخرية قاسية) لا ، صدق .. انا هي (بحدة) ذاتك التي تكتب بها منذ شهر كامل .. ايها الكاتب الكبير .
الكاتب : وهل كنت أجمل من قبل .
المرأة : (بحزن) كنت في غاية الجمال ، حتى انهم يحسدونك علي .. استلهمت مني أجمل القصص وأعمقها .. سبرت في أغوار المجتمع ومشاكله ، كان فرحك فرحي وحزنك حزني (بحدة) ولكن الآن وبعدما فعلت بي ما فعلت ، أصبحت قبيحة الوجه .. مقرفة ، وها هي كتاباتك التي بدأت تنهار ، والفشل بدأ يلوح لك بيديه .
الكاتب : لا .. مستحيل . انا أفشل ، وانا الذي سهرت الليالي مع كلماتي كي أجعلها افضل ما تكون .. أنا .. أنا ..

(يعود الى الوراء ، ثم يستند على الطاولة واضعا رأسه بين يديه)

المرأة : نعم أنت . كنت جميلة حينما كنت تكتب بصدق واحساس عميقين ، والآن كما تراني قبيحة الوجه مثل كلماتك المبتذلة هذه (تشير الى الاوراق التي أمامه) وشخوصك التي صنعتها بفكرك ، ها هي متمردة عليك ... (بهدوء مفتعل) اعرف جيدا ان بطل قصتك رفض البطولة ، والبطلة رفضت ان تكون غانية ، وهذه الفتاة التي نفثت بوجهها سما من الكلمات هربت منك (لحظة) عالمك ليس كما كان من قبل .. أنت لا شيء الآن .. لقد انتهيت ... فشلت (بحدة) لقد فشلت .
الكاتب : (بحدة متعبة) لا .. لن افشل .
المرأة : الاعتراف صعب .. انا أعرف ذلك .
الكاتب : ولكنني لم افشل بعد .. ولن افشل (بحدة) هل تفهمين .
المرأة : وطبيعتك تغيرت .. اصبحت عصبيا ، لا بل احمقا. غضبت لانك عجزت ، كان عليك ان تكون صادقا كما كنت . في أحاسيسك وكلماتك . صادقا مع نفسك ومع الناس .
الكاتب : اذا ماذا أفعل كي اعود كما كنت ؟
المرأة : اكتب بصدق وبالشيء الذي تحسه وتعيشه وابتعد عن نزواتك وكلماتك المبتذلة .
الكاتب : وهل ستعودين جميلة .. اقصد كما كنت ؟.

المرأة : بالطبع سأعود جميلة (بدلع) حسناء يحسدونك علي .
الكاتب : وهل باستطاعتي ان أراك ؟
المرأة : نعم ستراني ، ولكن من خلال كلماتك .
الكاتب : اذا لن اتمتع بجمالك الذي ستكونين فيه.
المرأة : (تبتسم) يبدو انك عشقتني . لا ، اياك ايها الكاتب التائب . أنا ذاتك ومن يعشق ذاته يخسر
الكاتب : اذا ، انا الخاسر في كل شيء .
المرأة : لا .. بل انت الرابح في كل شيء .. انت كاتب ورسول فكر .. ألا يكفي هذا ؟
الكاتب : (مرتبكا) انك تعطينني فوق حقي .
المرأة : أنت اكبر من ذلك .
الكاتب : كفى أرجوك . أخاف الغرور .
المرأة : (باغراء) احب كل ما فيك .
الكاتب : انك توقظي في احساس جميل ، لم اشعر به من قبل .
المرأة : لا .. بل انك تعرفه جيدا (تبتسم) ولكنك نسيته .
الكاتب : والآن .. لم لا تعودي جميلة كما كنت ؟
المرأة : أما قلت لك ستراني من خلال كلماتك !!
الكاتب : اذا سأبدأ .

(يجلس خلف طاولته ويبدأ بالكتابة ، في حين تختفي المرأة ، وبعد لحظات يرفع رأسه ليحدثها ، فيجدها قد اختفت)

الكاتب : اين ذهبت .. اين ذهبت (لنفسه) لقد اختفت ، كان علي ان أودعها .

(يأتيه صوت المرأة من داخله)

المرأة : أنا هنا في داخلك .
الكاتب : ارجوك ان تخرجي .. أريد ان اراك .
المرأة : لا استطيع . انظر في كلماتك وستجدني ممزوجة فيها .

(يقرأ الكاتب ما كتبه ويبدو فرحا)

الكاتب : نعم صدقت ايتها الحبيبة ، انك اجمل ما رأيت ..

ها أنا اراك جميلة حسناء ، زاهية الالوان كقوس قزح سأكون كما أردت ان اكون ولن اخلف بالوعد .. سأكون وفيا صادقا باحساسي وحبي .. وسيكون قلمي هذا وفيا لك مدى الحياة .. نعم مدى الحياة.. مدى الحياة .

(يتابع الكتابة بفرح ونشاط)

ـ ستار ـ

حلب ١٠/٨٠

غازي حسين العلي

أغنية تتجول على أرصفة حلب

*

صباح الدين كريدي

مهداة الى سمير ومنى طحان

تحمل مبخرتك ، وتأتيان
في سحاب من دخان اللبان والصندل
تأتيان ..
وعلى بوابة العالم الفسيح
وفوق جميع اللغات
تصدح الاغنية ، وتصعدان
الى السحب القريبة والآفاق البعيدة ..

وفي الاصائل المحايدة
تعودان في خرقة المتصوفين
ممتلئين بنشوة كعطر البنفسج
وكلام كقوة الحياة تعبران القرن العشرين
الى القرون المجاورة
تفترشان العشب المزهر
تكلمان الغيوم العابرة ..
وتطير الاغنية عبر الازقة الضيقة
والشوارع المزدحمة في الجبال الوعرة
والسهول الضائعة
الى المنبوذين والمستوحدين والفقراء
مع القطعان وهي تتقدم نحو البراري
المعشبة والفجر الطري ..
للفتاة اليانعة
في غرفتها المضيئة ، وكتبها الجامعية .
مع الاطفال في مدارسهم وأقلامهم الملونة
يرسمون كلماتهم الجديدة ..
في ضجيج المعامل ودخانها المتصل ..
للارملة ، والشيخ الفاني ..
للتائهين على أرصفة المدن المبرقشة
ونزلاء المستشفيات ...
تحلق .. ثم تحلق على شواطىء المستقبل
ثم تعود الى المنازل المتباعدة
بالصدى والاريج ..
وانت يا سيدة كنز القناعة
يا شقيقة مريم وفاطمة هل تقرئين لسمير
في ليالي الشتاء الطويلة الروايات ،
وكتب حكمة الشرق ويونان ..
وفي أماسي الصيف الكريستالية
تتجولان في الحديقة العامة
تتريثان قليلا عند تمثال أبي فراس
ثم تعودان خفافا الى قصائد سعدي يوسف

والشيرازي ، وجلال الدين وابي العتاهية
وأدونيس ولؤي واللعبي ودنقل ..
لكن - أين تجدين يا منى القصائد السعيدة؟
هل تعدين لسمير التبولة والكبة النية
وفتة الرأس واللسان وورق العنب ..
لكن -
هل يتناول سمير المشتقات الحيوانية واللحوم؟
هل تنامان في وقت متقارب
أم تسهرين الى جانبه في هذا السكون
الانيس كتاب بين يديك
وعلى أهدابك تتقدم آفاق بعيدة ..
لكن -
هل يكشف سمير الغطاء عن جسمه ،
أو توقظه الاحلام الثقيلة فيجلس ليدخن،
ويكلمك عن الصباح القريب
والوطن المحاصر ، واسبانيا الاندلس
والمعضلات الكبيرة ..
لا يخجلنك يا منى
اتجاه شعوري الى المقدس
هكذا انا ، دائما ارتج بالدمع
أمام الحقائق المفاجئة
وامكاناتها المستحيلة ..
مركب بحري نشوان بشراع ممزق
ومجداف كسير ، في ظلمات الموج ..
يجالد العاصفة
ثم يخرج الى رمال نيسان الذهبية
ونسائمه المعطرة بأغصان الصنوبر ..
ينبوع يتدفق بين الصخور الموحشة
ينحدر قافزا كجدي جبلي ..
فيجعل الارض الموات
واحة خضراء وظلالا ناعمة
وطيورا ذات صدح بديع ..!!
ولكن - هل يكون العشق
دون التلاشي في المحبوب
دون أن تكون - الأنا - هي - الأنت -
و - الأنت - هي - الأنا -
وهما معا ، ضوء العالم وركنه الامين .!!
هل يكون العشق يا منى
دون أن يكون بحجم العالم فيحتويه
ثم يجعله تحت ابطه جريدة او كتابا ..
وهو يتسع ، ويغالي في العلو ..
أخاف كثيرا ، لا من الكراهية او الحقد
بل من شهوة تدمير شواهد الحب البازخة
لا أخشى السجون والمنافي
بل جفاف تلك الينابيع المباركة .
عليكما لتشرق الشمس دائما بالحب
وعندما تمطر السماء
فليكن مطرها حياة ورحمة
وعندما تسيران في شارع او طريق
فلتظللكما غيمة بيضاء
وعندما تأويان الى النوم
لتحرسكما كوكبات من جند الملائكة ..
العالم جميل ،
وفيه قامة سمير الفارعة
ووجهه القوي الوديع
العالم جميل ،
وفي رباه ووديانه الكثيرة
ترتع غزالته العاشقة ..

صباح الدين كريدي

١١-١١-١٩٨٠

ذبح الموت

عبد الفتاح قلعه جي

من الملحمة الشعرية « القيامة »

فوق السور الفاصل بين الجنة والنار
والرحمة باطنه والنقمة ظاهره
صفا .. صفا .. جاء الملك اقترب الجبار
أقبل جبريل الموت ككبش املح
يجذبه من قرنيه
التفت منادي الله يمينا نادى :
ـ يا أهل الجنـة
ـ لبيـك ربنـا
ـ هل تعرفون هذا ؟
ـ نعم ربنـا .. هذا الموت ...
التفت منادي الله يسارا نادى :
ـ يا أهل النار
ـ لبيك ربنا
ـ هل تعرفون هذا ؟
ـ نعم ربنا .. هذا الموت

● ● ●

انحر يا جبريل الموت اصدع بالامر
. . . .
. . . .
عزرائيل اضطربت قدماه
رفيق العمر ، الموت ، اليوم يموت
صديق الدرب الاسود يحضنه الفـوت
دمعت عيناه
وتمتم : يا للحزن الانساني الآبـد
يا للفرح الآمـد
حال الجوهر ، وتأبد
وانساق الموت الى الذبح

الموت العدم الموت الكون
الموت الحزن الموت الامل
الموت الغربة ، والمجهول ، الوحشة
الموت العـودة ، والمعلوم ، الانس
الموت النور ، الظلمة ، . . . . .
المرحلة الصعبة في شبق الصوفي
الموت دراما الجسد الانساني
الموت نهايات الاشياء
وبدايتهـا
. . . .
. . . .
اليوم يساق الى النحر
.... ! ! !
.... ؟ ؟ ؟
يا للفرح الانساني
يا للحزن الانساني
ما عادت للاشياء بدايـة
ما عادت للاشياء نهايـة
لم يبق سوى مد يعقبه المد
ووجود متصل الحد
والدرب الزمني الآبد منقطع الحدين
اليوم الموت المتعشق في الاجساد
يتلاشى في مهتشم الجوهر
. . . .
. . . .
كان خلاص المحزونين
كان عقاب المضطهدين
كان الفرح الاسمى للشهداء
كان رغيفا لجياع الفقراء
صديقـا كان ..
ولكن ما فاز بمرضاة الناس
. . . .

دمدم عزرائيل وهم بأن يتكلم
« لولا أن رأى برهان ربه »
ها ابليس زميل الامس اليوم غريـــق
العصيان الازلي
تمتم في الهدأة : حكمتك اللهم

• • •

وهوت سكين الخلد في نحر الموت
انسام دم أزرق حار ملأ الكون
سال على السور الفاصل بين الجنةوالنار
انتشر عـلى شفـة البشريـــة
يا للدبـق الموتي البارد
يخلد في عصب الزمن الانساني
ورك في أحشاء الكون الصمت
آزال ..
والشهقة في حنجرة البشر صلاة الخوف
حتى عصف نداء الحق :
ـ « يا أهل الجنة لا موت
ويا أهل النـار لا مـوت
كل خالـد فيما هو فيه »

• • •

رفع الموت الرأس المغرق بدم الموتى
وبقايا صور الامس
أجال البصر بحزن نظر الى التوأمين :
الجنـة والنـــار
أدرك قبل تلاشيه الكلي :
ان قد عاش عقيما
تمتم والكلمات المنكوبة :
تشرق بدماء الابهر وظلام الخلد الابدي:
يخيم في عينيه
أيـن طغـاة الارض ؟
أيـن ملوك الشـر ؟
أيـن الفكر الاعمى ؟
أين فراعنة الدنيا والدجالون ؟
« النار مثواهم »
حلمـا كانت الدنيا
انزعوا عنكم يا أمم الارض رداء الخوف
ادرعوا بالايمان اشتملوا بالتقوى
هزوا سيف القوة
صبو الثورة مهلا في أفـواه البغي
اتحدوا في الله
« الجنة مأواكم »
حلم هـذه الدنيا
...... هكذا قال الموت
...... حشرج
ثم هوى صمتا ابديا مهراق الانفاس

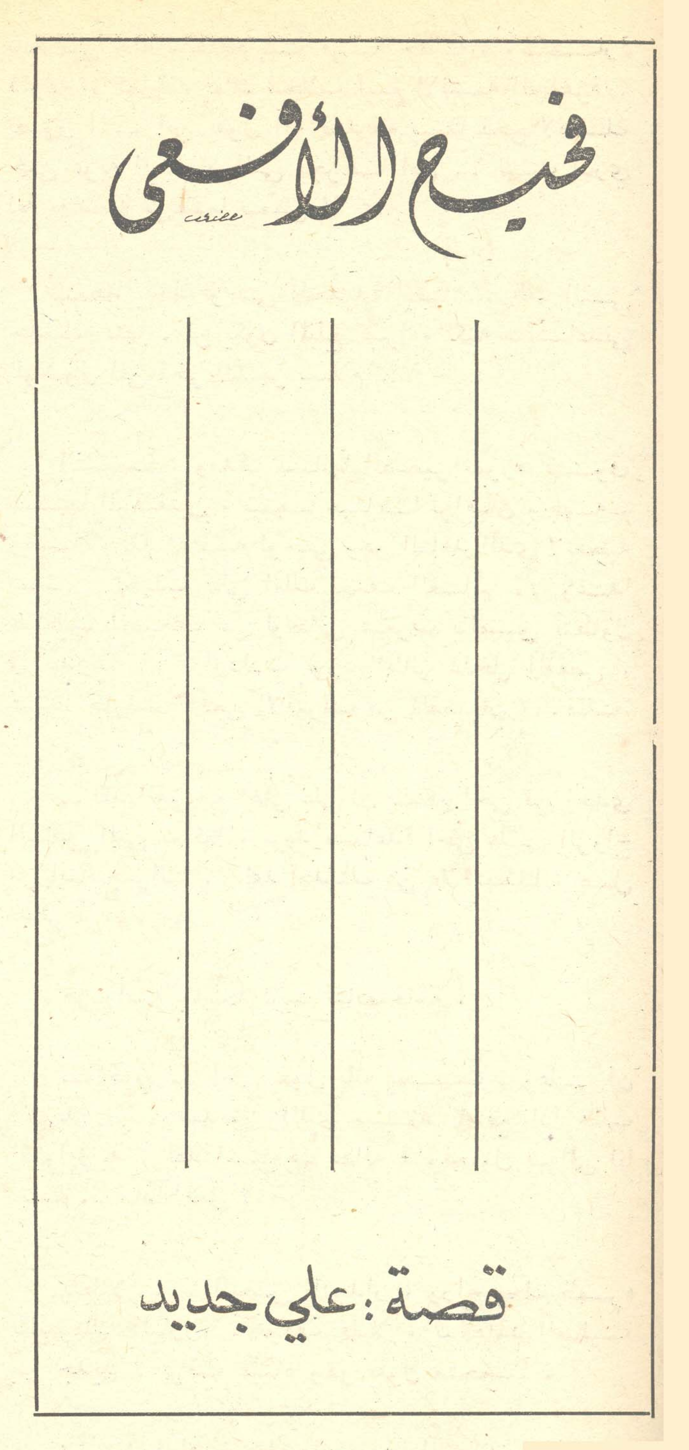
• • •

وتأبـد حزن الانسان
وتأبـد فـرح الانسان

• • •

غبش الصمت المسكوب على جسدالكون
سقى الصلصال الانسان : فرحا
وسقى الصلصال الانسان : ترحا
والاعناق مسمرة في اللحظة
آمادا تنتظر الصوت الاعـلى
تنتظر العودة للحركة
حتى انبثقت من حمأالدهشةاطراف الكلمة
وهنالـك ..
فوق السور الفاصل بين الظالم والمظلوم
جلجل صوت الحق :
« لا ظلم اليوم »
« لا ظلم اليوم »
« لا ظلم اليوم »

عبد الفتاح قلعه جي



« الحب جريمة تستلزم شريكا »

ـ بودلير ـ

أندلق الى داخل القبو القديم ، المظلم ، بعوده المنتصب النحيف ، وبيده لفافة صغيرة احتوت عشاء ليلته .. النور المتسلل عبر نصف زجاج النافذة المتبقي يظهر له الغرفة بصورة ألفتها عيناه منذ سنتين اثنتين .. رائحة الرطوبة تزداد حدتها في أنفه يوما بعد يوم ، ومحتوياتها تتشبع بالغبار العالق بها ..

ـ هل أقول وادعا ؟..

جاء صوتها هامسا بينما عيناها السوداوان كانتا تشرقان حزنا غير محدود .. شعر بالضيق يملأ صدره والدم يتجمع في رأسه .. لن ينساها أبدا ، وصوتها سيلاحقه أينما ذهب . رفع رأسه .. في زاوية السقف الداخلية تلمع خيوط عنكبوتية متدلية .. صاعدة ، هابطة معانقة أطراف النافذة في طريقها الى الزاوية اليمني العليا من سريره الذي فرشت عليه أوراق جرائد أعاد قراءتها عشرات المرات ، ومجلات فقدت أغلفتها وتمزقت معظم صفحاتها الداخلية .. من بين ركام الأوراق ـ على السرير ـ برزت وسادته الممزقة ، وقد تدلت منها خرق ملونة ، كان يتخذها حشوة مريحة تحمل ـ طوال الليل رأسه المرهق .

من عتمة الليل الهادىء ، عاد صوتها الرقيق يطارد حزنه ويزيد من حصاره :

ـ هل أقول وداعا ؟ ..

أشعل المصباح الزيتي ، امتد نوره متسلقا جدران الغرفة .. كانت صور المجلات ، واللوحات تخفي تحتها عيوب الجدار العتيق . في الركن المقابل للسرير اتكأت ، على الجدار ، منضدة قديمة وأمامها يرقد كرسي هرم مائل للخلف .. تهالك على الكرسي وراح يتأمل محتويات الغرفة بصمت عقيم . شلال حنان تدفق في أعماقه وهو يستعيد صوتها قائلة :

ـ هل أقول وداعا ؟ ..

ثمة شيء لم يعرف حقيقته ، بدأ يتململ في معدته معلنا له تأخر موعد العشاء مد يده الى اللفافة ، فتحها أخرج رغيفا وبقايا من لحم الضأن الملعب .. أفرغها في طبق صغير امامه ، وبسرعة راح يقذف كتل الطعام في جوفه محاولا اسكات ذلك المخلوق الكامن في أحشائه والذي يصر على طلب المزيد كلما أعطاه . انتهى من الأكل .. نهض واقفا ، تأمل العتمة في

الخارج .. من النافذة بدا الشارع بمحاذاة رأسه ، استطاع - بسهولة - أن يدرك سكون شارعهم الفرعي الضيق وظلمته . من بعيد كانت المدينة تشهد حياة بطيئة . أبواق السيارات تأتيه خفيفة هادئة ،عكس صخبها وضجيجها أثناء النهار . استدار للخلف ، واجهته لوحاته المتكئة على الجدار ، وقف قليلا ، ثم اتجه نحو المسرير .. ألقى بنفسه فوقه ليرتاح من عناء نهار شاق . تناهى الى سمعه صفير قطار يدخل المحطة القريبة من بيته .

عاد اليه صوتها قادما من لجة العتمة ، مخترقا دخان مصباحه الزيتي الصغير .. قالت :

- لكل شيء نهايته ، وأنا لاأستطيع أن أبقى معك هكذا .. لاخطوبة ولازواج .. الناس بدأت تحرك ألسنتها . طبعا أنت لايهمك لانك رجل ، أما أنا ..

تشاغل عنها بالنظر الى أطراف حذائه ، وقد كادت تبرز منها رؤوس أصابعه ..

قال : - يبدو انني والفشل توأمان في هذه الحياة !! ..

- ماتعني بقولك هذا ؟

- أعني أنني فاشل فقط .. وهل هناك غيرذلك؟

- لست أدري !! .. أهلي يضيقون علي ويريدون تزويجي . قل لي الى متى سنبقى على حالنا هذه ؟

- البارحة ، جاءني أحد النقاد ، ذلك الذي حدثتك عنه ، لقد اعجبته لوحاتي جدا حتى أنه دفع لي ثمن هذه اللوحة وقال أنه سيعود ليأخذها . هل أخبرتك بذلك ؟

اغرورقت عيناها بالدموع .. (طائر صغير بدأ يضرب القضبان بجناحه ، محاولا الافلات من القفص الضيق ، وأفعى سوداء تنزلق من فوق صخرة كبيرة باتجاه القفص) .

قالت :

- أبي يصر على تزويجي من صديقه .. يقول بأنه غني جدا ، عنده بيت فرشه حديثا ، وسيارة فارهة ، كما أنه يملك محلات لبيع الألبسة الجاهزة . تصور !! .. أبي يقول انه صديقه بينما نحن لانملك حتى عربة الخضار التي يجرها ابي .. لست ادري أية صداقة تربطهما ببعض !! ..

- قد يأخذ لوحتي الجديدة أيضا .. تلك التي حدثتك عنها . لن يكون المبلغ كبيرا ، لكنه سيساعدني للوصول الى آخر الشهر بسلام .

ابتسمت ، ومدت لسانها الصغير تمرره فوق شفيتها الرقيقتين ، بينما عيناها تراقبان وجهه ، وعينيه ، لقد أعجبته لوحتي وهو الناقد الذي لايعجبه شيئا . تخيلت بأني املك نصف العالم .. وغدا ستكتب الصحف عن لوحاتي شعرت بالضيق يتطاول في صدرها .. (ازدادت ثورة الطائر داخل القفص ، عندما حاولت الأفعى الاقتراب من القضبان) .. قالت:

- لقد اتفق مع أهلي على أن يسكن أخي في احدى الشقق التي يملكها ، يريد مساعدة أخي على الزواج من ابنة جيراننا .. لقد حدثتك عن علاقتهما ، هل تذكر ؟ .

هز رأسه ، بنما كانت تتابع قائلة :

- تخيل .. أخي يقول بأنه يحب ، وعلي أن اساعده .. وصديق والدي مستعد للدفع اذا قبلت الزواج به . لقد اشتراهم بماله ، ويحاول شرائي انا أيضا .. ماذا أفعل ؟

ببطء .... التصق بالجدار ، وراح يحك ظهره بالنتوءات البارزة . توقف قليلا ، ثم عاود العملية من جديد . برقت عيناه وهو يقول متحمسا :

- عندما اعرض لوحاتي في الصالات والمعارض سيتأكدون من مقدرتي على الابداع .. سيعرضون علي مبالغ لا أستطيع تقديرها .

تبخر حماسه ، وعاد صوته خافتا :

- حلم .. انه حلم ، الافضل لي لو يساعدونني على شراء كتبي .

مالت برأسها للاسفل ، تلمست السلسلة المحيطة برقبتها وراحت تلفها حول خنصرها الصغير ، قالت بنبرات تشع ألما :

ـ أبي سيودع عربة الخضار .. سيرتاح من عناء التجوال في الشوارع تحت وطأة شمس الصيف اللاهبة ، وسياط برد الشتاء .. سيتقاعد ابي اذا تزوجت صديقه .

تأمل سلسلتها « التفت الافعى حول القفص » .. تنهد طويلا ثم قال :

ـ ابي أرسل لي مائة ليرة .. يقول في رسالته انه لن يستطيع شيئا من أجلي بعد اليوم وعلي الاعتماد على نفسي . ويخبرني بأنه باع البقرة الوحيدة التي نملك ، وتزوج أرملة جديدة . قال في رسالته انها فقيرة وليس لها من يعولها في القرية كلها . يا له من شهم !!. يحكم على أمي واخواتي بالفقر ، والقهر ، ويغتال مستقبلي كي ينقذ امرأة ـ اشتهاها ـ من وحدتها .

(ابتعدت الافعى عن القفص .. والطائر يرتجف خوفا قرب القضبان) أرادت منه ردا قاطعا :

ـ وماذا ستفعل الآن ؟

ـ سأبحث عن عمل .. قد أجد مطعما او فندقا يرضى صاحبه أن اعمل عنده نصف دوام ، فأنا لا اريد ان اترك الجامعة .. سأثبت لابي بأني استطيع الوصول بلا مساعدته .

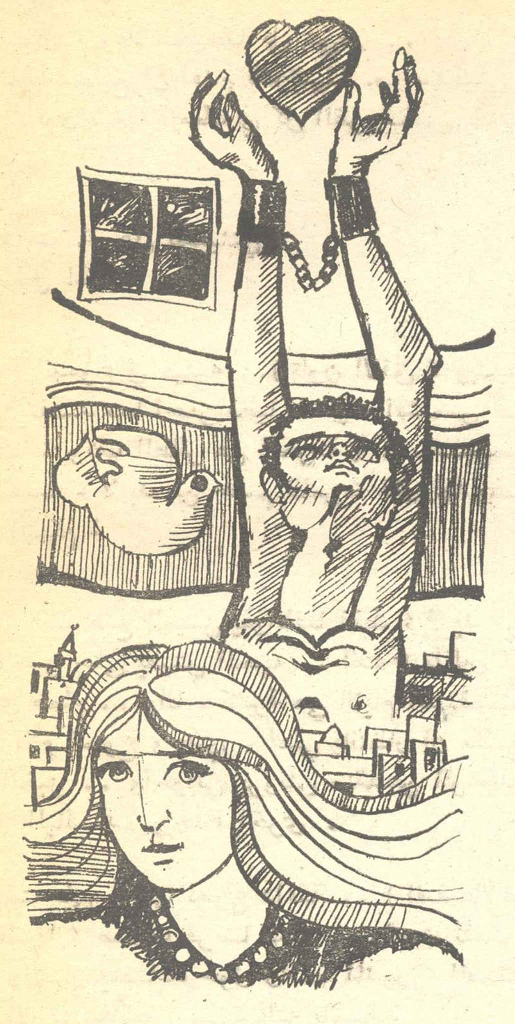
ـ وأهلي ؟!.
ـ ما بهم ؟

ـ يريدون تزويجي من رجل يكبر أبي بسنين .. يريدون قتل حبنا ، اما سمعت ،

ـ لقد أوضحت لك ظروفي .

ـ ايه ظروف تبيح لك ان تغدر بي ؟. انتم معشر الرجال !!.

ـ أنا لم اغدر بك ، شرحت لك كل شيء ..



مستقبلي ، وأخواتي .. لن اتركهن لعبة بيد والدي. قد يكون هو ايضا يخطط لزواجهن من أصدقائه الاغنياء . انه الآن بحاجة للمال كي يحقق رغبات زوجته الجديدة لقد باعني أولا ، ولا بد انه يعمل الآن على بيع بناته .

ـ تقدم أنت لخطبتي ، وسأعمل جاهدة على اقناع أهلي .. سأحملهم على الموافقة ، فأنا ابنتهم ولن يبخلوا علي بسعادتي .

(تحركت الافعى من جديد .. وعادت اجنحة الطائر تضرب القضبان) .. قال لها :

ـ وماذا أقول لاهلك ؟ هل اقول لهم اعطوني ابنتكم لتشاركني واخواتي الجوع ، والبرد والمرض ؟

مدت يدا دافئة ، وضعتها فوق يده ، وراحت تتحسسها برفق .. (اشرأبت الافعى .. أدخلت رأسها

بين القضبان ، وعلا فحيحها كل شيء) .. قال :
ـ لن استطيع ان اقدم لك شيئا .. صدقيني
ـ سأكون سعيدة معك في كل الظروف .. يكفيني أنك تحبني .

ـ وانت .. هل تحبينني ؟.
ـ أجل !!.

قاوم الدموع في عينيه .. (تلون الافق ، وبدا الغروب يتفصد دما أحمر قانيا . غابت الشمس في قعر مظلم ، وكف الطائر عن الحركة) .. استجمع شتات نفسه ، لا بد من حسم الامر ، قال لها وهو يتصنع التهكم :

ـ لن نستطيع العيش بعواطفنا فقط ، لا بد من وجود الخبز حتى يعيش الحب .. أنت ، تأكلين عند اهلك اي طعام .. وانا ، كثيرة هي الايام التي قضيتها مقاسيا آلام الجوع وحدي . أهلي بانتظار ان يشبعوا رغيف الخبز .. وأخواتي يرونني منقذهن الوحيد ، لن أزيد البائسات واحدة اخرى .

سالت على خديها دموع دافئة .. (التفت الافعى حول نفسها ، صارت قرصا كبيرا ، وراحت تنفث في الارض والغبار يتصاعد حول رأسها المدور ، الصغير . خبطت الارض بذيلها) .. سألته يائسة :

ـ ماذا يريد الاهل منا ؟

ـ انا ، يريدونني ان اكمل تعليمي ... (فحيح الافعى) وهم يتخلون لي عن نصيبهم في كل شيء . (فحيح الافعى) نجاحي يدغدغ آمالهم (فحيح الافعى) أنا أملهم الوحيد (فحيح الافعى) سأعوض لهم (فحيح الافعى) انهم يقاسون من اجلي (فحيح الافعى) ابحثي عن رجل يناسبك (فحيح الافعى) ابحثي عن رجل يستحقك (فحيح الافعى) اريحي نفسك (فحيح الافعى) أريحي اهلك (فحيح الافعى) انت املهم الوحيد ايضا (فحيح الافعى) لا .. لا تستمعي اليهم (فحيح الافعى) انهم يتاجرون بك (فحيح الافعى) انني أحبك .. احبك (فحيح الافعى) حاولت (فحيح الافعى) لم أستطيع الاحتفاظ بك (فحيح الافعى) . ألم اقل لك بأني فاشل (.....)

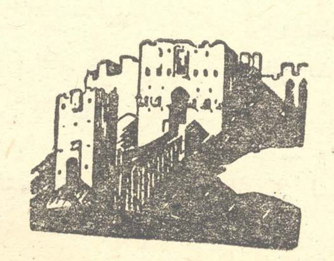
ـ هل أقول وداعا ؟.

ـ ....

مدت له يدها وهي ترتجف بردا وخيبة . (عادت الافعى الى هدوئها منسلة في فتحة معتمة) .. امسك يدا باردة كالموت . برفق سحبتها من بين يديه .. ادارت له ظهرها ، وابتعدت بخطوات بطيئة ... توقفت .. التفتت نحوه ، احس بنظراتها تخترق صدره نظر الى اطراف حذائه من جديد . تابعت سيرها بخطوات اسرع ، رفع رأسه يتأملها تململ الطائر في القفص غابت عن انظاره . وضعت الافعى رأسها تحت حجر كبير ، وغابت في رقاد ابدي . أفلت الطائر من قفصه ، حلق فرحا في الفضاء مخلفا وراءه باب القفص مفتوحا .

صفر القطار معلنا متابعة رحيله نحو محطة بعيدة .. نهض الى منضدته المقبلة ، فتح كتابه .. وتابع ـ بدوره ـ الرحيل نجو محطته المبتغاة مصمما على الوصول اليها ، وحيدا ، دون مساعدة احد .

● علي جديد ●



اعتذار في غير محلّه

حسام الدين كردي

الى « و ـ ن »

لن تجدي لرمحك المغروس من مبرر

لا بأس ..

لا تعتذري

لا تظهري الحزن ..

لا تبكي ..

ولا تنفجري

لا تعقدي جبينك المضيء من توهجي

لا تكحلي عينيك بالهموم .. والتحير

تجللك العيون ان تراك مثل البشر

تغالبين دمعة

شجية التحدر

أو تحبس زفرة مجبولة بالعبر

لا بأس ..

لا تعتذري

أعرف اني بائس

وان هذا قدري .

لا توجعي رأسي بالاعذار

لا تثرثري حسبك من تمزقي

حسبك من تقهقري

ماذا ستجدي كل أسبابك مني تسعري

أعرف ان الحب في عرقك وهم ساذج

وأن قلبك الصغير مثقل بالحفر

وان في عينيك بؤرتين للتوتر

وأنني في سفرك الطويل سطرا مهتري

أعرف اني غير قادر على التكور

أعرف اني فاشل في الرقص فوق الابر

خليك في تصوري

سحابة من الشذى لم تمطر

او فكرة .. في خلجات شاعر الم تخطر

خليك حلما رائع الغموض ثر الصور

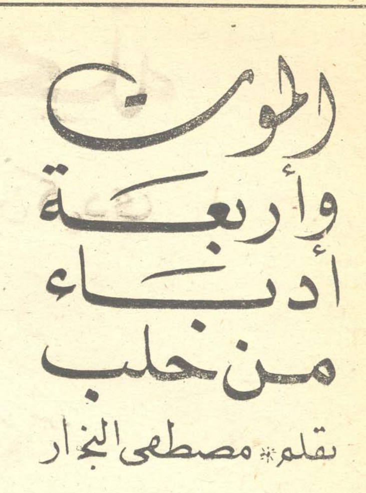
لا تفسدي الموقف بالتمثيل والتنكر

لن تجدي لرمحك المغروس من مبرر

أعرف اني بائس

وان هذا قدري .

حسام الدين كردي



هي شذرات ذكريات ألملمتها خصيصا لعدد حلب من الثقافة ولقرائها قد تكون وهي تخرج من الذاكرة والصفحات المطبوعة شيئا ما على هامش الادب والحياة الراهنة وقد مر عليها دولاب السنين ، أو هي في الصميم من الحياة الادبية المتشابكة ومخط انطلاق الى حياة غنية بالافضل والانفع والاسمى .

الادباء والموت :

أن يموت الانسان معناه ان تنطوي حياته مع النسيان بمرور الايام والاعوام ، وشيئا فشيئا يندمل جرح من فجع به ويسلوا القلب الاحباب وشيئا فشيئا يتحول الموت الى ذكرى ، تتجدد يوم تقع عين على أشيائه ، صورته مثلا ، ويوم يسمع صوته مسجلا ..

فكيف اذا كان الراحل اديبا أو شاعرا ترك من بعده آثارا تدل عليه ،وتنبه الآخرين اذا انقلبوا ذات يوم الى تناسيه ، واعمالا ادبية ذات نفع تبرز من خلالها اعرائس الجمال والفضيلة وكل ما هو جديد وأصيل ! حينذاك يتحول الموت الى حياة متدفقة وسعيدة رغم ما عاناه اديب ما من ميتات كثيرة وباهظة قبل موته .

أدباء راحلون من حلب

أردت حين يخرج عدد الثقافة الى النور وهو يحمل الوجه الادبي ملمحا ملمحا أن لا تغيب وجوه أدبية رحلت عن الحياة الصلدة والهشة كان لها ذات يوم حضورا وفاعلية في تكوين ملامح الوجه الادبي في حلب بله في سورية والوطن العربي .. هاهي كوكبة من أدباء حلب لها تحتفل الذاكرة :

علي الناصر رائدا منسيا للشعر الحر

تحت هذا العنوان كانت لي كلمة منشورة في عدد شهر شباط لعام ١٩٧٢ من مجلة الاديب اللبنانية جاء فيها : كثيرون ممن يهتمون بالحركة الشعرية في العالم العربي يجهلون دور هذا الشاعر التجديدي المبكر الذي يعود الى ما قبل ١٩٤٧ بسنوات كثيرة ومن يطالع ديوانه (الظمأ) يلمس هذا البعد التجديدي ..

فلماذا ظل مغبونا الى هذا الوقت المتأخر ؟

اني كلما مررت من شارع « التلل » ألمح لوحة ما تزال مثبتة في باب عيادته تحمل اسمه فأحس بالالم وأتذكر ذلك اللقاء القصير وكم كنت اتمنى لو يمتد ويطول وأنا اتأمل تجاعيد وجهه وهي تحكي قصة العذاب والمعاناة والمرارة وكان الشيب يروي قصة الموت الذي يزحف رويدا رويدا .

مات الدكتور الشاعر في عيادته ميتة مفجعة نعم مات .. فهل ذكره الشعراء بعد رحيله الابدي ؟.

وأضيف الآن الى هذه الكلمة بعض حروف جديدة :

ان اهتمام د . أحمد بسام ساعي في كتابه « حركة الشعر في سورية من خلال اعلامه » بالشاعر علي الناصر كواحد له سبق الريادة للشعر الحر ألمح صدري ، بعد كل الاهمال السابق الذي حدا بواحد وهو الآن ممثل معروف في سورية على نشر قصيدة سرق فيها أبياتا للشاعر الناصر في مجلة الناقد الدمشقية التي كانت تصدر وذلك بتاريخ ١٩٦٢ يقول فيها :

اذا مت فارموا جانب الحقل جثتي
للضواري وللطيور الكواسر
فلست أرجى في حمى القبر راحة
ولا أنا مفراح لزورة زائر
كفاني فقد كفنت في ميعة الصبا
غرامي وآمالي وغر خواطري

ولا أكون مغاليا اذا قلت : بأن البحث في عالم الشاعر صعب وشائك فآثاره المطبوعة نفدت والمخطوطة مفقودة .. بين شعر ونثر فني رائع ولدى الشاعر قصة على مستوى من النضج الفني بعنوان : البلدة المسحورة وهي تدعو الباحثين في تاريخ القصة السورية ان ينظروا لها بالاعتبار من جديد .. على كل حال ما زال الوقت متاحا لدراسة هذا الشاعر والثائر من جديد !؟

خير الدين الاسدي

بعد وفاته بمدة وجيزة كتب أحدهم : منذ ايام توفي اديب سوري معروف وفي نفسه هموم كثيرة من « ليس » .. فما هي الفائدة في ان نعرف الكثير الكثير عن ذلك الحرف المشبه بالفعل في عصر يتحتم علينا فيه ان نسهم بالاجابة على أسرار الكون وألغازه وكم سيكون من دواعي الاعتزاز لنا جميعا أن ينتهي عمر الباحثين عندنا وفي نفوسهم هموم وأشياء من اختراع جهاز علمي بدلا من هموم « حتى وليس » !

كتبت ردا على الكاتب الكريم وتم نشره في زاوية شكاوى الجماهير في احدى صحف العاصمة بتاريخ ١ شباط ١٩٧٢ وباسم المواطن مصطفى احمد النجار وجاء فيها :

شعورنا الدائم بالنقص كأمة امام امم اخرى تقدمت في العلم والتكنيك يجعلنا نقف أمام المرآة فنتهم أمتنا بالتخلف والبدائية . ونحن نردد : لقد سبقتنا الامم بالصعود الى القمر ونحن ما زلنا في مكاننا نراوح منذ سنين ، انه الشعور المتقد في دمغة الشباب الذي يدفع بعضهم للطعن برجال عاشوا نراوح منذ سنين ، انه الشعور المتقد في أدمغة هل لاننا نعاني شعورا بالنقص يحق لنا ان نلغي كل بحث وتنقيب في اللغة العربية فكما ان للباحث العلمي مخابره وتحليلاته واكتشافه فان للغوي بحثه وفنه ولكل مضماره واختصاصه .

لماذا أغفلت اسم الاديب السوري المعروف ، اريد ان اقول ان هذا الاديب هو الاديب والعالم الاثري والمؤرخ خير الدين الاسدي مات منذ اسابيع ميتة الغرباء في حلب ، في دار العجزة مكبا على موسوعته ينقحها ، اذ رصد فيها كل كلمة ومثل واغنية واحصى وكتب على كل حجر من هذه الارض . كما ان له في ربيع عمره نشاط ملموس في الحركة المسرحية .. والكل يذكر كيف انقلب المشهد الذي يقوم به من تمثيل الى حقيقة مروعة عندما اقتطع « الديناميت » يده فظل يكتب باليد الاخرى آلاف وآلاف الصفحات .

والآن اقول : ان الاسدي صاحب مجموعة هامة من الكتب (يا ليل واغاني القبة وتاريخ حلب وغيرها) يدعوكم للبحث والدراسة فيما ترك من كتب مطبوعة ومخطوطة .. وان كتاب عبد الفتاح رواس قلعه جي عن خير الدين الاسدي بداية قوية في هذا المضمار النبيل .

ويشاء القدر مثلما دافعت عن الاسدي وتراب قبره المجهول ما زال نديا ان اشهد مكتبته النادرة وأشهد تحفه الكثيرة والنادرة تباع قطعة قطعة بعد وفاته على يد ورثته بعد ان عاش الثمانين عاما عيشة الرهبان .

سامي الكيالي

الملقب بأديب الشهباء ، وصاحب مجلة « الحديث » الذائعة الصيت على مدى ثلاثين عاما ونيف والذي توفي مساء الخميس في ١٧-٢-١٩٧٢ على أثر مرض عانى من آلامه عدة اشهر لي معه ذكرى محببة الى نفسي ، فقد صادف صدور مجموعتي الشعرية الاولى « شحارير بيضاء » ١٩٦٣ مع صدور كتاب له بعنوان : خمر وشعر عن دار الرائد بحلب فكان لي حظ اقتران اسمي - وانا طالب على مقعد الدرس - مع اسم اديب كبير في جميع ما نشر - آنذاك - عن الكتابين في الصحف والمجلات ومنها الثقافة الشهرية يوم كانت ملتقى كثير من الادباء والشعراء السوريين !؟ ولم تزل .

وفي عام ١٩٦٥ نشر لقاء أجريته معه على صفحات مجلة الورود اللبنانية وتجديدا للذكرى اورد بعضا منه :

سألته : ما هي وجهة نظركم في ادبنا العربي الحديث ومدى تفاؤلكم في مستقبله ؟ أجاب : ادبنا العربي الحديث يخطو خطوات مذهلة ، فمنذ نهاية الانحطاط الى يومنا هذا والادب العربي في تطور مستمر ولا سيما الذي انتجه الادباء في الفترة المنطوية بين الحربين العالميتين وهو اليوم ذاتي وموضوعي في

آن واحد وفي ذاتيته وموضوعيته يعبر تعبيرا صادقا عن وثبة الامة في شتى مجالاتها .

سألته : حلب الشهباء دائما ادباؤها متهمون بالجمود والركود فما قولكم ؟ وهل هناك جمود ؟ وما هي السبل الناجعة لتلافيه ؟

أجاب : لا جمود ولا ركود عند أدباء الشهباء ووصفهم بالانطواء أصدق ، وفي حلب ادباء وشعراء وكتاب قصة وباحثون وخزاناتهم مليئة بالاسفار المطوية ومن المؤسف ان تخلو الشهباء من دار نشر تأخذ على عاتقها طبع هذه الذخائر وانا واثق انها لن تخسر اذا استطاعت ان تسير على أسلوب معتدل يعطي للمؤلف حقه دون ان يفرط الناشر برأسماله الذي يعود عليه بالكثير من الارباح والمجال واسع لاستثمار هذه الناحية البكر .

سألته : نصيحتكم للادباء الناشئين ؟

أجاب سامي الكيالي : ان يقرأوا وان يتزودوامن أدبنا القديم ، دون ان يصرفهم هذا عن ادب المعاصرين ولا سيما العمالقة الذين زودوا ادبنا المعاصر بدراساتهم وانتاجهم وكتبهم في شتى نواحي المعرفة فنقلوا لنا الكثير من تراث العرب دون ان يهملوا ادب العرب في شتى عصوره فأصبح لدى الناشئين موارد عذبة تروي ظمأهم وتعدهم لان يصبحوا ادباءمبرزين شريطة ان لا تنقصم الموهبة وان لا يستبد بهم الغرور بل ان يستكملوا عدتهم من الثقافة .

أقول الآن : اين الشباب الادباء من هذه النصيحة في يومنا هذا ؟!

خليل هنداوي

وعلى صفحات « الورود » اياها عدد تشرين الثاني لعام ١٩٦٥ كان لي مع الاديب خليل هنداوي لقاء شاء الهنداوي ان يكون قصيرا موجزا ، اذكر لما التقيته في مقهى « السندباد » الحلبي وهو مقهاه المفضل لجلوسه واني لاعجب كيف كان يكتب انتاجه والضوضاء في المقهى على أشده ، وعدني بالاجابة على أسئلة مكتوبة وبشرط الاطلاع على عدد من هذه المجلة .

جاء في هذا اللقاء : منذ زمن من فكرتم بانشاء مجلة ادبية ما رأيكم الآن في هذا المشروع ؟

أجاب : المجلة الادبية مادة وروح وكلا الامرين تحتاج اليهما ولا سيما في هذا العصر الذي تتنافس فيه المجلات ، فأنت اذا وجدت المادة — وقلما تجدها — لا تجد الروح ! واذا وجدت الروح لا تجد المادة !.

سألته : ما رأيكم بالنقد الادبي ؟

قال : النقد مأزق حرج اذا تساهلت قالوا : محاباة واذا قسوت قالوا : معاداة ويصح فيه قول المعري :

اذا قلت المحال رفعت صوتي
وان قلت اليقين أطلت همي !

سألته : هل انتم متفائلون بمستقبل ادبنا المعاصر ؟

قال : لم أتشاءم قط في حياتي ولكن حقل الورود لا يزال ينتظر الربيع البعيد !

نعم سيبقى الحديث عن هؤلاء واجبا ادبيا نضيف به الى المكتبة العربية تراثا جديدا ، فيعرف القارىء على امتداد الوطن الكبير من هم هؤلاء الرجال ؟

وان شهرة اديب من وزن خليل هنداوي لا تمنع الباحث في التعامل مع تراثه الادبي تعامل الند للند فبذلك يكتسب الادب بريقه الحقيقي .

وهل يصح ان يكون مثل الشاعر علي الناصر ومثل خير الدين الاسدي مجهولين لدى من يهتم بالشعر والتراث الشعبي من أبناء الوطن العربي ؟

وأما الحديث عن مجلة « الحديث » التي كان يصدرها سامي الكيالي فذو شؤون وشجون ؟

هي تراث في الصحافة الادبية السورية بله العربية تحتاج الى باحثين جادين يستنبطون منها الكثير الكثير ويقولون فيها ما تستحق سلبا او ايجابا !

نعم سيبقى الحديث عن الراحلين لا يقل خطورة في الحديث عن أدباء هم قيد الحياة ، يعانون الموت والصمت والولادات الجديدة .

أردت ان يكون هذا الحديث تجديدا للذكرى ، ذكرى الادباء الراحلين لي ولغيري وانا أردد ما قاله د . زكي مبارك :

ان النصر سيكون حليف الذين يصلون الليل بالنهار بالليل في تثقيف عقولهم .

● مصطفى النجار ●

أعلام راحلون

د. محمد صبري الاشتر

١٩٢١ - ١٩٧٦

نشأ في حلب ، وبعد نيله الشهادة الثانوية أوفد الى مصر للدراسة في كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٤٢ - ١٩٤٦) وعاد بعد ذلك مدرسا للادب العربي في بعض محافظات القطر ولا سيما حلب ، ثم أوفد ثانية الى القاهرة حيث حصل على الماجستير (١٩٥٨) في موضوع « الشعر في سورية بين الحربين » وبعد عودته عين مفتشا للغة العربية في المنطقة الثانية (حلب وتوابعها) وفي خلال ذلك كان يحضر للدكتوراه حتى حازها من كلية الآداب بجامعة عين شمس سنة (١٩٦٦) وفي هذه السنة أسست كلية اللغات (الآداب) بجامعة حلب فنقل اليها ، وتسلم عمادتها فرئاسة قسم اللغة العربية فيها ، ودرس خلال ذلك في مختلف الصفوف . وربى طلابه على تذوق الادب الرفيع ، والتلذذ بتحليل روائع النصوص .

كان موته خسارة كبيرة ، وفجيعة للعلم والادب والخلق القويم . وقد اطلق اسمه على احدى قاعات التدريس في كلية الآداب بحلب ، تقديرا لاعماله ومناقبه .

له خمسة كتب جامعية ، اختار فيها نصوصا وافرة من ادبنا القديم ودرس طائفة منها دراسة نموذجية تنم عى ذوق مرهف ونظرات فنية ونقدية ناضجة ، وفي مقدمتها كتابه الضخم عن (المعلقات) . كما اشترك في تأليف بعض الكتب المدرسية لطلاب المدارس الثانوية ودور المعلمين والمعلمات . وكل ذلك يمد الدارسين بزاد خصب يأخذ بيدهم حين يتصدون لدراسة تراثنا الشعري والنثري ، ويترك في النفوس افضل الاثر واطيب الذكرى .

سامي الكيالي

● ولد الاديب سامي الكيالي في مدينة حلب عام ١٨٩٨

● درس في المدرسة السلطانية (التجهيز)
● هوايته الادب ودراسة التاريخ والرحلات .
● عمل في الادارة فكان امين سر عام لبلدية حلب مدة خمسة وعشرين عاما ومفتشا اداريا عاما لبلديات المنطقة الشمالية ، ومديرا لدار الكتب الوطنية ، ومديرا للمركز الثقافي العربي بحلب .

● شغل منصب مستشار ثقافي للوفد السوري في الاونسكو .

● كان عضوا في اللجنة الثقافية التابعة للجامعة العربية ، ومحاضرا في معهد الدراسات العربية العليا في مصر ، وعضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مصر وسورية ، وعضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة .

● اصدر مجلة « الحديث » عام ١٩٢٧ وبقيت حتى عام ١٩٦٠ ، كانت مرآة للحياة الفكرية المتجددة خلال هذه الفترة . كان كتابها من اعلام رجال الفكر والتجديد ، في طليعتهم الدكتور طه حسين ، الدكتور محمد حسين هيكل ، اسماعيل مظهر ، مصطفى عبد الرزاق ، محمود عزمي ، محمود تيمور ، توفيق الحكيم ، الشاعر علي محمود طه ، والشاعر الدكتور ابراهيم ناجي ، كما كان من كتابها في سورية محمد كرد علي ، شفيق جبري ، خليل مردم ، عمر ابو ريشة ، خليل هنداوي ، وامين الريحاني وكرم ملحم كرم .

● ومؤلفاته : نظرات في التاريخ والنقد والادب ، شهر في اوروبا ، سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، ابو العلاء ، الفكر العربي بـين ماضيه وحاضره ، الراحلون ، انواع واضواء (قصص) المرأة هذا اللغز الابدي ، من أضواء الماضي ، مع طه حسين ، بنت يزيد من الادب المعاصر ، صراع في سبيل القومية العربية ، يوميات عربي في اميركا ، ولي الدين يكن ، الحركـة الادبية في حلب ، الادب العربي المعاصر في سـورية ، أمين الريحاني ، النفس الانسانية في أدب الجاحظ ، خمر وشعر ، في الربوع الاندلسية ، من خيوط الحياة ، الحكيم شهاب الدين السهروردي ، وهناك مئـات المقالات والقصص والاحاديث ، نشرت في المجـلات والصحف العربية .

● توفي مساء الخميس ١٧-٢-١٩٧٢ على اثـر مرض عانى من آلامه عدة أشهر .

محمد سامي الدهان

١٩١٢ – ١٩٧١ م

ولد في حلب ، ودرس في الكتّاب ثم في المـدارس الرسمية . وتابع دراسته العليا في جامعة السـوربون بباريس حتى نال الليانس في الآداب ، ثم عاد الـى وطنه مستعدا لتحضير الدكتوراه حتى حصل عليها سنة ١٩٤٦ في تحقيق ديوان أبي فراس الحمداني .

طاف كثيرا من البلدان العربية والاوروبية ، والتقى بالعديد من الادباء والمستشرقين ، وشارك في عـدة مؤتمرات ادبية ، وكان جم النشاط ، واسع الثقافة محبا للتجديد المتزن .

نشر كثيرا من الابحاث والدراسات والمقالات فـي مختلف الصحف والمجلات ، وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق . وانصرف في أواخر حياته الى القراءة والانتاج في عمل متواصل مضن ، بعيدا عـن المجتمع والناس ، حتى وافاه أجله ولما يستوف الستين مـن عمره .

وقد أغنى المكتبة العربية بالعديد من الآثـار تأليفا وتحقيقا مثل : قدماء ومعاصرون ، درب الشوك محمد كرد علي ، شاعر الشعب ، الشعراء الاعلام ، الاعلاق الخطيرة لابن شداد ، التحف والهدايا للخالدين ديوان مسلم بن الوليد .

صباح محي الدين

● من مواليد حلب عام ١٩٢٥

● حائز على دكتوراه في الادب الفرنسي مـن جامعة السوربون ، وعلى ليسانس في الادب الانكليزي من جامعة لندن .

● عمل موظفا وصحفيا واذاعيا ، في حلب وبيروت وباريس ولندن والكويت .

● كتبه المطبوعة : السمفونية الناقصة (قصص) بنت الجيران (قصص) خمر الشباب (قصة مطولة) العائد (قصص) فولتير (ترجمة) .

● لقي مصرعه في الكويت يوم الثاني عشر مـن حزيران ١٩٦٢

خليل هنداوي

● من مواليد صيدا بلبنان عام ١٩٠٦

● مؤهلاته الموهبة والجهد الشخصي .

● مدرس الادب العربي في الثانويات الرسمية ، وشغل منصب مدير المركز الثقافي العـربي بحلب ، ورئيس فرع اتحاد الكتاب في حلب .

● من كتبه : الحب الاول ، ارم ذات العماد ، دمعة صلاح الدين (مجموعات قصصية) ، سـارق النار ، هاروت وماروت ، زهرة البركان (مسرحيات ومن كتبه المعدة للنشر : الملاك المنحدر (قصص) ، وجوه عربية ، الرماد المحترق ، مدينـة الجيـاع (مسرحيات) .

● توفي عام ١٩٧٦

على الناصر

● لقي مصرعه ظهر يوم الاثنين من شهر حزيران لعام ١٩٧٠ تهاوت ثمانون سنة فجأة وطوت حيـاة الشاعر رصاصة لم يعرف مطلقها .

● قال عنه امين الريحاني : غريزة بدوية في عقلية علمية في روح مدنية هو ذا عـلي الناصر الشاعر و (الطبيب) .

● اته دراسته للطب في جامعة (استامبول) .

● في مطلع شبابه كان ينشر قصائده في مجـلة (الحديث) الحلبية .

● منزويا منكبا على عذابات النفس وطموحاتها . ترى لماذا هذا العبوس والانزواء ؟ لقد قـال فيـه الدكتور عبد السلام العجيلي « ان في عبوس الدكتور علي الناصر وسخريته المرة من الناس والحيـاة ، وسخريته من نفسه ، ما يذكرنا بأبي العلاء المعري » .

● كتبه المطبوعة : (الظمأ) ديوان صدر عام ١٩٣١
(قصة قلب) ١٩٢٨
(وهـذا انا) ١٩٦١
(اثنان في واحد) ١٩٦٨
كتبه النثرية (البلدة المسحورة) قصة ١٩٣٥
(ومن الدموع) ١٩٥٤
كتبه المخطوطة : (قصـة الكون الثانـي (الاغوار) والمكان الاخير وقصة ايام .

جورج سالم

● مواليد ١٩٣٣

● المؤهلات : تلقى علومه الجامية في جامعة دمشق اجازة في اللغة العربية وآدابها ١٩٥٥ ودبلوم التربية ١٩٥٦

● الوظائف :

● قام بالتدريس في ثانويات حلب ودار المعلمين منذ عام ١٩٥٧

● ندب للعمل في المركز الثقافي بحلب (١٩٥٩ — ١٩٦٣) امينا للمكتبة ومعاونا للمدير ومديرا .

● ندب للعمل في فرع اتحاد الكتاب العرب بحلب كأمين للسر منذ العام ١٩٧١ وحتى وفاته .

● مؤلفاته المطبوعة : رواية (في المنفى) ومجموعات قصص (فقراء الناس ، الرحيل ، حوار الصم ، حكاية الظمأ القديم ، عـزف منفرد على الكمان) ودراسات ادبية (على هامش الادب العربي ، دراسات في الادب ، المغامرة الروائية) .

● مترجماته عن الفرنسية : احد عشر كتابا ، من أهمها تاريخ الرواية الحديثة لالبيريس .

● تاريخ وفاته : ٥ ايلول ١٩٧٦

العلامة : خيرالدين الاسدي

● ولد عام ١٩٠٠ في حـي الجلوم بمدينـة حلب وتوفي عام ١٩٧١

● عكف على البحث اللغوي ، وقام من اجل بحوثه هذه بعدة اسفار الى اوربا والبلاد العربية وايران .

● اخرج للمدرسة الفاروقية عام ١٩٢٣ (مسرحية الاستقلال) واثناء العرض انفجرت في يده كمية مـن البارود ففقد يده اليسرى .

● أصيب بالمرض في آخر عمره ونقل الـى دار العجزة حيث توفي هناك ودفن في مقبرة الصالحين ولم يحضر موكب الدفن احد .

● **من مؤلفاته المطبوعة :**

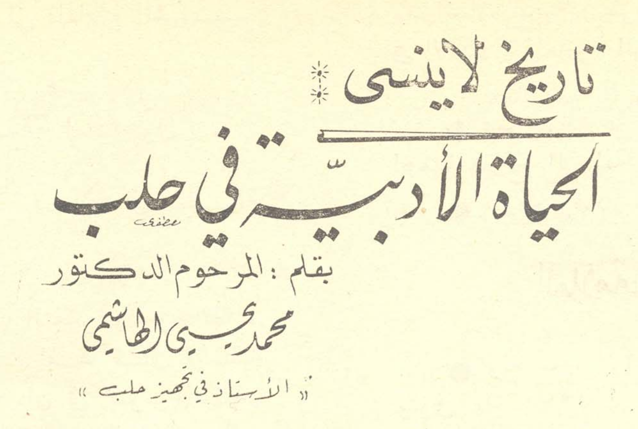
— حلب الجانب اللغوي من الكلمة
— أغاني القبة
— يا ليـل
— البيـان والبـديع
— قواعـد الكتابة العربيـة
— عروج ابي العلاء « ترجمة »

● **من مخطوطاته :**

١ — الله
٢ — ايس وليس
٣ — الموسوعة في النحو
٤ — كتاب الالف
٥ — موسوعة حلب المقارنة

وله مقالات عديدة مطبوعة ومخطوطة .
تنحصر قيمة الاسدي في ثلاث مجالات :

١ — المجال اللغوي والفولكلوري : وله فيـه الموسوعة في النحو ، وموسوعة حلب المقارنة .
٢ — المجال الابداعي الشعري : وله فيه ديـوان أغاني القبة .
٣ — المجال الصرفي : وهو اول من نادى بنظريـة الصرف المقارن وله فيه كتاب « ايس وليس »



هذه المقالة كان قد كتبها المرحوم الدكتور محمد يحي الهاشمي – استاذ العلوم في تجهيز حلب « المرحلة الثانوية » وذلك في العام ١٩٤٣ ونشرتها مجلة « الاديب » في بيروت في نفس العام .. في هذه المقالة رصد لواقع الحركة الادبية في مدينة الشهباء وما وصلت اليه من تطور وما توضعت فيه من فنية ومعاناة .. وادارة مجلة « الثقافة » اذ تستفيد من مناسبة صدور عددها الخاص هذا عن النتاج الادبي الحديث في مدينة حلب فتعيد نشر هذه المقالة الشيقة انما ترمي من وراء ذلك خدمة الجيل الادبي الجديد كي يطلع على ما كانت عليه الحياة الادبية في القطر العربي السوري من خلال ما يمكن استنتاجه عبر قراءته .. لهذه المقالة القديمة الحية ..

« الثقافة »

ليس من السهل الكلام عن أشخاص معاصرين تضمنا واياهم مدينة واحدة ، نكاد نراهم في كل اسبوع ، او في كل يوم ، بل نجتمع مع بعضهم في ساعات العمل صباح مساء ، فالصعوبة في ان نوفيهم حقهم دون اطناب ولا تقتير . ومهما حاول الانسان ان يتجرد عن آرائه وميوله ، واهوائه وانجذاباته ، فهو ليس بريئا مما في طبيعة البشر من الكدورة . ويقول احد الحكماء : « استطيع ان ابر بوعدي على أن اكون صادقا ولكن على أن لا اكون متحزبا فلا » لذلك فان عرضي للادباء المعاصرين لمدينة الشهباء في هذا المقال انما هو محاولة لا ادري الى أي حد سأكون موفقا .

ان مدينة الشهباء هي من المدن العجيبة في الشرق، او هي تمثل الشرق الحاضر باجلى مظاهره . فيها القلعة التاريخية الجبارة التي تكاد تقسم المدينة الى شطرين ، شطر قديم في زيه وعماراته واسواقه ومعابده وشطر يكاد يكون عصريا في جميع مظاهر حياته . وقلما يعرف القسم الواحد من هذه المدينة عن القسم الآخر شيئا . الا ان الشوارع الرئيسية العصرية يزدحم فيها الناس مساء غادين رائحين او ممضين قسما عظيما من أوقاتهم في المقاهي او الملاهي دون الاحتكاك بسكان الاحياء . وقل من ذهب ممن يسكن الاحياء الحديثة الى الاحياء القديمة الا لاشغال ضرورية .

ورغم كل ما يدهشنا فهذه المدينة تعبر عن الشرق في أجلى مظاهره بل انها لتحوي مدينتين متناقضتين في كل اوضاعهما لا تجمعهما الا الجوار واللغة . فلا غرابة اذا رأينا في ادب هذه المدينة من التناقض شيئا كثيرا . لان الادب ليس هو الا ابن البيئة التي نشأ فيها ولا يمكننا ان نفهمه جيدا دون فهم المكان الذي نشأ فيه . ولا اغالي اذا قلت انه رغما عن وجود هؤلاء الادباء في بقعة واحدة لم تجمعهم الا رقعة مقالتي .

فيها تيار يدعو الى القديم ويتعصب له ، وتيار رائده الحديث ولا يعترف للقديم بحق الوجود ، بل يدعو الى التطور بكل ماأوتي من قوة أو كما يقول خليل الهنداوي :

« كل شيء في الكون يتطور ، فلماذا لا نتطور ؟

كل شيء يؤثر ويتأثر

الا نحن لا نتقدم ولا نتأخر (والاوفق لو قال بل نتأخر)

رأيت في الطبيعة الجدول الذي يكر

تثب الحياة على جانبيه

بل تصفق على شاطئيه

لانه يجري ولا يقف

لانه يتطور فلماذا لا نتطور ... »

وكل ما يتعصب لتيار من التيارات يدلي اليك بحججه وبراهينه .

من بين تلك التيارات ، تيار له مكانته في الوقت الحاضر وسيكون له في المستقبل على زعمي مكانة ممتازة هو التأليف بين القديم والحديث . واني اجرأ على القول صراحة ان في طليعة السائرين في هذه المدرسة هو سامي الكيالي في حلب رغم ما اعرف عن هذا الاديب بأنه لا يناصر الا الحديث . سيما وان عنوان مجلة « الحديث » تقوي هذا الظن . ولكن منتجاته تبرز لنا شيئا آخر فنرى اثرا من اثريه الواحد يرجع عهده الى عام ١٩٣٩ عنوانه (سيف الدولة وعصر الحمدانيين) بكى فيه على المجد الضائع ، فانك لو درست هذا الاثر لخلت انك تقرأ لاتباع المدرسة القديمة لما أراق في هذه الرسالة من دموع من أجل الفردوس الحمداني المفقود . اما الاثر الآخر فهو تعريب للكاتب التركي الشهير رفيق خالد، قد انتجه هذا العام عنوانه « المجنون » روايةتمثيلية موضوعها ما وقع من الاحداث في الامة التركية خلال عشرين سنة . فهنا نرى أديبنا يجاري الكاتب التركي في رأيه ، ويخال للناقد ان هنا تناقضا في الآراء . كيف يحن الى ذلك المجد الضائع ، ويرى فيه من علائم القوة ما يرى ثم ينتقل فيشغف بهذه الانقلابات الحديثة واذا قال الحاكم النزيه : « ناقل الكفر ليس بكافر » نجيب فنقول اذا لم تجد تلك الاحداث في نفسه ميلا لما اختارها لترجمته . فكيف يمكن التوفيق بين هذين المتناقضين ؟ الامر اسهل مما نظن وقد عبر هو عن ذلك في دراسته القيمة لحياة السهروردي (نشرب في الاديب في الجزء الحادي عشر من السنة الاولى) التي قال في مطلعها (الى الذين لا يتورعون ان يحكموا على كل مؤمن بالكفر ، وكل مفكر بالالحاد اهدي هذه الصفحات) . فيكتب لناعن شخصية بارزة استهواه فيها عدم الاهتمام للمظاهر العرضية ، بقدر اهتمامها بما هي مشغولة به من جواهر الامور وحقائقها العليا . ويعبر لنا الكيالي عن نفسيته احسن تعبير في نقده الجريء لكتاب حسين هيكل عن حياة ابي بكر الصديق (مجلة الحديث عدد ٣ ص ١٣٥) .

« ما الذي وجه الدكتور من دراسات في الآفاق الغربية ، الى دراسات في الآفاق الاسلامية : من جان جاك روسو وبيرلوتي واناتول فرانس وشكسبير ، الى محمد ﷺ وابي بكر وعمر (رض) ؟ لقد كان الدكتور هيكل بطلا من ابطال التجديد ، يعيش في صميم العصر ويعالج مشاكل الحياة بنزعة المجدد الثائر ما به قد رجع الى الماضي يقف عليه ادبه وذكاءه ووعيه .. فلا زلت (يا هيكل) نصير الفكرة الحرة ، سواء كتبت عن القديم او عن الحاضر » . وفي زعمي ان هذه الروحية ، هي روحية الكيالي بعينها ، وهذه هي علة تجواله في العالم القديم منقبا عن آثارالسلف، وعلة دعوته الى التجدد . فلو لم تجد طريقة هيكلمن نفسه ميلا لما أقرها وذاب شوقا اليها . فهو كمايقول عن هيكل (يبحث عن الفكرة الحرة من حيث هي سواء كانت في طيات التاريخ القديم المنسي ، أو في عصر التجدد الوثاب الى التقدم ، كما نرى ذلك في كتابه سيف الدولة ، وفي مقاله عن السهروردي ، وفي روايته المترجمة (المجنون) او في (شهر في أوربا) أو في الكتاب الذي نشره حديثا في مصر عن « الفكر العربي » . وقد تناول في هذا الكتاب الاخير ادق ناحية في تبيان الدور الخطير الذي لعبه العرب في تاريخ الحضارة . وليس الفكر العربي هو موضوع بحثه في هذا الكتاب بل تناول فيه عدة مباحث مختلفة ، كمعالجة آراء ابن خلدون في العرب والثقافة القديمة وطرق بعثها بما يلائم العصر الحاضروموقف الشباب من النزعات الجديدة التي تطرقت اليها اثناء بحثي عن المثل الاعلى في الحضارة العربية الذي سينشر في كتاب قريبا . وجميع مباحثه ترمي الى هدف واحد ألا وهو تبيان الدور الخطير الذي لعبه العرب في الماضي وما يجب ان يعملوه ليمثلواهذا الدور اليوم .

وقد نال هذا الكتاب استحسانا من الادباء المصريين اذ وجدوا فيه موضوعا تموج به الحياة العقلية العربية من افكار بسطت بمنهج قويم واسلوب أخاذ .

يصور لنا المدرسة النزاعة الى التطور خليل الهنداوي ، وهو وعمر يحيي الذي سيأتي الكلام عنه وان لم يكونا حلبيين في الاصل ولكن اعتادت هذه المدينة ان لاتفرق بين غريب وقريب طالما انتمى الى القومية الكبرى او آمن بالانسانية العظمى . وقد سبق وذكرت الهنداوي بدعوته الى التطور ، وهو كاتب موهوب قرأت بامعان من آثاره المنشورة صفحة من حياة باريس ، تيقنت فيها انه لو اتيح لهذا الاديب ان يدرس في الغرب لاتانا بما يدهش . وهو يقدر الآثار الشعرية اليونانية ، ويود لوان العرب في نهضتهم الاولى تذوقوا ما كان عند اليونان من فن . وهو يعتقد ان هذا العمل كان خيرا لهم من ترجمة الفلسفة نفسها وقد طلب من الكتاب ان يعالجوا هذه القضية فلم يجبه على طلبه غير محمود اللبابيدي في مقال له في الاديب عدد ايار من هذه السنة عنوانه : العرب بين الفلسفة والادب اليوناني . وقد سبق لي ذكر شيء عن ذلك في الحديث (عدد ١ من هذه السنة ص١٢) . وينشر اديبنا الهنداوي بين آونة واخرى قطعا تمثيلية على غرار القطع اليونانية القديمة وهو معجب بنيتشه ومتأثر به الى حد بعيد .

توفق الدكتور شكيب الجابري بروايته التي الفها نهم في وصف حياة الغرب لانه عاش فيها عن كثب . ولكنه عاد في روايته الثانية « قدر يلهو » بالحنين الى الشرق وهو في ارض الغرب فصور لنا صنفا خاصا من الشباب الذين ذهبوا الى اوربا فعاشوا بها ردحا طويلا واكتسبوا منها ولكنهم اضاعوا كثيرا من شرقيتهم فاصبحوا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . وقد اطلق على هذا النموذج اسم « طريد المدنيتين » : « لا المظاهر الغربية ترضيني الرضا كله فتفتح لها نفسي ، ولا مظاهر قومي تقر عيني فاجد فيها هنائي ! طريد المدنيتين ، وغريب البلدين . اردت ان اسد نقص مدنية موروثة ، بمزايا مدنية مكتسبة ، فاذا انا اضيع المدنيتين ، واضيع بين ذلك نفسي وبهجة العيش في عيني » ولقد قالت عنه مجلة المقتطف منذ اصدر الرواية الاولى انه يبشر بميلاد قصصي في الشرق العربي . وكان العالم العربي متشوقا لما سيقدمه له من آثار ادبية رائعة ، فاذا هو ساكت ، ولايعلم احد هل هذا السكوت لانه نحا ناحية اخرى ام لانه سيعد لنا في هذا السكوت كذلك فسهل عليه الابداع في الادب والفلسفة

السرعة لان جذره عميق في العلوم الطبيعية ومن كان كذلك فسهل عليه الابداع في الادب والفلسفة

ومن الادباء المشهورين الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في دمشق وصاحب كتاب اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الذي جمع فيه من اخبار هذه المدينة الشيء الكثير . ولكن نزعته نزعة علمية اكثر منها ادبية . وقد نشر عدة رسائل من مخطوطات قديمة دققها لغويا ، منها مصطلح الحديث لابن الصلاح الذي ذكره اسدرستم في كتابه مصطلح التاريخ (بيروت ١٩٣٩ ص١٠٦) .

ويمتاز خير الدين الاسدي في ابحاثه اللغوية عن اشتقاق بعض كلمات مثل (ليس) ، (حلب) ، (الالف) ، (السماء) وما شاكلها . وهو يقارن بين اللغات السامية مستعينا بمنتجات المستشرقين الغربيين اما آثاره الادبية فلا اعرف له غير ترجمة رجعة ابي العلاء لاديب ارمني غير معروف في الشرق العربي .

ان كان للادب هذه المكانة الممتازة في مدينة سيف الدولة ، فان للشعر فيها قدحا معلي ، ويمثل الشعر فيها العمران ، عمر ابوريشة وعمر يحيى . فالاول نزاع الى تمجيد البطولة في اطوارها المختلفة وقد اظهر قابلية تمثيلية في رواية ذي قار وفي الرواية التي استهل فيها ديوانه .

اما الميزة التي يمتاز بها ابوريشة ويكاد لايوازيه فيها شاعر عصري ، هي تمجيد البطولة ، وانك لترى هذا التمجيد ، حتى في وصف الطبيعة وفي ابراز لواعج النفس . فان وصف لك الالم والعذاب والحب والغرام ، او الفن والجمال ، فلا يدعك تستسلم استسلام من لايملك حولا ولاقوة ، بل في وسط تلك الزوابع والاعاصير ، يدعك ترفع رأسك شامخا الى السماء ومن الغريب ان الصحراء تستهويه ، فيجيد وصفها مع انه لم يقطع مفاوزها :

« اوقفي الركب يا رمال البيد — انه تاه في مداك البعيد

عصفت في جفونهم ريحك الهو — جاء والشمس عربدت في الخدود

والصبايا من الهودج ينظر — ن الى الافق نظرة المفؤود

ليس يبصرن منك غير هضاب — في هضاب مبعثرات الحدود

غابت الشمس يا رمال وهذا الـ — ركب في قبضة العياء الشديد »

واذا اردت ان تعرف ماذا يقصده هذا الشاعر الموهوب فاسمع صوته الحي وهو يمثل لك بجرأة نادرة، وعزة عربية قل مثيلها ، ماذا يختلج في اعماق نفسه . عند ذلك يضرم في قلبك نار الحماس ويجعلك شعلة متقدة ، فتدرك بذلك مراميه ، وماذا يقصد من هذا البعث القومي الحر .

يغلب على شعر عمر يحيى نزعة الحزن العميق . ولم اهتدرغم دراستي لديوانه البراعم الى منبع هذا الحزن . ولقد حلله الشاعر العبقري احمد الصافي النجفي بقوله : « ولعل السبب في توفق عمر يحيى ووصوله الى الطريق الامثل في الشعر يرجع الى حظه الوافر من التثقف بالادب العربي القديم . فوق مايمتاز به من الهيكل الشعري الذي بنته الطبيعة في جسمه النحيف الحساس والشاعرية الفطرية التي حبته بها رياض العاصي وجداوله ومناظره الخلابة ، ونواعيرة النائحة بألحانها الشجية واناتها الخالدة » . وهو سواء وصف لك الشاعر ، ام قلعة حماة ، ام العاصي ، ام التأسي ، ام ذكرى الاستقلال ، ام احلام الماضي ، ام غيرها ، فكلها ذات مسحة شجية وكلها بكاء وندب ، يفتت لهولها الاكباد :

« ان عيل صبرك يا فؤا — د فأنت مرتكب الجنايه
نبغي هناء العيش والد — هر الظلوم له رمايه »

حتى لاينسى مابه من تشاؤم في نظره في الطبيعة :

« لي في الطبيعة نظرة — نظر الغريب الى الوطن
فيها الجمال بديعه — فيها الطلاقة واللسن
تروي العليل معذب — اضنته آلام المدن»

ويظهر ذلك جليا من (بوادر الصبوة) :

« يا رب هذي عيوني — لم ننس بعد بكاها
والنفس اخشى عليها — من ان يعود شقاها
ما حيلتي في حياة — ما ذقت الا اساها
اصانع القلب جهدي — ولا تكف اذاها
سكبت ماء شبابي — على سراب رؤاها

ولا ابالغ اذا قلت بأني لم اطلع على قصائد من قصائده ، سواء نشرت في ديوانه ، او في بعض الصحف، او القاها بنفسه ولم يكن فيها حزينا باكيا .

اما القاوه فهو ايضا ممتاز رغم هدوئه وصوته الضعيف . نعم انه لايستفز الحماس ، ولكنه يوقظ الحزن العميق بنبراته الخافتة وهو والحالة هذه يمكننا ان نسميه ، شاعر الحزن الذي تفرد فيه في هذه المدينة ولاينافسه فيه احد لذلك جاءت قصائده ، صادقة في الندب ، قد بكى فيها واستبكى . اما الذي استغربه منه ، أني لم اجد في شعره شيئا عن حلب ، تلك المدينة التي مكث بها طويلا ولايزال مقيما فيها والتي برت به وفتح له ادباؤها قلوبهم بل عدوه واحدا منهم ، فهو رغما عن كل ذلك يجد نفسه غريبا. فلقد قال في تأبين الشيخ امين الكيلاني (الجامعة الاسلامية عدد ١١١، ١٢٠ من هذه السنة عدد خاص ص ٣٦) :

يا غريبا ابقى اخاه غريبا — يعلم الله كم مدى آلامه

وفي هذه المدينة ادباء اخر امثال شارل خوري ، يوركي حلاق ، ابناء ابي قوس وغيرهم ، وقد قرأت لهم او سمعتهم ينشدون بعض قطع ادبية لاتكفي في تكوين رأي في حقهم .

وعد سامي الدهان أثرا قيما عن أبي فراس الحمداني نهج فيه طريقة المستشرقين الغربيين سنقول فيه كلمتنا عند انجاز العمل .

وقد اظهر الشيخ طاهر النعسان (عضو المجمع العلمي العربي) قابلية ادبية فائقة على المنهج القديم فيه كلمتنا عند انجاز العمل .

وقبل ان نختم المقال ينبغي ان لانجحف حقوق بعض براعم تفتقت في عالم الادب من جديد مهما كان نتاجها ضئيلا . ومن هذه البراعم تلميذ فتى مازال على مقاعد الدرس يدعى علي الزيبق ، اقر بقابليته الشعرية شاعر العراق الفذ معروف الرصافي الذي قال له في كتاب ارسله له :

« سرني حبكم للادب واقبالكم عليه واستعدادكم له، وقرأت ما في الكتاب من شعركم الذي لم يزل مثلكم في ريعان شبابه ، وهو وان كان من جهة اللفظ لم يزل في اول نشأتـه الا انـه بمعانيـه الرائعة يبشر بمستقبل لكم باهر في عالم الادب » . ولقد اطلعت بنفسي على ديوانه فوجدت فيه الحماسة والغزل ولم اجد فيه الوصف والتمثيل ولكن هذا النقص لم يقع فيه شاعرنا الفتى فحسب بل اكثر ادبائنا . ولقد نصحته بلزوم اقتفاء اثر الطبيعة ومحاولة فهم لغتنا والاصغاء الى مكنونات النفس ومعرفة المواقف البشرية بمناسباتها مع بعضها بعضا . خلافا لما حثه عليه الرصافي من حفظ الشعر والاعتناء بالالفاظ ، لان هذا العمل ثانوي في نظري فالالفاظ هي العرض لا الجوهر كما يقول الصافي :

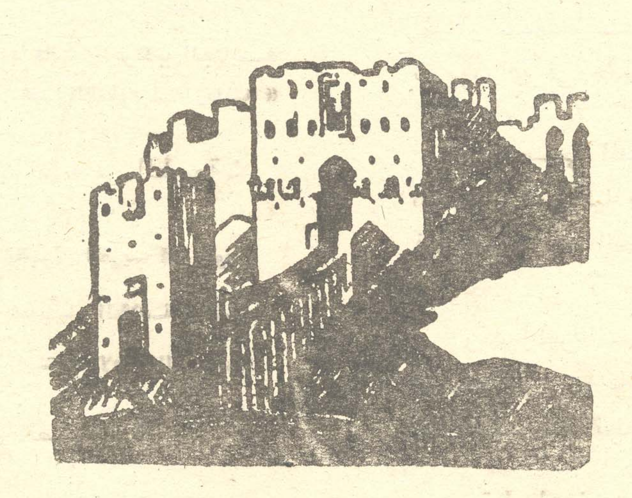
« اهوى المعاني عن ثياب اللفظ تظهر نائيه

اهوى اللباب بلا قشور للنواظر باديـه »

هكذا آمل ان أكون قد امطت اللثام عن ادب هذه المدينة ، وبينت تياراته المختلفة ، وحبذا لو ان كل مدينة من مدن الشرق العربي اخذت على عاتقها كشف الحجاب عن ادبائها . عند ذلك نطمع بأخذ صورة قريبة من الواقع لادبنا المعاصر .

محمد يحيى الهاشمي ـ حلب

مجلة الاديب ـ العدد التاسع ـ ايلول ١٩٤٣ ـ السنة الثانية



الروائي * فاضل السباعي

ملف أعدته * لوسي سلاجيان

- حلب -



فاضل السباعي

تعرفت الى الاستاذ فاضل السباعي في ربيع ١٩٧٣ اثناء احدى زياراته لمسقط رأسه حلب ، ثم سنحت لي الظروف بالاستماع اليه وهو يلقي بعض قصصه في مقر فرع اتحاد الكتاب العرب وفي المركز الثقافي العربي وفي نادي الشبيبة الكاثوليكية .

وبعد أن استمتعت بمطالعة عدد من أعماله ، استطيع القول بأن نزعة **السباعي الانسانية أثارت اهتمامي** . رأيته مالكا زمام الروائي . انه يتخيل بخصب لا ينفد ، ويرصد الاعراف ، ويصور المشاهد واضحة المعالم ، ويمضي في سرده بيسر كامل ، مكتسبا عطف قرائه بصورة مثالية . **وهو مؤمن بالمحبة والتقدم وطيبة الانسان .**

ويملك السباعي بعد هذا ، **موهبة التلاشي وراء شخوصه وسرد الاحداث بدقة** ، ساعيا الى الاخذ ببلاغة ساحرة وان وجدتها متكلفة بعض الشيء احيانا موهبة انسانية في جوهرها ، تحرك فيه حرصا قويا على الصفاء ، وتشد قارئه بعمق انفعالاته .

استطاع السباعي بتحليله النفسي أن يبلغ **درجة من الحقيقة الانسانية تتماوج فيها تدرجات العاطفة : من السوداوية ، الى اللهفة الوطنية ، والالم والسعادة والحب . ودفعته روحه الى أن يجد في فنه الخاص ، القلق الاساسي للانسان . ان كثيرا من قصصه تتضمن انتقادا حادا للاعراف المعاصرة ، حين يطرح بقلق امكانات الوصول الى الحياة الافضل ، معبرا عن عذابه وتطلعاته العميقة ، بأسلوب واع غني بالاحاسيس الجارفة .**

اسلوبه القصصي وضاء ، يمنح انطباعا بالبساطة والتوازن . انه ليتبع الخط الاكثر بساطة . وهو دائما ، وببساطته الاعتيادية وصفائه النابض ، **يخفي تقنية تنم عن ثقة مدهشة .**

اننا نشعر بأنفسنا قريبين جدا من ذات السباعي الكاتب ، لانه يستقي من حكمة شعبه وبساطته . وهو من خلال بلورته للفكرة ، ينفذ الى صميم ما تحتويه من جوهر صاف .

كتب فاضل السباعي **القصة ، والرواية ، والمقالة والدراسة الادبية ، وفصولا من أدب الرحلات .** وله مجموعات قصصية (أولاها : **« الشوق واللقاء »** حلب عام ١٩٥٨) ، وروايات (لعل أشهرها : « **ثم أزهر الحزن** » بيروت ١٩٦٣ ، و « **رياح كانون** » بيروت ١٩٦٨) ، وكتب في **سير ابطال العرب** . وقد تجاوزت المطبوع من مؤلفاته العشرين ، طبع بعضها أكثر من طبعة ، عدا ما لديه من مخطوطات . ينشر نتاجه في أمهات المجلات العربية ولدى دور النشر في بيروت والقاهرة . وقد تمت ترجمة عدد من قصصه الى اللغات : الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية

فضلا عن الارمنية (١)

أود ان أبين للقراء الاعزاء اني احرر وأراسل ، من مدينتي حلب ، **مجلة « شيراك »** الشهرية الارمنية الادبية الفنية ، التي تصدر منذ عام ١٩٥٦ في بيروت، وتعتبر لسان حال الادب الارمني والعالمي الكلاسيكي والحديث ، بما في ذلك الادب العربي الذي اقوم منذ عام ١٩٧٣ على وجه التحديد ، بتقديم الكتاب العرب المعاصرين على صفحاتها وذلك باجراء **المقابلات** مع بعضهم ونشرها في المجلة **مقرونة بعمل للكاتب (قصيدة أو قصة)** بعد ترجمته الى اللغة الارمنية . وهكذا أسعدني ان أقدم كلا من الادباء والشعراء العرب : **خليل هنداوي ، جورج سالم ، وليد اخلاصي ، الدكتور عمر الدقاق ، عبد الرحيم الحصني ، هيام نويلاتي ، علي بدور ، رؤوف بشير ، الدكتور زهير أمير برتق ، الدكتور عبد السلام العجيلي ، عبد القادر عنداني ، والدكتور محمد التونجي ،**

هذه المقابلات التي نشرت في مجلة **« شيراك »** وأذيعت كذلك من **اذاعة « يريفان »** في جمهورية ارمينية السوفييتية .

وفي عام ١٩٧٥ أجريت مع فاضل السباعي المقابلة التالية . الا أنه من المؤسف ان تضطرب أحوال المجلة في بيروت بسبب الحرب الاهلية حتى انها توقفت مع غيرها عن الصدور اكثر من مرة . ولم تنشر المقابلة، التي نقلها من العربية الى الارمنية الاستاذ نزار خليلي الا في العام الماضي (في العدد المزدوج ٥ و ٦ الصادر في **أيار وحزيران ١٩٨٠**) ، وقد نشرت دون هذه المقدمة . الا أن المقابلة اقترنت بنشر قصتين اثنتين للسباعي :

الاولى : **« رسالة حب صغيرة »** ، احدى اقاصيص مجموعته **« حزن حتى الموت »** الصادرة عـ « الاهلية للنشر والتوزيع » ببيروت عام ١٩٧٥ ، وقد ترجم هذه القصة الى الارمنية **آغوب ميكائيليان** من حلب .

الثانية : **« اريد امي »** ، احدى اقاصيص مجموعته **« رحلة حنان »** الصادرة عن دار المعارف بمصر في



لوسي سلاحيان

سلسلة « اقرأ » ، عام ١٩٧٥ وقد ترجمت القصة الى الارمنية **السيدة لينا طوسونيان** من حلب .

وقد اذيع نص هذه المقابلة من اذاعة يريفان ومن المنتظر أن ينشر في ارمينية السوفييتية **كتاب بالارمنية يتضمن مختارات من قصص فاضل السباعي .**

لن يفوتني أن أقول اني لمست لدى الاستاذ فاضل أخيرا ، بعض الفتور تجاه هذه المقابلة ، **بحجة ما فيها من أفكار ومن عواطف قد « تجاوزه الزمن »** ، بعد أن مضى على انشائها أكثر من خمس سنوات ، ولا سيما انه اجرى كما يقول ، مقابلة تالية عليها يتوقع ان تنشر هذا العام في احدى المجلات العربية الشهيرة . وبصرف النظر عن هذا الاعتبار ، فان ما ورد في مقابلتنا يعبر عن فاضل السباعي عام سجل هذه الاجابات ، أ ويومها وساعتها .

وسوف يلاحظ القارىء ان الاسئلة الموجهة بعضها شخصي ، حول تجربة السباعي الادبية وممارسته للكتابة ، وبعضها الآخر **يقترب من اهتمامات القارىء الارمني أو الاجنبي عموما ،** وبخاصة مايدور منها حول امكانية ان يعيش الكاتب مما يدره عليه قلمه، واختلاط الجنسين ، واتحاد الكتاب العرب ، واخيرا رأيه في الشعب الارمني .

---

(١) نشرت للسباعي قصة « ذقون في الهواء » من مجموعته « حياة جديدة » ، في « كيغارت » (كتاب سنوي للآداب والفنون والدراسات) صدر عام ١٩٧٥ عن الجمعية الخيرية العمومية الارمنية بحلب . وقد ترجم القصة الى الارمنية ناظار ب . ناظاريان .

المقابلة

ولد فاضل السباعي في حلب عام ١٩٢٩ وشب عن الطوق في دار عربية تتوسطها البركة وتظللها أشجار الياسمين والليمون . عاش ضمن أسرة كبيرة تتألف من الجدين ، ومن عمه الاكبر وزوجته ، وابيه وزوجتيه الاثنتين . **انجب ابوه (أبو السعود) تسعة عشر من الابناء والبنات** ، فاضل هو الابن الاكبر بين الذكور وتكبره بنت واحدة . وقد تزوج الاب زوجة ثالثة منذ سنوات !

تزوج فاضل وهو في الحادية والعشرين من عمره ويقول : « **يبدو ان رجال الاسرة مغرمون بالزواج !** » سافر وبرفقته زوجته (وهي شقيقة الفنان الراحل لؤي كيالي) ، الى **القاهرة ، حيث درس الحقوق في جامعتها وتخرج عام ١٩٥٤ مارس المحاماة بحلب** دون نجاح ، فقد استحال عليه ان يوفق — كما يقول — بين هذه المهنة (التي تتطلب العمل نهارا في المحاكم ومساء في المكتب) وبين هواية الادب التي شغف بها ، **فانتسب الى الدولة موظفا** . وهو في العاصمة دمشق ، منذ عام ١٩٦٦ وكان عام ١٩٧٥ مديرا للشؤون الثقافية بجامعة دمشق ، وهو في عامنا هذا مدير في وزارة التعليم العالي . وقد اوفد الى فرنسا وامضى فيها نحوا من عام . زار عددا من الدول العربية والاوروبية والولايات المتحدة الامريكية .

أنجب ثلاث بنات وصبيا واحدا . تزوجت بناته ، **وهو اليوم « جد » لثلاثة من الاحفاد . يقول ممازحا : « انه لامر لطيف ، كما ترين ، ان يغدو الرجل جدا وهو في عز الشباب ! »** .

● **متى بدأت حياتك الادبية ؟**

— الواقع ، لا يمكنني ان احدد بدءا لحياتي الادبية . ذلك اني وجدتني منذ وعيت ، أقرأ واكتب مما كنت أقراه **مجلة اكاديمية مصرية اسمها « الكتاب »** (وقد بدأت اقتنيها منذ عددها الاول الصادر في تشرين الثاني ١٩٤٥) . اقرأها وانا فتى ، فأحس بالاعتزاز لدخولي عالم الادباء والمفكرين !

في تلك الفترة المبكرة من حياتي ، أخذت اكتب . وأتيح لي ان انشر بعض مقالاتي في مجلة مدرسية اسمها « الشمس » . وقد أثار بعض ما نشرت شعورا من المرح لدى قراء هذه المجلة الصغيرة الذين هم رفاق المدرسة . فضاعف ذلك من ثقتي بنفسي . ولم ألبس ان نظمت الشعر المقفى ، تحت وطأة « حالة حب » عاصفة وانا في الثامنة عشرة ، ونشرت بعض مقطوعاتي الشعرية ! ثم بدوت آخر الامر ، مهتما بكتابة القصة .

وهكذا وجدت نفسي بعد تخرجي من الجامعة ، كاتبا قد اعتاد ممارسة الكتابة الى حد الشعور بأن ليس في وسعه ان يتخلى عن هذه « العادة » .

● **هل يشجعك نتاجك الادبي على التفرغ للكتابة ؟ وهل يستطيع الكاتب العربي في رأيك ، أن يعيش من قلمه ؟**

— دعيني افرق في هذا المجال ، بين « الكاتب » وبين « الاديب » الذي يكتب ما يعن له .

فالكاتب ، مطلق كاتب يمكنه ان يعيش من قلمه اذا جنده لخدمة الصحافة مثلا ، او اذا تخصص في تأليف التمثيليات للاذاعة والتلفزيون او الكتابة للسينما . ولهؤلاء الكتاب القدرة على ان يكتبوا ما يطلب منهم .

ان احدى دور النشر تستكتبني كتبا (والاحرى كتيبات) حول موضوعات تسميها لي ، فأفرغ من تأليف كل منها خلال فترة محدودة ، وتكافئني الدار فور تسلمها مني مخطوطة الكتاب(١) . ولكنني عندما أقدم لهذه الدار او لسواها نتاجي الادبي الخاص ، فانها تعاملني معاملة اخرى : كمية المطبوع اقل ، والمكافأة تدفع غالبا « على التحصيل » . ان هذا التعامل — الذي تضطر اليه دور النشر لانها مؤسسات تجارية أولا — لا يقيم اود الاديب الذي يكتب من وحي نفسه .

على أن قراء العربية يتزايدون باستمرار ، مرد ذلك الى شيوع عادة المطالعة بين المواطنين العرب ، بسبب انتشار التعليم في البلاد ، فضلا عن توافر المال بين ايدي الشعوب العربية المنتجة للنفط ، وكذلك الشعوب العربية الاخرى التي لا تنتجه ولكن بعض عائداته تصب فيها بشكل او آخر . واحسب انه سيأتي يوم ولن يكون بعيدا ، يصبح في وسع الاديب العربي ان يتفرغ لادبه كاتبا مبدعا ، ويعيش من قلمه ، حرا دون ما عون من احد ، سوى تأييد قرائه المتجاوبين مع ادبه المعبر عن همومهم .

---

(١) ذلك عن الكتيبات العشرة في « سير ابطال العرب » التي كان عاكفا على تأليفها عام ١٩٧٥

● **كيف توفق بين عملك الوظيفي وبين هواياتك الادبية ؟**

ـ غني عن البيان أن الادباء والفنانين عامة الذين يمارسون هواياتهم في دول العالم الثالث ، يفعلون ذلك على حساب راحتهم واعصابهم . ولكني أرى ان الفن أساساً ، عمل رئيسي قائم بذاته ، « وظيفة » اجتماعية يمارسها الفنان كما يمارس العامل عمله والموظف وظيفته . بيد ان الفنان في الدول النامية يبحث اولا عن عمل يؤمن له موردا ثابتا ، ثم يقوم بممارسة هوايته في « اوقات فراغه » . وليس الامر كذلك في الدول الرأسمالية او الاشتراكية ، فالمجتمع الرأسمالي الصناعي هو مجتمع منتج مستهلك ، وهذا ما يتيح الفرصة للفنان لكي يزاول الفن مهنة له ، « يبيع » نتاجه (كتاب ، لوحة ، مقطوعة موسيقية ... الخ) ويقيم به أوده ، على حين يضمن المجتمع الاشتراكي بصورة او بأخرى للفنان الملتزم ان يعيش من فنه ايضا .

في أوقات الفراغ اذن ، نمارس « هواياتنا » . لذلك يقصر أدبنا غالبا عن الشأو الذي يبلغه ادب الامم المتقدمة صناعيا وحضاريا . والفنان مهما منح فنه من اوقات فراغه وراحته يظل بحاجة الى المزيد من الوقت ومن العناية والتجويد .. ثم انت كفنانة ، يا سيدة لوسي ، تحتاجين الى الاطلاع ، والى التثقيف الذي لا يتوقف طبعا عند القراءة ، بل يتعداها الى ممارسة الحياة ، ممارستها بعمق والى مخالطة الناس والتعرف الى الشعوب وفهم مزاجها ، فهذا يزيد الفنان دراية بالحياة ، وفهما لاعماق الانسان وبالتالي لشعبه نفسه .

ان « التوفيق » الذي اقوم به يحملني على ان اتخلى عن كثير من متع الحياة . فأنا مشغول غالبا بالمطالعة والكتابة والاحتكاك بالناس ، لا أكاد أضيع من وقتي شيئا . مشغول دائما مشغول حتى انني أبدو امام نفسي كمن يسرع الخطا للحاق بقطار يوشك ان يتحرك !

ومع هذا الاستعجال الذي وجدتني في دوامته ، الاستعجال « الابدي » كما يخيل الي ، الشيق على كل حال ، فانني ايضا ممن يجودون عملهم ويبذلون جهدهم في العناية به وتهذيبه وتنميقه ، بل ان حرصي على التجويد يتزايد مع الايام . اني لاكتب القصة ، القصيرة او الطويلة ، مرة ثم مرة ، وفي المرة الثالثة انسخها على الآلة الكاتبة ، ثم اقرئها لاصدقائي وقلتهم من الادباء وجلهم من عامة القراء رجالا ونساء (وقد علمتني التجربة ان القراء أسلم رأيا من بعض الادباء !) ، وبعد ان استمع الى الآراء والملاحظات ، أعود الى النص معدلا بما اعتقد انه الصواب .

● **ماذا اردت ان تقول في ادبك ؟**

ـ قلت اشياء كثيرة منذ بدأت الكتابة حتى الآن . يوم اخذت القلم بيدي ، وانا فتى صغير ، كنت ارغب في ان اتسلى ، ان اعبر عن مشاعري الخاصة ، ان أؤكد وجودي .

وشيئا فشيئا تكونت عندي نظرة الى الاشياء والحياة والوجود ، فاتضح لي في الكتابة هدف ، ظل يكبر حتى غدا اليوم احتجاجا .. وهل اقول : انه بلغ ان يكون احيانا ، صراخا ؟

● **ماذا اردت ان تقول او تحتج ، في كتابك الجديد « حزن حتى الموت » ؟**

ـ بكل بساطة : اعلنت في قصصه الخمس عشرة ، احتجاجي على سلطات العالم الثالث التي تهدر حرية الانسان(۱) .

● **وفي كتابك الجديد الآخر : « رحلة حنان » ؟**

ـ في قصص « رحلة حنان » ، غنيت افراح الاطفال والصغار وشاركتهم همومهم واحزانهم ، وأدنت ما يمارس ضدهم من ظلم وخطأ وغباء .

● **ما رأيك في القصة العربية عامة ، والقصة السورية خاصة ؟**

ـ استطاعت القصة العربية بعد جهاد طويل ، ان تنتزع الاعتراف بها من الباحثين الاكاديميين في العالم العربي ، فأصبحت النصوص القصصية تدرس في المدارس الثانوية وفي الجامعات ، جنبا الى جنب مع الشعر العربي الكلاسيكي الذي يستغرق معظم تراثنا الادبي(۲) . واصبح في الادب العربي المعاصر نصوص

---

(۱) ترجم المستشرقون من هذه المجموعة قصصا الى الفرنسية (الصورة والاسم) والالمانية (الجمهور يضحك بصخب) والالبانية (الايدي الكرتونية) . وفي هذا الملف تقرؤون قصة (رسالة حب صغيرة) التي تمت ترجمتها الى الارمنية كما سلف .

(۲) دعي السباعي من قبل كلية الآداب بجامعة حلب ، لعقد « لقاء » مع طلاب السنة الرابعة في قسم اللغة العربية يوم الاثنين ۲۲ـ۱۲ـ۱۹۸۰ ، حيث وجهوا اليه الاسئلة واستفسروه عن مؤلفاته التي تشكل جانبا من ادب القصة والرواية الذي بات يدرس في جامعات القطر .

نصوص قصصية وروائية جديدة بان تترجم الى اللغات الاجنبية ، وقد تم نقل بعضها الى امهات اللغات وتحقق القصة السورية تقدما مضطردا في مضمار القصة العربية ، فهي تعنى بالشكل المتجدد ، وبالموضوع الحي ، عنايتها بتطويع اللغة الفصحى في تعبيرها عن خلجات النفس وحاجات العصر المستحدثة .

ولكني لن ادع الكلام في ذلك قبل ان اشير الى انه مرت فترة من الزمن امعن فيها كتاب منا في الغموض والابهام والتعقيد ، مقلدين تيارات غربية لعلها تعبر عما تعانيه تلك المجتمعات من تعقيد ومن ضياع ومن تطلع وشوق . ومن المؤسف ان يتأثر بكتابنا هؤلاء نفر من ناشئتنا ايضا ، حين وهموا أن تلك هي « الحداثة » وان لا شيء سواها !

● ما رأيك في الجيل العربي الجديد : اختلاطه مع الجنس الآخر ؟ همومه ؟ اقباله على الحياة الحديثة واندماجه فيها ؟

ــ استطيع القول ان الجيل الجديد موزع بين عدة اتجاهات : اتجاه يجل التراث اجلالا ، وآخر يرنو الى الجديد وحده ، واتجاه ثالث يوفق بين القديم والجديد ، ورابع حائر بينهما .. ولعل هذا التناقض يلاحظ بشكل واضح في جامعاتنا التي تضم زهرة شباب الامة ، فيها تبرز الفروق بين هذه الفئات : بدءا من اللباس الخارجي ، وانتهاء بالمبادىء والقيم التي يعتنقونها ، مرورا بالتعامل وبالحوار اللذين يكشفان عن هذه الفروق الجوهرية .

ان الاختلاط بين الجنسين واقع الآن ، في الجامعة وفي الحي وفي الطريق العام . ولكنه اختلاط لم يقم على أسس صحيحة . ان الشاب ــ من كلا الجنسين ــ يجد نفسه فجأة ، في مواجهة الجنس الآخر ، مضطرا الى التعامل معه دون ان يكون قد أعد نفسيا واجتماعيا . انها الطفرة . لقد انتقلنا ، خلال جيل واحد ، من مجتمع كان يقيم حواجز بين الجنسين الى مجتمع « مختلط » .

في بيئتي وأنا طفل ، كانت النسوة يتحجبن بالمنديل الاسود والثياب السابغة . ولم تكن المرأة تسمح لنفسها بأن تكلم الرجل حتى من وراء الباب . من هموم الجيل العربي الجديد ، وكل جيل جديد في العالم ، ان مطامحه تفوق قدراته . ان الشباب يريد ، ولكنه لا يملك القدرة على تحقيق ما يريد وبخاصة القدرات المادية .

وسؤالك ، بعد هذا ، يثير مجالات واسعة من القول .

● بصفتك عضوا مؤسسا في اتحاد الكتاب العرب في سورية ، ما رأيك في هذه المؤسسة ؟ وماهو نشاطها ؟

ــ بدأنا العمل في تأسيس الاتحاد صيف عام ١٩٦٨ ، وصدر مرسوم انشائه بعد عام . ويهدف الاتحاد الى تعبئة الطاقات الادبية في البلاد وتهيئة المناخ الثقافي الذي يتيح للمواهب ان تتفتح .

صدر العدد الاول من مجلة الاتحاد الشهرية « الموقف الادبي » في شهر أيار ١٩٧١ . ثم أصدر الاتحاد مجلة ثانية فصلية هي « الآداب الاجنبية » في تموز ١٩٧٤(١) . وانشأ مؤسسات تؤمن للكاتب المسكن وبعض الخدمات الاجتماعية ، كما انه يقوم بنشر الكتب لاعضائه ولغيرهم . ونتوقع ان ينهض في المستقبل بأعباء اكبر نحو الكتاب ، هؤلاء الذين يسهمون في عملية البناء والتطوير ، بما ملكت عقولهم من الخصب والابداع .

لعل أقل فئات المجتمع عناية من السلطة ، هي فئة الفنانين . أكاد أقول : ان العسكريين والمهندسين والتجار يجنون من خيرات المجتمع اضعاف ما يحصل عليه الفنان الذي يقدم للامة خلاصة فكره وقلبه واعصابه . اولئك يملكون البيوت الباذخة ، ويركبون السيارات الفارهة ، وهو يسكن البيت المستأجر ، ويزاحم على أبواب الباصات ، ويسعى جهده لتأمين كفاف يومه .

● ما رأيك في الشعب الارمني ؟ وما هي علاقتك به ؟

ــ اني ، بصفتي مواطنا انساني النزعة ، احسني متعاطفا مع الشعب الارمني . فعندما يرى المرء شعبا يجبر على النزوح عن أرضه تحت وطأة الحديد والنار ويتشتت في ارجاء المعمورة ، لا يملك الا ان يتعاطف معه . وقد عانينا ، نحن العرب ، مثل هذه المحنة في

---

(١) ومجلة ثالثة هي « التراث العربي » فصلية صدر عددها الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

تاريخنا مرتين : حين شتت الاسبان ، قبل نحو خمسة قرون ، شمل ابناء الاندلس ، ثم أجهزوا على البقية الباقية منهم ، ومرة ثانية في منتصف هذا القرن العشرين ، حين نال عرب فلسطين ما نالهم على يد الصهيونية العالمية .

منذ طفولتي ، تفتح وعيي على مأساة الارمن . كانت جدتي لابي تتحدث عن اللاجئين الارمن الذين حلوا بحلب في العقد الثاني من هذا القرن ، وكيف ضمتهم الملاجىء والمدارس ... أطفال فقدوا الوالدين ، وبعضهم رأوا آباءهم يذبحون اما أعينهم ، وأي هول عانوه في مسيرتهم نحو الجنوب قبل ان يصلوا حلب ، التي فتحت لهم ذراعيها واستقبلتهم بمحبة تجعلني أحس شيئا من العزاء والتأسي ، انا العربي المسلم الذي علمني ديني ان أحترم الانسان .

أحب ان أبين لك أن في أسرتي سيدة ارمنية الاصل ، هي زوجة عمي ، الاخ الاكبر لابي ، أحببناها ، وقد اختارها عمي من بين الوافدين الى حلب . وما تزال — هي وعمي — عمادين في اسرتنا الحلبية الصغيرة المنحدرة من اصل حمصي(١) .

ان نحو سدس سكان حلب ، مسقط راسي ، من الارمن الذين أحبتهم مدينتي ، والذين اعطوها ابدع ما عندهم من امكانات ومواهب ، ومنهم المصورون والصاغة وميكانيكيو السيارات وكثير من الحرفيين والفنيين المهرة .

والشعب الارمني هو في نطاق شعوري الواعي . وكثيرا ما استذكر الروائي العالمي « وليم سارويان » الارمني المغترب في الولايات المتحدة الامريكية ، مؤلف « الكوميديا الانسانية » .

ولن أنسى قط مواطنته « لوسي أشخانيان » ، العازفة البارعة ، التي شاهدناها بحلب ، في شتاء ١٩٦٤ — ١٩٦٥ ، وقد انفردت بالعزف على البيانو ، مقدمة للجمهور الذي اصغى اليها بحواسه كلها ، مقطوعات من روائع الموسيقى العالمية ، اختتمتها بال « رابسودي هنغرواز » .

وهل تنسى حلب طبيبها العالمي « ازادورألطونيان » (١٨٥٤ — ١٩٥٠) ، الذي ظل اسمه على كل لسان طوال عشرات السنين (من يوم استيطانه حلب عام ١٨٩٠) ، حيث عالج في مشفاه الشهير نحو مئة ألف مريض من أبنائها ، وكان في ذلك نموذجا انسانيا في عصاميته ، وفي ما حصل من علم متطور ، وفي اخلاصه وسهره وتفانيه ؟

رسالة حب صغيرة

.. وابي ما يزال في عناده ، واخي يتهددني ، وامي تخافهما معا ، وأنا اظهر للجميع صلابة ورفضا ، واقول لهم اني اريد ان اتابع دراستي !..

لم يبق لي الا ان تسرع في العودة ، يا حبيبي . فيكفيك بعدا عني واغترابا .

اليك قبلاتي ، واحر اشواقي ، ودموعي التي سفحتها وانا أخط اليك هذه الرسالة .

حاشية : أكرر القول بأن أبي يرغمني على قبول هذا الخاطب الذي ارفضه رفضا باتا . واخي يتوعدني ان اصررت على الرفض بأن يعلقني من شعري في شجرة سرو . أصبحت اكره أبي واخي من اجل عينيك ، يا حبيبي . هيا تعال فأنقذني .

ثنت الورقة : لسوف يأتي ..

أودعتها مظروفا ، دسته في صدرها بحنان : سيسرع في العودة الي ..

لم تدع عينا تلمحها ، وهي تتسلل الى الشارع الوسيع . وتنفست الصعداء ، اذ تنسم وجهها عبير الحرية : لسوف اظل اقاوم الاكراه ، ولو علقوني من شعري في شجرة السرو ، تلك ، العتيقة !

أخذت تعدو ، كما الغزال يعدو في صحراء شاسعة .. تطوي المسافات ، تسبح في يم ، في فضاء .. في حلم عذب هي : ان كلمة منك ، ان نظرة ، لمسة حنان ، كفيلة بأن تنسيني كل ما يحل بي من اجلك ، يا حبيبي .

تقدمت من الصندوق الاحمر . رفعت يدها . أرسلت الى ما حولها نظرة : اصبحت اكره .. واسقطت الرسالة : لم يبق لي الا ان تسرع في العودة .. لن تمضي سوى ايام ، حتى تسمعه يطرق باب ال ..

---

(١) توفي عمه بعدئذ عام ١٩٧٨

برز لها ، فجأة ، وجه غريب :
ـ الى من هذه الرسالة ؟
افزعها الصوت ، بادىء ذي بدء . بدا لها آمرا . زعمت :
ـ انها .. الى .. الى عمي ..
ثم استحييت من كذبتها .
ـ ومن يكون عمك ، يا صبية ؟
ساءها ان تستجوب في أمر من امورها الخاصة .
ـ وما شأنك بي ؟
ـ نحن ، هنا ، مكلفون بسؤال المتراسلين عن اسمائهم واسماء ..
قاطعته :
ـ اذا كان كذلك ، فأولى بك ان تراجع الرسائل وهي مجمعة في مبنى البريد المركزي !
فانهال عليها :
ـ قولي ما اسمك ، يا صبية ، انت المتسللة صباحا من بيت ابيك لتسقطي رسالة في صندوق البريد ! (بدت لها فيه ملامح من أبيها) ما اسم المرسل اليه؟ اريد ان اعرف الحقيقة منك ، من فمك ! هيا اعترفي : ما مضمون الرسالة ؟ والى اي بلد تساق ؟ وهل فيهما يمس بصالح الوطن ، او الشرف الذي نحرص على الذود عنه ؟!
هتفت في ذات نفسها : ان من الشرف ان ازف الى من يحبني .
ـ لن أفصح لك !
ـ هل يعلم أهلك بأمر الرسالة ؟
ـ ... ...
ـ أسألك : ما اسم المرسل اليه ؟
ـ لن افصح لك !!
ـ اذا لم تفصحي ، لحقت بك حتى البيت ، جررتك من شعرك أمام الناس ، وعلقتك بغصن عال من أغصان شجرة السرو التي تعرفين !!
سرت في جسدها قشعريرة . بدت لها فيه «الآن» ملامح من أخيها ! سمعت الناس ، وقد تجمعوا حولها ، يتمتمون في استياء :
« ولماذا يسألونها ؟ » ،
« رسالة خاصة ! » ،
« وما شأنهم برسائلنا التي نودعها البريد ؟! »
« ألم يعد احدنا يأمن على أسراره الشخصية؟!» .
تقدمت اليها امرأة تشد من ازرها :
ـ تشجعي ، يا بنيتي ، احكي .. (ثم بصوت خفيض) قولي له اسما اي اسم ، وخلصي نفسك !
فانتحبت باكية :
ـ لا استطيع ان أستبدل به آخر ، لا استطيع .
اعلن رجل في اعجاب :
ـ يا لها من فتاة حرة !
واضاف آخر :
ـ وصادقة وفية !
وهتفت امرأة عجوز :
ـ يا عيني عليها : جريئة ، تحسن التعبير !
فبكت ، اذ ذاك ، من الفرح .
تقدم الجمع رجل محنك :
ـ ولكن لماذا تريد معرفة ذلك ، يا سيدي ؟
ـ انه النظام ، القانون !
ـ فلو انه تراءى لها ان تضللك فتذكر اسما منتحلا ، أيكون منها تصرفا قانونيا يرضيك ؟
ـ ذلك ، ان فعلت ، شيء آخر .
ـ الا يمكنك ان تستثني صبية غضة العود جريئة الفؤاد ، من تطبيق هذا النظام ؟
أحست ، لدى سماعها ذلك ، زهوا يفعم صدرها .
ـ انني اطبق انظمتي على الرعية بالعدل .
ـ ولكني لمحت ، قبل هنيهة ، رجلا يودع رسالة ، فلم تتصد له بسؤال !
ـ تقدير ذلك يعود الي وحدي .
ثم أخذت تصغي الى صيحات الاحتجاج المتصاعدة :
« يا لها من عدالة ! » ،
« ان بلدنا لن يتقدم خطوة ما دام فيه مثل هذه الانظمة العرجاء ! » ..
فانسلت ، من بين الجمع ، دون ان يشعر بها احد .
وبينا هي تبتعد عنهم ، وقد استأنفت عدوها السريع ، ترامت اليها صرخة ، هدر بها صوت جهير ، فنفذت حتى اعماقها :

ـ لم تعد بي طاقة على احتمال تناقضات نظامكم . اني امقت عدالتكم الجائرة .

* * *

ولكن الصحراء لم تعد مترامية الارجاء . هي ذي تنغلق امامها ، فتبدو لها شوارع مسدودة . تحاول ان تجتازها .. تتوقع ان ينقذها . ولكن شعرها ... انها تشد من شعرها ! تصرخ ، تستجير ، تموت الصرخات في حلقها . يد تطولها ، تطوح بها ، ثم بعيدا ترميها .. تسقط فوق شجرة السرو السامقة ، فيتشابك شعرها الحريري بقمة أغصانها ..

آه ، انه لن يجدها في البيت . لسوف يلوب بحثا عنها في كل مكان ، دون ان تقوده قدماه الى جذع هذه الشجرة العتيقة . وهي لن تراه ، لان عينيها قد فقأهما غراب أسحم . واما لسانها فقد التهمته الحرباء ، فليست تستطيع بعد ان تناديه ...

ورب حمامة ورقاء هدلت على فنن قريب :
ـ مسكينة ، مسكينة ... ضيعت حبيبها ..

ولكنها قد اسقطت ، تحت جذع الشجرة، منديلها الابيض المطرز بكرزات حمر ثلاث ، لعله يقع عليه ، وهو في بحثه ، فيهتدي ...

١-٦-١٩٧٣

أريد أمي

وقع لي ذلك في يوم ربيعي ، في عام من الاعوام ، والمعلم يلقي علينا درسا في حنان الام . واذكر ان ابي كان قد استطاع أن يزرع في نفسي ، بطريقة ما ، خلال الاشهر الخمسة التي أمضيتها في كنفه ، الكراهية التي يرغب نحو امي ، وان يوغر صدري عليها !

لست أدري من اين ابدأ قصتي ! ولكن الذي اعيه جيدا ان هذا المعلم النحيل ، المرهف القسمات ، ما كاد يعلن انه سيتحدث اليوم عن الام وحنانها ، وعن قدسية دورها في الحياة ، وتقدير المجتمع لها ، مشيرا في ذلك ، الى كتاب أنيق الغلاف يحمله في يده ... حتى كانت صورة امي الحبيبة ـ التي انتزعت من احضانها انتزاعا ـ قد شغلت خاطر ، وملأت صدري وخافقي ، حتى لم أعد اتنفس الا رائحتها وهي تضمني الى صدرها ، حانية علي ، ماسحة بيدها الرحيمة شعري ، مقبلة وجنتي وجبيني ووجهي كله .

لقد اخذ ابي على عاتقه ، من يوم ان حملني الى بيته ، ان يغذوني كرها بتلك الشابة الطيبة التي لم تطق العيش معه اكثر من اسابيع معدودات ، عادت بعدها الى بيت امها وقد استكن في احشائها جنين هو الاول والاخير ، كما انتوت من يومها ان اكون . واعترف بأني لقيت ، ابان طفولتي التي امضيتها في بيت امي ، رعاية عوضتني عن عطف الاب ، الذي طلقته امي ، قبل مولدي ، غير آسفة على شيء . وعندما تفتح وعيي ، وادركت انه ينبغي ان يكون لكل طفل في بيته اب يسبغ عليه رعايته ، كنت اسأل امي في الحاح :

ـ ماما ! لماذا لا يقيم ابي معنا ، يا ماما ؟

فتجيبني ، وهي تمر بشفتيها على جبيني :

ـ ابوك .. فضل ان يعيش بعيدا عنا ، ياحبي!

وما كانت هذه الاجابة ، ومثيلاتها ، لتروي فضولي ، وانا في سني السؤول ، مقدار ذرة . ولكن امي ، كما اذكر جيدا ، كانت تدأب على ان تبعث بي الى حيث يعيش ابي مع اخته عمتي المترملة ، فأراه ويراني .. دون ان تلفحني ، في لقائي اياه ، العاطفة التي كنت أنشد !

* * *

في ذلك اليوم الربيعي ، وقف المعلم النحيل المرهف القسمات ، الذي تعلقنا به حبا منذ اول العام الدراسي ، يتلو في لهجة خاشعة :

ـ « ولا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما ... » .

واكملت الآية في ذات نفسي : « .. قولا كريما » ذلك اني حفظتها قبل اليوم ، حفظتني اياها امي التي طالما جلست الى جواري تلقنني العلم ، وتشرف على دروسي ، وتسهر علي الليالي

ذكرت ، ههنا ، الموقف الذي دفعت الى اتخاذه قبل ايام في مواجهة امي . كان موقفا ليس اقسى منه او اكثر ظلما واعتسافا ! ولكن ابي .. كان هو دافعي، هو ملقني ! لقد كان ابي محرضي من يوم أتى بي الى بيته . ويوم جاء ينتزعني من حضن امي ، وقد اتممت السابعة من عمري ، أخذت امي تنتحب وتقول :

ـ آه ! لسوف يحرمني من أن اضمه ، بعداليوم، الى صدري !

فتجيبها جدتي :

ـ ولم هذا الظن ، يا بنيتي ؟ انت لم تقصري في حقه ، خلال سنوات حضانتك السبع الماضيات ، يا بنيتي . كنت تحملينه اليه حيث يشاء .

ولقد صدق حدس أمي .

فلم تكد قدماي الصغيرتان تطأان عتبة بيت أمي، حتى أخذ في تلقيني ، بحضور عمتي ، دون هوادة :

ـ امك تكرهني ، يا عدنان !

ـ ...! ...! ...!

ـ لقد تركتني ... منذ كنت في بطنها جنينا !

تساءلت ببراءة ابن السنوات السبع :

ـ ولماذا تركتك ، يا ابي ؟. لماذا لا تعود اليك ؟. لم لم تأت بها معي ؟!

فصرف أبي بأسنانه :

ـ انها تكرهني . ولسوف تكرهك، انت، ايضا !
رفعت صوتي معترضا :

ـ ولكنها تحبني .. أنا .. يا ابي !
ـ كانت ! كانت تحبك ، ايها الشقي واما اليوم ، وقد اصبحت في بيتي ، فانها تكرهك قدر كراهيتها لي!

فأكدت :

ـ أمي تحبني . اعرف ذلك . ولا يمكن لها ان تكرهني ابدا .
فصرخ بي :

ـ أقول لك : امك تكرهك . أتفهمني ، يا ولد ؟ عليك ان تكره امك ، وتقلع عن محبتها !!

وملأ صدري خوف عظيم .

ـ أمك قاسية . هجرتني . لم تصبر علي . اكره امك ، اقول لك !

رأيت الزبد يتطاير من بين شدقيه .. فازددت خوفا ، ولاذت عيناي بعمتي .

ـ قل : اكره امي ! ردد معي : اكره امي ! اكره أمـــي !

رافعا يده ، في غضبه الاعمى ، فوق رأسي .

أجبت مفزوعا ، وأنا أحس الدموع تنهل من عيني:
ـ أكره امي !!
ـ قل : لن احبها !
ـ لن احبهـا !

ـ لن احب امي بعد اليوم !

ـ لن احب أمي بعد اليوم !!

وحجزني ، من يومئذ ، عن الذهاب الى بيت امي، او لقائها في طريق ، او مقابلتها على باب المدرسة !
فأرسلت امي اليه الرسل ، تترجاه بلسانهم ، وتستعطفه ان يتيح لها فرصة ان تضمني في بيتها ليلة كل اسبوع . وهو ماض في عناده ، الذي لم أر عمتي مرة تقره عليه . وكان ما يفتأ يعلن في غل :

ـ لن ادعها تلمس ظفر رجله !

وعمتي ، التي تكبره سنا ، تزجره بغمغمة تريدها الا تبلغ مسمعي :
ـ لا تثقل على الصبي . انك ، على هذا ، ستجعل حياته بيننا جحيما !

ثم لم يكن بد لامي من ان ترفع امرها الى القضاء، الذي حكم لها ، بعد اشهر ، بأن تراني في فناء المحكمة، ساعة في الاسبوع . واني لاذكر لحظة توجب على ابي ان يصحبني اليها في يوم « الرؤية » الاولى ، وكيف انه شحن سمعي بتلقينه :

ـ اياك أن تكلمها ، يا عدنان ! انها عدوتنا اللدود: عدوتي وعدوتك ! ان كانت مشتاقة لك حقا كماتدعي، ان كانت ترغب في أن « تراك » ، فلتنظر اليك مـــن

بعيد ، دون أن تقترب منك ! لا تكلمها ! ان وجهت اليك سؤالا ، فاعتصم بالصمت ! لقد هجرتني ! لم تعش معي سوى أسابيع ! ان امتنعت عليها ، فسأشتري لك ....

وفي فناء المحكمة ، وقفت بازاء امي ، بعد ذلك الفراق الطويل ، متسمرا في مكاني .. وكياني الصغير يعاني ألف انفعال .

قالت امي تحدثني بصوت رقيق ما زال في سمعي :

ـ اشتقت لك ، يا عدنان . اما اشتقت لي ، يا حبيبي ؟

انتظرت مني جوابا .

ـ ما لك صامتا ؟ تكلم .

وانعطفت علي تريد ان تأخذني الى صدرها . فأسرعت ادير ناظري نحو أبي ، المنتصب على مقربة : فوجدته عابس الوجه ، مقطب الجبين ، تقدح عيناه شررا ! فابتعدت عنها ، متشبثا بلا شيء .

ـ هل أنت « زعلان » ؟ انا اشتقت لك . خمسة أشهر ...

نطق لساني :

ـ لم تركت أبي ؟!

فوجمت أمي .

ـ انك تكرهين ابي ! وتكرهينني !

احتقن وجهها الجميل بحمرة وردية .

ـ لم هجرت أبي ؟!

ـ هو الذي تركني .

ـ أنت التي هجرته .. وأنا ، بعد ، جنين في بطنك !

صرخت أمي ، وهي تتلفت يمنة ويسرة كمن يبحث عن مصدر شر خفي :

ـ ماذا تعلمون الصبي ؟!

رد أبي ، من موقفه ، بصوت يابس :

ـ نحن لا نعلمه . عدنان غدا شابا ، يعرف كل شيء !

وأمعنت في مراضاة أبي :

ـ لك ساعة في الاسبوع .. تنظرين الي ، فيها ، من بعيد !

وارتجف صوتها ، وقد استحالت حمرة وجهها الوردية الى لون الورس :

ـ ما هذا التعليم ! ما هذه الانسانية ! أهذا كلام يخرج من فم طفل عمره سبع سنين ؟! أليس هذا تلقينا ؟ (وانهارت منتحبة ، كنت موقنة بأنه سينقل اليه حقده الدفين ! (والتفتت الي) انا التي ربيتك ، يا عدنان . أنا امك . رعيتك سبع سنين . وابوك اخذك مني بحكم القانون . خمسة اشهر لم ...

أحسست ، وأمي تتكلم على هذا النحو ، بجسمي كله يرتعد من انفعال كظيم ، وبالدموع السخينة تتصبب على وجنتي . وتحركت يدي الى ثوبها الازرق ، الموشى بزهيرات ملونات ما تزال صورهن ماثلة في خاطري ..

امتدت يدي ، دون ارادة مني ، لتتحسس ذيل ثوبها ، مثلما كانت يدها الحانية تتحسس رأسي ساعة أكون في حضنها ، وفي نفسي رغبة لو اعانقها ، لو ألثم يدها .. آه ، وددت لو امسح بوجهي الدموع التي بللت يدها ، أو أزيد هذه اليد الكريمة بللا من دمعي الصبيب ..

ولكن .. ردتني ، عن ذلك كله ، نظرة من ابي .

* * *

وافقت ، وأنا في قاعة الدرس ، على صوت المعلم ، وهو يقرأ من الكتاب في يده بلهجة شجية :

ـ .. وفي الليل ، عندما استلقي على فراشي طلبا للنوم ، اسمع حسيس اقدامك ، يا امي ، وانت تقبلين الي ، ثم تحومين حولي ، تحكمين الغطاء علي ، وتهدهدين كتفي ، وتطبعين على خدي قبلة الحنان .

ذكرت ، في تلك اللحظة ، اية اساءة وجه ابي ، ووجهت الى امي ، في يوم الرؤية الثانية ، قبل يومين مضيا . اني كلما تمثلت في خاطري ذلك الموقف ،

اغرقني شعور بالندم والالم من قمة رأسي حتى أخمص قدمي ، فانتفض حزنا وخزيا . لقد بدأ اللقاء الثاني هادئا على غير ما أراد ابي . بدوت هذه المرة ، اكثر طواعية لامي واستجابة ، واقل التفاتا بناظري نحو ابي . أجلستني امي الى جوارها ، وراحت تسألني عن دروسي ، وعن امتحاني الاخير وما نلت فيه من الدرجات ؟ واذ افضيت اليها باني حظيت في موادي كلها بدرجة « جيد » ، عدا « الحساب » الذي ساء حظي فيه فكان « وسطا » ، بدا الغم في محياها الجميل :

ــ لم تكن يا عدنان ، لترضى في الحساب بأقل من « جيد » . فكيف رضيت اليوم ، « بالوسط » ؟ اي شيء شغلك عن دروسك يا حبيبي ؟

وابي كما أتخيله ، يقدحني بنظراته العابسات ، وقد تعمدت ان اجعل جلستي بحيث ادير له نصف ظهري .

وتفتح أمي حقيبة يدها البيضاء ، لتقدم الي قطعة من « الشوكولا » المغلفة بالورق المفضض . فالتهمتها بلذة ، وانا ما أزال مشيحا بوجهي عن ابي . وامي تسألني عن مدى الرعاية التي القى في بيت أبي ؟ فأثنيت على عمتي وما توليني اياه من الاهتمام .

ــ عمتك .. منصفة ، تقدر الظروف . انها امرأة طيبة .

قلت : بدأ اللقاء الثاني هادئا . وقد كان خليقا به ان يمضي كذلك ، لولا ان قدر لامي ان تعود الى حقيبتها ، فتنقب فيها ، ثم تمد يدها الي « بملبسة » كبيرة الحجم على غير المعتاد :

ــ دونك هذه ! قلت للبائع : اريد اكبر ملبسة في دكانك ، لابني عدنان !

هتفت ، وانا اقلبها في كفي :

ــ ما اكبرها !

ــ ان في هذه الحقيبة حلوى لك كثيرة ، تأكل منها ما تشاء ، وتحمل الباقي لتتسلى به خلال الاسبوع .

فابتسمت فرحا . ورفعت الملبسة الرائعة ، الى فمي .

وههنا .. أحسست بأبي يندفع نحوي عدوا ، لينتزع الملبسة من يدي ، وهو يصيح في غضب وعنف :
ــ أتنوين ان .. تقضي على الصبي ؟!

راشقا الملبسة ، بعزمه كله الى اقصى فناء المحكمة ، أجابت أمي ، وقد انبهر نفسها :

ــ أ اذا قدمت الى ابني ، وحيدي ، ملبسة .. يعني اني انوي القضاء عليه ؟!

ولكن ابي يتابع في سورة غضبه :

ــ أتنوين ان تسميه ، يا مجرمة ؟!

لم اصدق اذني ما سمعتا ! نظرت الى امي التي امتقع لونها ، وهي تعلن :
ــ ما هذا الكلام ؟!

لم اعد ادري ما العواطف والانفعالات التي جاشت في صدري :

هل أرادت امي حقا ، ان تجرعني السم في هذه الملبسة الرائعة ؟!

أيعقل هذا ؟! ولماذا ؟!

توجه أبي الي :

ــ امك حاولت الآن ان تسمك ، يا عدنان !
قلت ، من خلال عبراتي التي انسفحت ، وكان لا بد ان اقول :

ــ لماذا تريدين ان تسميني ، يا امي ؟

أخذت امي تبكي ، بوجدان جريح ، وكبرياء قد اذلت .. تبكي امامي بمل غريزة الامومة في جوانحها ، وتقول :

ــ أ أنا اسمك ، يا حبيبي ؟! شلت يدي . أنا اسم من يسمك .
فعاجلها ابي :

ــ اذن سمي نفسك ! (ثم اندفع يقول مزبدا) لما رأيت الصبي وقد خرج من حضانتك الى الابد ، نويت أن تقضي عليه بالسم في ملبسة ! (وانعطف يعانقني)

انها ملبسة مسمومة يا عدنان ! انها مسمومة !

وتجمع حولنا الناس يتفرجون .

واقبل المحامي ، محامي أمي ، من المحكمة على صراخ أبي .. فحكت له امي ما كان ، وهي تنتحب ، حتى انعقد لسانها فلم تعد تقوى على الكلام .

قال المحامي ، في مهابته يخاطبني :

ـ انها امك يا عدنان ، التي حملتك في بطنها ، وحضنتك سبع سنين . (ثم التف الى ابي) وانت ، يا سيد : ما هذا الكلام ! ما هذا اللغو ! أي اسلوب هذا الذي تتوسل به ؟ حقا ، انك لغريب الاطوار !

وفي مساء ذلك اليوم ، رأيت ابي يختلي بعمتي في غرفة ، فيتحدثان ، ثم ما يلبثان حتى تعلو منها الاصوات .. وعمتي تهيب به :

ـ دع المرأة في حزنها . حرام عليك !

وهو يزيد في عناده :

ـ أكرهها ! أكرهها ! لن ادعها تنعم برؤيته ، ولو ساعة في الاسبوع !

وادركت تلك اللحظة ، ما كنت أجهل .

* * *

ـ .. اماه ! كنت اناديك بلساني . واما الآن ، فلم يعد لي الا الورق اريق عليه عواطفي نحوك يا امي ، بعد ان ترفعت عن دنيانا المفعمة بالآثام ، وصعدت الى عالم غير عالمنا . سأعود الى البيت ، فلا القاك ، ولكني اجد الظلام طبقات بعضها فوق بعض ، لان عينيك الطافحتين بالنور قد شاء لهما الله أن تنطفئا . سأجد السكون والوحشة ، لان قلبك العامر بحبي يا امي ، قد كف اليوم عن الخفقان .

المعلم ما يزال يقرأ في كتابه . وفي صدري ، عالم زاخر بالعواطف الجياشة . لقد خيل الي في تلك اللحظات ان امي التي عذبها ابي قبل يومين سلفا حتى أدمى فؤادها ، وعذبتها معه انسياقا هي التي رحلت عن دنيانا المفعمة حقا بالآثام والشرور ، وما هذا الرثاء الحزين الا التعبير الصادق عن حزني وندمي وعذابي .

أخذ صدري يعلو ويهبط . واذا الدموع تنحدر من عيني في صمت . واذا صوتي يرتفع ، لينفلت من لساني ذلك النداء اللهيف :

ـ أماه !..

فيكف المعلم عن القراءة ويتلفت التلاميذ نحوي .

ـ احب أمي !

ثم وجدتني اغادر موضعي بين رفاقي ، مندفعا بقوتي كلها الى الباب ، معلنا في صوت دامع :

ـ أريد أمي ! اريد أمي !..

منطلقا الى باحة المدرسة ، مجتازا بابها .... ورحت اعدو في الشوارع في اتجاه بيت امي .

انطرحت في حضنها ، وانا الهث ، والدموع تغسل وجهي :

ـ أحبك يا أمي ! اريد ان اعيش بقربك . لقد ارهقني ابي ، وهو يوغر صدري عليك ، ويبث الكراهية في نفسي . أحبك يا امي ، بقدر ما اكره ابي !

ضمتني امي الى صدرها طويلا .. ومسحت بيدها الحانية الرحيمة على رأسي ، وقبلت جبيني ووجهي مرارا ، حتى اختلطت دموعها بدموعي .

ومن عجب ان سمعتها تناشدني بصوتها الرقيق :

ـ احب أباك يا بني ، ولا تضمر له كرها ... فليس له فيما يفعل ، سلطان على نفسه !

وعرف ابي ما كان مني من بكاء في قاعة الدرس ، وعرف امر انطلاقي من المدرسة الى حجر امي ... فانكفأ يصرخ بي صراخا جنونيا مرعبا ، ثم ألوى علي بالضرب ، لولا ان استخلصتني عمتي من بين يديه ، ودافعته جاهدة الى غرفة ، واوصدت دونه ودنها الباب .

كفكفت دمعي ، لاسترق السمع والنظر من ثقب الباب .

وجدت ابي يقول ، وهو يصرف باسنانه من غل :

ـ لم يكره امه . ما زال يحبها . لم يكرهها ، المغضوب ! يرغب في ان يعود الى العيش معها !

ثم يلطم وجهه بكلتا يديه ، وعمتي تتشبث به لتحول بينه وبين ان يمعن في ضرب نفسه ، وهي تصيح مولعة :

ـ ارحم نفسك ، يا رجل ! حرام عليك ! اتلفت اعصابي . انت تميتني !

وعادت دموعي ، وانا وراء الباب ، لتنهمر على خدي ولكنه الآن ، بكاء ينطوي على عاطفة اخرى : استشعرت في صدري حبا دافقا للمسكين ابي ، وقد ادركت لم لم تستطع امي صبرا على العيش معه اكثر من اسابيع ، دون ان تضمر له شيئا غير العطف والاشفاق ، ودون ان تتطلع الى الزواج من سواه ..

وظلت مع ابي : احبه ، وأرعاه ، وأداريه .

* * *

وقع لي ذلك ، في يوم ربيعي ، في عام من الاعوام والمعلم النحيل ، المرهف القسمات ، الذي تعلقنا به حبا ، يلقي علينا درسا في حنان الام .

١٩٦٨